البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الأول

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الأول

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الأول .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ – براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م – ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤٠٦ ؛ ١٥،٥ X ٢٣،٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٥-٨٩-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) – تاريخ – العصر الحديث – الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) – تاريخ – عصر اليعاربة ٣ – دول الخليج العربي – تاريخ – الاحتلال البرتغالي أ – العنوان
....
الترقيم الدولي : ٥-٨٩-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٤٨٣٦٧٦٣ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/١٨م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press – Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة عامة	**٧**
مقدمة المجلد الأول	**١١**
• أحداث عام ١٤٩٧م	١٣
• أحداث عام ١٤٩٩م	١٢٣
• أحداث عام ١٥٠٠م	١٥٣
• أحداث عام ١٥٠١م	١٨١
• أحداث عام ١٥٠٣م	١٨٣
• أحداث عام ١٥٠٤م	١٨٥
• أحداث عام ١٥٠٥م	٣١١
• أحداث عام ١٥٠٦م	٣٤٧
دليل الباحثين	**٣٩٧**
هوامش المجلد الأول	**٤٠٣**

مقدمة عامة

كانت التجارة بين الشرق والغرب ومنذ الأزمان البعيدة ، تسلك طريقين رئيسين ، الأول طريق البحر الأحمر ومصر ، والآخر طريق الخليج العربي والعراق والشام ، وكلاهما تحت السيطرة العربية ، وكانت تلك الطرق ، تغلق للخلافات السياسية والنزاعات ، وعندما تغلق معاً ، كانت البضائع المترفة ، تنقطع عن الوصول إلى أوروبا ، ما عدا ما كان يصل إليها عن طريق أواسط آسيا .

كانت البضائع تصل إلى أوروبا في بداية القرن الخامس عشر عن طريق "جنوة" "Genoa" والبندقية "فينيسيا" "Venesia" ، لكن "جنوة" خسرت موقعها التجاري بعد احتلال الأتراك للقسطنطينية في عام ١٤٥٣م ، والصراع بين البندقية والمماليك في مصر أبعد البندقية من المنافسة . كان البحث عن طريق يوصل أوروبا

بالهند مطلب جميع الدول الأوروبية ؛ لأنه سيجلب لها الشهرة والمال الوفير .

في عام ١٤٩٧م وصل الأسطول البرتغالي بقيادة "فاسكو دا غاما" "Vasco Da Gama" ، عبر رأس الرجاء الصالح بجنوب إفريقيا ، إلى شرقي إفريقيا ، ومن ثم إلى الهند ، ثم تتالت الأساطيل الحربية البرتغالية لتحتل أجزاء من الهند وبلداناً على شاطئ بحر عُمان ، وسواحل فارس .

استمر ذلك الاحتلال والتسلط على خيرات تلك البلدان حتى عام ١٧٥٧م .

لقد قمت بجمع جميع الوثائق الخاصة بذلك الاحتلال الذي دام مائتين وستين عاماً ، من جميع مراكز الوثائق في العالم ، وقد استغرق جمع تلك الوثائق خمسة عشر عاماً .

بعد ذلك الجهد قمت بترجمة الوثائق من اللغة البرتغالية إلى اللغة الإنجليزية ، ومن ثمّ إلى اللغة العربية ، كانت تلك الوثائق تحتوي على جميع الأحداث التي جرت هناك والتي كانت توثق تلك الحوادث من مصادر مختلفة .

لقد صنفت تلك الوثائق في مجلدات بلغ عددها واحداً وعشرين مجلداً ، باللغة العربية ومثلها باللغة الإنجليزية ، وأطلقت على تلك المجلدات : "البرتغاليون في بحر عُمان أحداث في حوليات

من العام ١٤٩٧م إلى العام ١٧٥٧م" ، وكان كل مجلد من تلك المجلدات ، يحتوي على أحداث جرت في كل سنة ، ورتبتها في صورة حوليات .

لكل مجلد من تلك المجلدات ، دليل للبحث عن المعلومات المطلوبة في آخر كل مجلد ، بالإضافة إلى الهوامش لتلك الوثائق .

راجياً أن يكون هذا العمل عوناً للدارسين والباحثين الذين يهمهم تاريخ عُمان والبلدان المجاورة له ، والله أسأل أن يجزل النفع بما أديت من واجب ، وأن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

مقدمة المجلد الأول

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث عشرة أعوام ، من العام ١٤٩٧م إلى العام ١٥٠٦م ، وهي سنوات تبدأ من الرحلات البرتغالية عبر رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا ومن ثمّ الساحل الشرقي لإفريقيا وصولاً إلى الهند .

كان البرتغاليون في تلك الفترة ، مشغولين باحتلال الهند ، وتثبيت أقدامهم عليها ، إما بالاحتلال بقوة السلاح ، الغريب لدى تلك الشعوب ، ألا وهو البنادق والمدافع باستعمال البارود ، أو بالاتفاقيات ، التي تجعل تلك الممالك تابعة لملك البرتغال ، مع دفع مبالغ باهظة لملك البرتغال ، ولم يكن البرتغاليون يقتربون من بحر عُمان في تلك الفترة .

كانت المهمة التي أتى من أجلها البرتغاليون ، هي جلب البضائع

الهندية من الهند إلى البرتغال ، فقد تم في تلك الفترة عبر رأس الرجاء الصالح ، ليست بالشراء أو الإنتاج ، وإنما بالسلب والنهب ، وقد قُدِمت لأوروبا على أنها تجارة .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٤٩٧م

في تلك السنة بدأت رحلة "فاسكو دا غاما" "Vasco Da Gama" والتـي قـام "ألفـارو فيلهـو" "Alvaro Velho" بوصفهـا في مذكرات رحلة "فاسكو دا غاما" ، بتاريخ عام ١٤٩٧م :[١]

باسم الله ، آمين .

في عـام ١٤٩٧م بعـث ملك البرتغال "دوم مانويل الأول" "Dom Manuel I" أربع سفن في رحلة استكشافية للبحث عن توابل ، وكان "فاسكو دا غاما" "Vasco Da Gama" أحد ضباط تلك السفن ، و"باولو دي غاما" "Paolo Da Gama" كان ضابطاً على سفينة أخرى ، و"نيكولاو كويلهو" "Nicolao Quelho" ضابط السفينة الثالثة ، وكان "غونسالو نونيس" "Goncalo Nunes" ، وهو أحد خادمي "فاسكو دا غاما" ، ضابطاً لسفينة المؤن .

(١) رقم الوثيقة والهامش.

لقد غادرنا "ريستيلو" "Restello" في يوم السبت الثامن من يوليو عام ١٤٩٧م ، وتقدمنا في مسيرتنا ، التي نرجو من إلهنا أن ننهيها في خدمته ، آمين .

في السبت التالي ظهر على مرآنا أولاً جزر الكناري ، وفي تلك الليلة عبرنا باتجاه رياح "لانزاروتي" "Lansaroti" ، وفي الساعات الأولى وصلنا إلى "تيرا ألتا" "Terra Alta" ، حيث أمضينا حوالي ساعتين من الصيد ، وعندما حل الغسق في الليلة التالية كنا أمام "ريو دي أوريو" "Rio De Orio" (النهر الذهبي) ، وكان الضباب كثيفاً جداً في تلك الليلة لدرجة أن "باولو دا غاما" وكل الأسطول تفرقوا في الاتجاهات كافة .

عندما حل الفجر ، لم يكن هناك أي علامة له أو لأي من السفن ، ولذلك أبحرنا في طريقنا إلى جزر الرأس الأخضر ، لأنه أعطى أوامر بأنه إذا تفرق أحد عن المجموعة فعليه أن يكمل الطريق ويتابعنا .

في صباح الأحد التالي رأينا جزيرة (سولت) الملح ، وبعد ساعة رأينا ثلاث سفن والتي ذهبنا للقائها ، ووجدنا بينها سفينة المؤن مع "نيكولاو كويلهو" و"بارتولوميو دياس" "Partholomew Dias" ، الذي كـان مسافـراً معنا حتى "مينا" ، ولقد تفرق هؤلاء أيضاً عن الضابط القائد .

عندما التقينا ، أكملنا رحلتنا ، ولكن الرياح هبت وتوقفنا حتى الأربعاء التالي .

عند العاشرة رأينا القبطان على بعد خمسة فراسخ أمامنا ، وبعد الظهر أتينا من مسافة بعيدة ، وعبرنا عن فرحنا الشديد عن طريق إطلاق العديد من الأعيرة النارية ونفخ الأبواق ، وذلك كله بعد ارتياحنا عندما وجدناه .

في اليوم التالي ، وهو الخميس ، وصلنا إلى جزيرة "سانتياجو" "Santiago" بفرح وابتهاج شديد ، حيث ألقينا المرساة في "ميناء سانتا ماريا" "Santa Maria" ، وهناك أخذنا اللحوم والمياه وحطب الوقود ، وقمنا بالإصلاحات اللازمة لعارضات أشرعة سفننا .

في يوم الخميس الثالث من أغسطس غادرنا مع الرياح الشرقية ، وفي الثامن عشر من أغسطس تحطمت عارضة شراع سفينة الضابط على بعد ستمائة فرسخ جنوباً من جزيرة "سانتياغو" .

في اليوم الثاني ، العشرين من الشهر ، عندما قمنا بانعطاف نحو غرب الجنوب وجدنا العديد من الطيور التي تشبه طائر "البلشون" ، وعندما حل الليل طارت بعزم شديد نحو شرق الجنوب كالطيور التي كانت تطير إلى اليابسة ، وفي نفس اليوم رأينا حوتاً على مسافة ثمانمائة فرسخ خارج البحر .

في يوم الجمعة السابع والعشرين من أكتوبر ، رأينا حيتاناً يعرف بعضها باسم "فوكاس" "Focas" (فقمة) ، وأسد البحر .

في يوم الأربعاء ، الأول من نوفمبر في عيد كل القديسين ،

اكتشفنا آثاراً كثيرة لوجود يابسة ، مثل طحالب الخليج ، والتي كانت ممتدة على الساحل .

في اليوم الرابع من الشهر المذكور ، في الثانية صباحاً ، حصلنا على رصد من على عمق مائة وعشر قامات ، وفي التاسعة وصلنا على مرأى اليابسة ، ثم تجمعنا كلنا وارتدينا ملابس المهرجان ، وحيينا القبطان بالعديد من الأعلام ، والرايات ، وعن طريق إطلاق العديد من المدافع ، وفي ذلك اليوم استقرينا بالقرب من الشاطئ ، وبالرغم من ذلك لم نتمكن من تحديد الدولة .

في يوم الثلاثاء توجهنا إلى اليابسة ووجدنا منطقة منخفضة بها شاطئ كبير .

أمر الضابط "بيرو دي الينكوير" "Pero de Elinquire" بأن يأتي إلى قارب السفينة ليأخذ الرصد ليرى إن كان بإمكاننا إيجاد مرسى .

وجد الشاطئ مريحاً جداً ونظيفاً ، ويقي من جميع الرياح ، ماعدا الرياح الغربية الشمالية ، وامتد الشاطئ في اتجاه غربي شرقي ، وأسميناه "سانت هيلينا" "Saint Helena" .

في يوم الأربعاء ألقينا المرسى على الشاطئ ، حيث أمضينا ثمانية أيام في تنظيف السفن ، وإصلاح الشباك ، وفي تجميع حطب الوقود .

على بعد أربعة فراسخ باتجاه الجنوب الشرقي بامتداد هذا

الشاطئ يوجد نهر "سانتياغو" ، والذي يتدفق من داخل الغابة ، ويصل اتساع مصبه إلى المسافة التي يمكن إلقاء صخرة إليها وثلاث أو أربع قامات فوق كل حالات المد والجزر .

يوجد في هذه الدولة رجال سمر البشرة ، والذين لا يأكلون شيئاً غير أسود البحر والحيتان ، ولحم الغزال ، وجذور النباتات ، وكانوا يسيرون مرتدين الجلود ، وكانوا يرتدون القراب على المناطق الخاصة .

كانت أسلحتهم عبارة عن قرون مشتعلة مثبتة على قصبة من خشب الزيتون ، ولديهم العديد من الكلاب كالتي توجد في البرتغال ، والتي تنبح بنفس الطريقة .

الطيور التي توجد في هذه الدولة تشبه التي في البرتغال ، وهي طائر العاقة والنورس والقمرية وطائر القبرة والكثير غيرها .

الأرض صحية جداً ومناخها معتدل وتنتج العديد من النباتات .

في اليوم التالي ، وهو الخميس ، بعد أن رسونا ، ذهبنا إلى الشاطئ مع الضابط القائد وقبضنا على أحد رجالهم ، والذي كان صغير البنية ويشبه (سانتشو ميكسيا) ، كان يجمع العسل من بعض الأراضي القفر ، لأن النحل في الدولة يصنع العسل تحت الشجيرات ، وقد أخذناه إلى سفينة الضابط والذي أجلسه على طاولة معه ، وأكل من كل ما نأكله ، وفي اليوم التالي ألبسه الضابط أبهى حلة وأعطى الأمر بأن ينطلق إلى الشاطئ .

في اليوم التالي ، جاء أربعة عشر أو خمسة عشر منهم ، حيث تقع سفننا . هبط الضابط وأراهم العديد من البضائع ليتأكد ما إذا كانت هذه الأشياء موجودة في الدولة . كانت البضائع القرفة والقرنفل واللآلئ الصغيرة ، والذهب وغيرها من الأشياء .

لم يكونوا يعرفون أي شيء عن هذه الأشياء ، وتصرفوا وكأنهم لم يروا تلك الأشياء من قبل ، وبعد ذلك أعطاهم الضابط بعض الأجراس وخواتم من القصدير ، كان ذلك يوم الجمعة ، وحدث الشيء ذاته في السبت الذي يليه .

في يوم السبت ظهر حوالي أربعين أو خمسين منهم ، وعندما انتهى العشاء ، وقد حصلنا على بعض الأصداف التي كانت في آذانهم ، والتي كان من الواضح أنها من الفضة ، وبعض أذيال الثعالب التي كانوا يحملونها مثبتة على عصي كانوا يستخدمونها في تهوية وجوههم ، وذلك مقابل بعض قطع (سيتيل) المعدنية .

لقد اشتريت من هناك القراب والذي يرتديه أحدهم على الأماكن الخاصة ، وذلك مقابل سيتيل واحد ، وقد ارتدى البعض منهم الخرز المصنوع من النحاس في آذانهم ، ويبدو أنهم يقدرونه جداً .

في اليوم ذاته ، كان أحد رجال "فيرناو فيلوسو" "Fernao Filoso" ، والذي كان مع الضابط القائد ، حريصاً جداً على أن يذهب معهم إلى منازلهم ، كي يعلم الطريقة التي يعيشون ويأكلون بها ، وما نوع

الحياة التي يعيشونها ، وقد طلب من الضابط القبطان كنوع من المعروف الإذن له بالذهاب معهم إلى قريتهم .

بعد أن أزعج الضابط القبطان بإلحاحه كي يسمح له بمرافقتهم ، تركه يذهب ، وقد عدنا إلى سفينة الضابط القبطان لتناول العشاء ، بينما انطلق هو مع الزنوج .

عندما كانوا على بعد مسافة منا اصطادوا أسد البحر ، ثم تقدموا إلى منطقة مفتوحة عند سفح هضبة ، وقاموا بشويه ، وقد أعطوا بعضاً منه مع جذور النباتات التي كانوا يأكلونها إلى "فيرناو فيلوسو" والذي كان بصحبتهم ، وعندما انتهوا من الطعام ، قالوا له بأنه يجب عليه أن يعود إلى السفن لأنهم لا يريدوه بأن يتقدم أكثر معهم .

تقدم "فيرناو فيلوسو" في طريقه نحو السفن ، وبدأ فوراً في المناداة بينما ظل السكان الأصليون مختبئين بين الشجيرات .

كنا لا نزال نتناول العشاء عندما سمعنا صراخه ، أوقف الضباط على الفور أكله ، وكذلك نحن ، وقد صعدنا على متن قارب السفينة بسرعة .

بدأ الزنوج في الركض باتجاه الشاطئ ، ولقد كانوا سريعين في الوصول إلى "فيرناو فيلوسو" كما كنا نحن ، وعندما حاولنا التقاطه ، بدأوا في إلقاء بعض الرماح التي كانوا يحملونها ، عندئذ جرح الضابط القبطان وثلاثة أو أربعة رجال .

لقد حدث ذلك لأننا وثقنا بهم ، ظناً منا بأنهم رجال شجاعتهم قليلة وأنهم لن يتمكنوا من القيام بما قد قاموا به بعد ذلك ، وبسبب ذلك نزلنا من السفينة غير مسلحين ، وبعدها تراجعنا إلى السفن .

في صباح الخميس ، السادس عشر من نوفمبر ، وبمجرد تجهيز السفن وتنظيفها ووضع حطب الوقود على متنها ، رحلنا من تلك الأرض .

لم نكن نعلم كم نبعد عن رأس الرجاء الصالح ، فضلاً عن "بيرو دي الينكوير" الذي قال إننا كلما ابتعدنا من هناك سنكون على بعد ثلاثين فرسخاً ، والسبب وراء عدم ذكرنا لذلك هو أنه غادر الرأس نهاراً وأبحر من هناك ليلاً مع الرياح المواتية ، وفي الحقيقة ففي الرحلة الخارجية أبحروا إلى داخل البحر ، ونتيجة لذلك لم يكن على علم بمكان وجودنا في الحقيقة .

نتيجة لذلك ، أبحرنا مبتعدين في البحر مع الرياح القادمة من جنوب الجنوب الشرقي ، وفي يوم السبت بعد الظهر أبصرنا رأس الرجاء الصالح ، وفي ذات اليوم أبحرنا مرة أخرى نحو الشاطئ .

في صباح الأحد ، التاسع عشر من نوفمبر ، أبحرنا مرة أخرى نحو الرأس ، لكننا لم نتمكن من الدوران حوله ، لأن الرياح كانت جنوبية شرقية بينما يقع هذا الرأس جهة شمال –شرق – جنوب– غرب ، وفي نفس اليوم اتجاهنا نحو البحر ، وفي مساء الاثنين أبحرنا باتجاه اليابسة .

في يوم الأربعاء ، مررنا عبر الرأس مع الرياح المواتية وركضنا باتجاه الساحل القريب من رأس الرجاء الصالح .

باتجاه الجنوب ، يقع خليج واسع جداً والذي ينحني إلى داخل اليابسة مسافة ستة فراسخ جيدة ويتسع مصبه إلى بضعة فراسخ .

في يوم السبت ، بعد الظهر ، الخامس والعشرين من نوفمبر ، في عيد "سانت كاترين" "Saint Catherine" ، دخلنا خليج "سانت براس" "Saint Bras" (خليج "موسيل") ، حيث أمضينا ثلاثة عشر يوماً وقمنا بفك سفن "القرقور" التي تحمل المؤن وحولناها إلى سفن أخرى .

في يوم الجمعة الذي يليه ، بينما كنا لا نزال في خليج "سانت براس" ، ظهر حوالي تسعة عشر رجلاً ذوي بشرة سمراء يشبهون الذين كانوا في خليج "سانت هيلينا" . سار بعضهم بامتداد الشاطئ بينما ظل الآخرون بين الهضاب ، وفي ذلك الوقت كنا كلنا ، أو معظمنا في سفينة "القرقور" التابعة للضابط القبطان ، وعندما رأيناهم ذهبنا باتجاه الشاطئ في القوارب ، والتي كانت مسلحة جيداً .

مع اقترابنا من اليابسة ، ألقى الضابط أجراساً على الشاطئ لهم وقاموا بالتقاطها ، ولم يقوموا فقط بتجميع الأجراس التي تم إلقاؤها ، بل جاؤوا ليأخذوها من يده .

لقـد أدهشنا ذلك كثيراً ، لأنه عندما كان "بارتولوميو دياس" هناك ، هرب السكان الأصليون منه ولم يأخذوا أي شيء عرضه عليهم .

في الحقيقة ، عندما كان في يوم ما يجمع بعض المياه النقية من حفر مائية على شاطئ البحر ، حاولوا منعه عن طريق قذف الحجارة من أعلى هضبة مطلة عليهم ، وأطلق "بارتولوميو" النشاب وتسبب في مقتل أحدهم ، وتخميننا هو أنهم لم يهربوا منا لأن هناك أخباراً وصلتهم من خليج "سانت هيلينا" ، الذي قمنا بزيارته (والمسافة من دولة إلى أخرى هي ستون فرسخاً فقط بحراً) ، بل لأننا لسنا ذلك النوع من الرجال الذي يؤذي ، بل نعطي ما لدينا .

قرر الضابط القبطان عدم الذهاب باتجاه الشاطئ ، لأن المنطقة التي يوجد بها الزنوج كانت مغطاة بالغابة ، ولذلك تحرك إلى منطقة مفتوحة حيث رسونا هناك ، وقد قمنا بإشارة إلى الزنوج بأن عليهم الذهاب إلى نفس المكان الذي نحن متجهون إليه ، وهو ما قاموا به .

هبـط الضابط القبطان وبعض الضباط مع بعض الرجال المسلحين ، ولكن حمل بعضهم آلة النشاب ، وقد أمر بعد ذلك السكان الأصليين عن طريق الإشارة بأن يقفوا إلى الوراء وأن يقتربوا فرادى أو كل اثنين معاً .

قد أعطى الضابط لمن جاؤوا أجراساً وقبعات حمراء ، وقد أعطونا أساور من العاج والتي كانوا يرتدونها في أيديهم ، وعلى حد علمنا ،

يوجد الكثير من الأفيال في تلك الدولة ، حيث إننا وجدنا روثها بشكل واضح عند آبار المياه حيث كانت تأتي لتشرب .

في سبت ما ، ظهر حوالي مئتين من الزنوج ما بين عجائز وشبان ، وقاموا بشراء دستة (دزينة) من ماشية الثيران والأبقار ، وأربعة أو خمسة من الخراف .

عندما رأيناها اتجهنا بسرعة إلى الشاطئ ، ثم بدأوا بالعزف على أربعة أو خمسة مزامير ، كان أحدهم يستخدم نوتة موسيقية مرتفعة والبعض الآخر يستخدم نوتة منخفضة ، في تناغم شديد مع اعتبار حقيقة أنهم زنوج ، وهم ممن لا تتوقع منهم موسيقى جيدة ، وقد رقصوا على الطريقة الزنجية .

أصدر الضابط القبطان الأوامر بنفخ الأبواق ، وقام من كان منا في القوارب الطويلة بالرقص ، بينما كان الضابط القبطان يهتز معنا طرباً .

عندما انتهت الحفلة ، ذهبنا إلى الشاطئ الذي هبطنا عليه من قبل ، واشترينا من هناك ثوراً مقابل ثلاث أساور ، وقد تناولناه على غداء يوم الأحد . كان سميناً جداً وكان لحمه لذيذا جداً كالذي في البرتغال .

وجاء آخرون يوم الأحد ، وأحضروا زوجاتهم وصغارهم معهم . جلست النساء على قمة هضبة بالقرب من البحر ، وقد اشتروا

العديد من الثيران والأبقار ، ولقد تجمعوا في مكانين بامتداد شاطئ البحر ، ولعبوا ورقصوا كما فعلوا يوم السبت .

لقد كان من العادة بين هؤلاء الرجال أن يبقى الصبيان بين الشجيرات بأسلحتهم بينما جاء الرجال للتفاوض ، وقد حملوا بعض عصي قصيرة في أيديهم بها أذيال ثعالب ، وكانوا يستخدمونها لتهوية وجوههم .

بينما كنا نتحدث بهذه الطريقة عبر الإشارات ، رأينا الشباب الصغار يربضون ويتحركون بين الغابة حاملين أسلحتهم بأيديهم .

أرسل الضابط القبطان رجلاً إلى الشاطئ يسمى "مارتيم أفونسو" "Martim Afonso" ، والذي كان يعيش بالفعل في "مانيكونجو" "Manicongo" ، وقد أعطاه أساور ليستبدلها بثور .

عندما استلم السكان الأساور ، أخذوه من يده ليروه آبار المياه ، وسألوه لماذا كنا نأخذ مياههم؟ وبعد قليل بدأوا يسوقون قطيع الثيران إلى داخل الغابة .

عندما رأى الضابط القبطان ذلك ، أمرنا بالاجتماع وبأن ننادي على "مارتيم" لأنه ظن بأنهم يجهزون لبعض الخيانة .

عندما أصبحنا جميعاً مجتمعين ذهبنا إلى المكان الذي كنا فيه في الأصل ، ولحق بنا أهالي البلد .

أمرنا الضابط بأن نذهب إلى الشاطئ بالرماح والحراب والنشاب

مرتدين درع الصدر ، ولقد كان ذلك كثيراً ليريهم كم أننا أقوياء كفاية لنلحق الأذى بهم ، ولكننا لم نرد القيام بذلك .

عندما رأوا ذلك ، التصقوا ببعضهم بعضاً ثم فروا هاربين ، ولتجنب أن يقتل بعض الرجال ، أمرهم الضابط بالصعود للقوارب .

عندما اجتمعنا كلنا ، أعطى الضابط بعض التعليمات بإطلاق قذيفتين كانتا في مؤخرة السفينة كي نوضح لهم أننا كنا قادرين على إيذائهم ولكنا لم نختر ذلك .

كان جميع السكان جالسين على الشاطئ على حافة الغابة . عندما سمعوا صوت إطلاق القذائف بدأوا في الهرب نحو الشجيرات بعجلة كبيرة لدرجة أنهم تركوا وراءهم الجلود التي كانت تغطيهم وكذلك أسلحتهم .

بعد التراجع إلى الغابة ، عاد اثنان منهم لتجميعها ، ثم انضموا للآخرين وركضوا في أعقابهم مختبئين خلف حافة الهضبة مع ماشيتهم .

إن الثيران في تلك الدولة كثيرة كالتي توجد في "سانتياغو" ، وهي سمينة بشكل كبير وأليفة ، وقد تم تدجينها وبعض منها لا يوجد له قرون .

يضع الزنوج على السمان منها سرجاً مصنوعاً من الخشب ، تماما كما يفعلون في "قشتالة" "Castille" ، مع بعض العصي على شكل

كومة على ظهرها ، وكانوا يركبون على ظهورها ، وقد كانوا يضعون مقبض المحراث في فتحة الأنف التي سيقومون ببيعها ويقودونها من خلالها .

في هذا الخليج توجد جزيرة على بعد ثلاث طلقات من النشاب خارج البحر ، ويوجد عليها الكثير من الفقمات يصل حجم بعضها إلى حجم الدببة الكبيرة ، وهي مخيفة جداً ولها أنياب ضخمة ، وهي تهاجم الرجال ، ولا يمكن لأي رمح ، مهما كانت القوة المستخدمة ، أن يجرحها ، وهناك منها أحجام صغيرة وبعضها ضئيلة الحجم .

تصدر الكبيرة منها زئيراً مثل الأسود ، أما الصغيرة (وحصان البحر) فتثغو مثل الماعز ، وكنا في يوم من الأيام هناك نسلي أنفسنا ، وقمنا بإحصاء حوالي ثلاثة آلاف واحدة ، بين كبيرة وصغيرة ، وقد أطلقنا عليها قذائفنا من الماء .

يوجد على هذه الجزيرة بعض الطيور في حجم البط تقريباً ، ولكنها لا تستطيع الطيران لأنها لا تملك ريشاً ولا أجنحة ، وتسمى "سوليتكايروس" (بطاريق) . هذه الطيور تنهق مثل الحمير ، ولقد قتلناها عمداً .

في يوم الأربعاء عندما كنا في هذا الخليج ، خليج "سانت براس" نتقدم في الماء ، قمنا بنصب صليب و"بادراو" "Padrao" (عمود تذكاري) هناك ، قمنا بعمل صليب ، والذي كان طويلاً جداً ، من الصارية الخلفية .

في يوم الخميس التالي ، وعندما كنا على وشك مغادرة الخليج ، رأينا عشرة أو اثني عشر من الزنوج يهدمون كلاً من الدعامة والصليب ، حتى قبل أن نغادر من هناك .

قد غادرنا من هناك بعد أن قمنا بتحميل كل شيء نحتاجه ، ولكن الرياح كانت خفيفة ، وقد رسونا في نفس اليوم مرة أخرى على بعد فرسخين من حيث بدأنا ، وفي صباح الجمعة ، وهو عيد التخيل المطلق الثامن من ديسمبر ، بدأنا في الإبحار وأكملنا طريقنا .

في يوم الثلاثاء التالي ، ليلة "سانت لوشيا" "Santa Lucia" ، ضربتنا عاصفة هوجاء وعبرنا أمام ريح أخرى بينما كان الشراع الأمامي منخفضاً جداً ، وفي صباح ذلك اليوم ، فقدنا أثر "نيكولا كويلهو" ، ومع حلول الغروب ، تمكنا من رؤيته من خلال عش الغراب الواقع على بعد أربعة أو خمسة فراسخ خلفنا .

لقد كان لدينا الانطباع بأنه رآنا أيضاً ، وقد أشعلنا مصباحاً لإصدار إشارات لإيقافه ، وعندما انتهت جولة المراقبة الأولى جاء في اتجاهنا ، ليس لأنه رآنا أثناء النهار ، ولكن لأن الرياح كانت على عقدة الكرسي فلم يتمكن من القيام بأي شيء سوى أن يأتي في مسارنا .

في صباح الجمعة ، رأينا أرضاً كبيرة ، وهو مكان يعرف باسم "هيوس كاوس" "Hius Chaus" (جزيرة الطيور) ، وهي تقع خلف "سانت كرواس" "Saint Crois" بخمسة فراسخ ، المسافة بين خليج "سانت براس" وجزيرة "سانت كرواس" ستون فرسخاً ، ونفس

المسافة من رأس الرجاء الصالح إلى جزيرة "سانت براس" ، ومن جزيرة الطيور حتى آخر "بادراو" وضعه "بارتولوميو دياس" يوجد خمسة فراسخ أخرى ، ومن نهر "إنفانتي" يوجد خمسة عشر فرسخاً .

في السبت الذي يليه ، عبرنا آخر "بادراو" ، وبينما كنا نبحر عبر الساحل ، رأينا رجلين يركضان على الشاطئ ، في عكس اتجاه الطريق الذي كنا نبحر فيه .

إن هذه الدولة مبهجة وهادئة جداً ، وقد رأينا العديد من الماشية تسير على الشاطئ ، وكلما تقدمنا أصبحت الأرض أفضل ، ورأينا أشجاراً أطول .

في الليلة التالية استرحنا ، حيث كنا خلف "ريو دو انفانتي" "Rio do Infante" (نهر السمكة الكبيرة) ، وهو آخر مكان اكتشفه "بارتولوميو دياس" .

في اليوم التالي أبحرنا مع الريح الخلفية ، وسرنا بمحاذاة الساحل حتى ساعة صلاة المساء عندما هبت الرياح جهة الشرق بالنسبة لنا وانطلقنا نحو البحر .

لقد تقدمنا حتى نربط جهة البحر وجهة البر حتى وقت الغروب في يوم الثلاثاء تقريباً ، عندما تغير اتجاه الرياح نحو الغرب ، وبسبب ذلك استرحنا في المساء ، كي يمكننا في اليوم التالي تحديد اليابسة أو مكان وجودنا .

عـندما حل النهـار ، اتجهنا مباشرة نحو اليابسة في العاشرة صباحاً ، ووجدنا أنفسنا خارج جزيرة "سانت كرواس" ، والتي تبعد ستين فرسخاً عن المكان الذي كنا نقصده ، وقد تم ذلك بسبب التيارات ، وهي قوية جدا هناك .

في نفس اليوم ، تقدمنا مرة أخرى في الطريق الذي كنا قد أبحرنا فيه بالفعل ، وتم ذلك بمساعدة رياح مواتية استمرت لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، وتغلبنا على التيارات ، والتي خشينا جداً من أنها ستمنعنا من تحقيق ما قد خططناه .

منذ ذلك اليوم ، كانت مشيئة الله أن نتقدم ، وألا نعود للوراء ، عسى أن يرضيه ذلك كي يكون الأمر كذلك دائماً .

بحلول الكريسماس ، الخامس والعشرون من ديسمبر ، اكتشفنا سبعين فرسخاً من الساحل .

في ذلك اليوم بعد أن أكلنا ، وبينما كنا واضعين شراعاً احتياطياً ، وجدنا شقاً في الصاري حوالي ستة فراسخ أسفل عش الغراب ، وأخذ يفتح ويغلق ، ولقد ثبتناه بحبل الدعم الخلفي حتى نتمكن من وضعه تماماً في ميناء نصله حتى يمكننا إصلاحه في مأمن .

في يوم الثلاثاء رسونا بالقرب من الساحل حيث اصطدنا العديد من الأسماك ، وعند الغروب حصلنا على شراع آخر وأكملنا طريقنا ، ولقد تركنا أحد مراسينا ولكن الهوسر انكسر فجأة عندما كنا في البحر .

قد أبحرنا من هناك وأخذنا وقتاً طويلاً في البحر من دون أن نجد ميناء لدرجة أنه لم يعد لدينا ماء للشرب (غير ماء البحر) ، أو حتى طعام لنأكله ، وقد خصصنا حصة من الماء يومياً وهي (رطل) / (نصف لتر) ، لذلك كنا في حاجة إلى إيجاد ميناء .

كان يوم الخميس ، العاشر من يناير ، عندما رأينا نهراً صغيراً حيث رسونا بالقرب من الساحل .

في اليوم التالي ذهبنا إلى الشاطئ بقواربنا ، حيث وجدنا جمعاً من الرجال والنساء الزنوج الأقوياء مع زعيمهم ، وقد أعطى الضابط القبطان تعليمات إلى "مارتيم أفونسو" ، والذي أمضى وقتاً كبيراً في "مانيكونجو" ، كي يذهب إلى الشاطئ مع رجل آخر ، حيث تم الترحيب بهما بشكل رائع .

قد أرسل الضابط القبطان إلى الزعيم سترة وبعض السراويل ، وقلنسوة من الطراز الإسلامي وسواراً ، وقد قال له الأخير بأنه سيكون أكثر من مسرور إذا أعطاه أي شيء يحتاج إليه في دولته ، وهذا هو ما فهمه "مارتيم أفونسو" .

في تلك الليلة ذهب "مارتيم افونسو" ورجل آخر مع الزعيم كي يناموا في قريته ، ودخلنا نحن سفننا .

بينما كان الأخير يسير في الطريق ارتدى الملابس التي أعطوه إياها وقال برضا شديد لمن جاؤوا لمقابلته:

"هل ترون ما أعطوني إياه؟"

قد أبدوا سرورهم عن طريق التصفيق ، وقد كرروا ذلك ثلاث مرات حتى وصل إلى القرية ، حيث كان يتجول في كل مكان ، مرتدياً ما كان عليه ، حتى دخل منزله ، وقد أعطى أمراً بإسكان الرجلين وذهبوا معه إلى مجمع مساكن حيث أمر لهم بثريد الذرة ، حيث يوجد الكثير منه في الدولة ، ودجاج كالذي يوجد في البرتغال ، ثم جاء حشد من الرجال والنساء ليمعنوا النظر بهم طوال الليل .

عندما حل الصباح ، ذهب الزعيم لزيارتهم ، وقال لهم بأن يغادروا ، وقد أرسل معهم رجلين وأعطاهم دجاجاً للضابط القبطان ، وقد أوضح بأنه كان سيبين الأشياء التي يمكن أن تقدم إلى زعيمهم العظيم ، والذي اعتقدنا إنه من المحتمل أن يكون ملك الدولة .

عندما وصلوا إلى الميناء حيث كانت السفن كان هناك حوالي مائتي رجل جاؤوا لرؤيتهم .

قد كان لدينا الانطباع بأن هذه الدولة كثيفة السكان ، وبها العديد من الزعماء ، وقد بدا لنا أن عدد النساء كان أكثر من الرجال ، لأنه عندما يظهر عشرون رجل تظهر معهم أربعون امرأة .

إن المنازل في هذه الدولة مصنوعة من القش وأسلحتهم عبارة عن أقواس طويلة وأسهم ورماح ذات أطراف حديدية .

وفقا لملاحظاتنا ، فهناك الكثير من النحاس في تلك الدولة . لقد كان الرجال يرتدونه في أرجلهم وأذرعهم وشعرهم المتموج .

بالإضافة إلى ذلك فإنه يوجد قصدير في تلك الدولة ، والذي يستخدمونه لتزيين مقابض خناجرهم وأغمدتها المصنوعة من العاج .

إن سكان هذه الدولة يثمنون قماش الكتان بسعر باهظ جداً ، وقد استبدلوا كمية كبيرة من النحاس بالقمصان التي أعطيناهم إياها .

يستخدم هؤلاء الناس القرع الكبير لأخذ الماء المالح من البحر إلى داخل البلاد ، ويقومون بصبها داخل تجاويف في الأرض وينتجون منها الملح .

قد أمضينا خمسة أيام هنا راسين بالقرب من الجزء الداخلي بين الأمواج التي تتكسر على الصخور ، وقد كنا نأخذ الماء ، حيث كان يحمله إلى قواربنا مَنْ جاؤوا لرؤيتنا ، لم نقم بتحميل قدر الماء الذي تمنيناه لأن الرياح دعتنا لاستكمال رحلتنا .

قد أطلقنا على هذه الدولة "تيرا دا بوا جينتي" (أرض الناس الصالحين) ، وقد أمر بتسمية النهر "ريو دي كوبر" "Rio de Couper" (النهر البرونزي) .

بينما كنا في البحر يوم الاثنين رأينا منطقة منخفضة ، وبها غابات طويلة وكثيفة جداً ، وبينما كنا نكمل رحلتنا ، رأينا مصب النهر الواسع ، ولأننا أردنا معرفة واكتشاف أين نحن ، فقد ألقينا بالمرسى .

عندما دخلنا مساء الثلاثاء ، وكان قد تبقى ثمانية أيام من شهر يناير ، وجدنا سفينة (البريو) بالفعل هناك ، وقد دخلت في اليوم السابق .

إن هذه الدولة منخفضة جداً ومستنقعية ومغطاة بغابات كبيرة ، وهي تنتج كميات كبيرة من الفاكهة وبكل الأنواع ، والتي يتناولها السكان الأصليون .

إن الناس هناك سمر وأقوياء البنية ، وهم يسيرون عرايا ، بغض النظر عن المئزر الذي يغطون به أماكنهم الخاصة ، وكان زعماء هذه الدولة يرتدون مآزر أكبر حجماً . إن النساء الشابات في تلك الدولة ، واللواتي يبدين جذابات جداً ، كانت شفاههن مثقوبة في ثلاث مناطق وكن يرتدين القصدير الملفوف فيها .

كان هؤلاء الناس متساهلين جداً معنا ، وأحضروا كل ما يملكوه إلى سفننا في "الماديا" "Madia" ، بينما سرنا نحن في نفس الاتجاه إلى قريتهم للحصول على الماء .

بعد أن أمضينا قرابة يومين أو ثلاثة في الدولة ، جاء اثنان من زعمائهم لرؤيتنا ، وقد كانوا متكبرين جداً لدرجة أنهم لم يقدروا أي شيء تم إعطاؤهم إياه .

قد ارتدى أحدهم "توكا" (قبعة) على رأسه بها بعض شرائط للتزين مطرزة بالحرير ، وقد ارتدى الآخر قلنسوة خضراء ، بالإضافة

إلى ذلك ، فإنه وفقاً لما قد أشاروا إليه من خلال إيماءاتهم ، فقد كان بصحبتهم شاب جاء من دولة بعيدة عن هنا ، وقد ادعى بأنه رأى سفناً كبيرة كالتي أحضرتنا هنا ، وقد كنا مسرورين جداً بهذا الفأل الجيد ، فقد بدا لنا أننا كنا نقترب من المكان الذي كنا نبحث عنه .

كان لهؤلاء النبلاء ملاجئ مبنية من أوراق الشجر والنبات على ضفة النـهر ، حيث أمضوا هناك سبعة أيام ، وفي كل يوم كانوا يرسلون أناساً للسفن للمقايضة على أقمشة بها علامات لأكسيد الرصاص الأحمر ، وعندما ملوا من ذلك غـادروا في "الماديا" ليصعدوا أعلى النهر .

قد أمضينا اثنين وثلاثين يوماً في هذا النهر ، وخلال ذلك الوقت أخذنا الماء ، ونظفنا السفن وأصلحنا صاري "سانت رافايل" ، وهنا سقط العديد من الرجال مرضى ، فقد تورمت أيديهم وأرجلهم وغطت لثتهم أسنانهم لدرجة أنهم لم يتمكنوا من الأكل .

قد نصبنا "بادراو" هناك ، وقد وضعنا عليه الاسم "سانت رافايل" "Saint Raffael" ، لأنه قد تم نقله في تلك السفينة وقد أطلقنا على النهر اسم (دلائل الخير) .

قد غادرنا المكان يوم السبت ، الرابع والعشرين من فبراير ، وأبحرنا في البحر ، وفي الليلة التالية تراجعنا مرة أخرى بعيداً عن الساحل ، والذي كان جذاباً جداً ، وأبحرنا نحو الشرق .

في يوم الأحد أكملنا نحو الشمالي الشرقي ، وعندما حلت ساعة صلاة المساء ، اكتشفنا ثلاث جزر صغيرة في البحر ، ويوجد في اثنتين منها غابات شاسعة بينما كانت الأخرى قاحلة وأصغر حجماً . كانت المسافة بين كل واحدة والأخرى حوالي أربعة فراسخ ، ولأنه كان وقت المساء ، فقد عدنا إلى البحر ومررنا بجانبها .

في اليوم التالي أكملنا رحلتنا ، وأبحرنا لمدة ستة أيام في البحر المفتوح ، بينما استرحنا في المساء .

في أول مارس رأينا بعض الجزر ، وكان البر الرئيس أمامنا ولكن لأن الوقت كان متأخراً ، فقد خرجنا إلى البحر واسترحنا حتى الصباح ، ثم انطلقنا في الصباح التالي .

في صباح الجمعة ، عندما حاول "نيكولاو كويلهو" دخول الخليج ، أخطأ القناة ولاحظ بعض الكثبان الرملية ، وبينما غير اتجاه السفينة أمام السفن الأخرى التي كانت تتبعنا ، رأى قارباً شراعياً يقترب من القرية خلف الجزيرة ، وقد ساعد ذلك على الفور الضابط وإخوانه ، وقد سمحنا لأنفسنا خلال ذلك بأن ننجرف بالرياح نحو البحر لأننا احتجنا للرسو ، وكلما ابتعدنا لحقوا بنا ، كانوا يقولون لنا بأن ننتظرهم .

عندما رسونا في مكلأ السفن ، حيث تأتي القوارب ، اقتربت سبعة أو ثمانية من قواربهم أو (الماديا) . كان الطاقم ينفخ بعض الأبواق الإسلامية (النافيلز) والتي قاموا بشرائها ، وقد أشاروا لنا

بأن نتقدم داخل الشاطئ وأنهم سيأخذوننا إلى الميناء إذا أردنا ذلك ، ولقد صعدوا على متن سفننا وأكلوا وشربوا مما لدينا ، وعندما تعبوا غادروا .

تشاور الضباط وقرروا دخول الخليج ليعلموا نوعية الناس الذين كانوا يتعاملون معهم ، وفي ذلك الحين ، كان على "نيكولاو كويلهو" الذهاب مع سفنه وأخذ الرصد من على الحاجز ، وإذا كان هناك من تصريحات كافية فيمكنهم الدخول .

عندما حاول "نيكولاو كويلهو" الاقتراب من الجزيرة قام بكسر دفة سفينته ، وبمجرد أن ضربت سفينته الضفة ، حرر نفسه وخرج إلى البحر المفتوح ، وقد كنت معه في ذلك الوقت ، وعندما كنا مرة أخرى في المياه العميقة ، قمنا بلف أشرعتنا وألقينا بالمرسى على بعد ضربتي سهم من القرية .

إن الناس في هذه الدولة متوردو البشرة وبنيتهم جيدة ، وهم يتبعون ديانة محمد ويتحدثون كالمسلمين (العرب) ، وملابسهم من الكتان والقطن الفاخر ، وبها العديد من الشرائط الملونة ، ذات الجودة الممتازة وبراعة ، وجميعهم يرتدون قلانس على رؤوسهم ، بها شرائط للتزين من الحرير المطرز بخيط ذهبي .

هناك تجار وتجارة مع المسلمين البيض ، ويجلب ممن كانت سفنهم هنا في هذا الميناء الذهب والفضة والقماش والقرنفل والفلفل الأسود والزنجبيل والخواتم الفضية ، بالإضافة إلى العديد من اللآلئ

والأحجار الكريمة والياقوت الأحمر ، ويتاجر أيضاً سكان هذه الدولة في تلك المواد .

وفقاً لما قالوه ، فهمنا أن المسلمين قد جلبوا كل تلك الأشياء ، فضلاً عن الذهب عن طريق القافلة ، بالإضافة لذلك ، وفي الأمام قليلاً ، حيث كنا متجهين ، كان هناك مخزون لانهائي منها ، بالفعل كان هناك الكثير من الأحجار ، واللآلئ والتوابل والتي لم يكن هناك حاجة لشرائها فقد كانت كافية لملء سلة .

قد علمنا كل ذلك من خلال بحار أحضره الضابط القبطان معه ، كان أسيراً مسلماً ، ولذلك فهم من قابلناهم هنا ، وقد أخبرونا أيضاً (هؤلاء المسلمون) أنه على الطريق الذي كنا نتبعه يمكننا أن نصادف العديد من المناطق الضحلة ، ويمكننا أيضاً أن نعبر خلال العديد من المدن عبر الساحل ، وقد نجد أيضاً جزيرة ، نصف سكانها من المسيحيين ، والنصف الآخر من المسلمين ، وقد كان هؤلاء في حرب مع بعضهم ، وكان هناك أيضا العديد من الأغنياء على هذه الجزيرة .

علاوة على ذلك ، قالوا لنا إن "بريستر جون" "Prester John" كان يعيش بالجوار ، وأنه كان لديه العديد من المدن على الساحل ، وكان سكانها تجاراً بارعين وكانوا يملكون سفناً كبيرة ، إلا أن مملكة "بريستر جون" تقع في العمق داخل البلاد ، وكان من المستحيل الوصول إليها إلا عبر الجمال .

أحضر هؤلاء المسلمون اثنين من السجناء المسيحيين من الهند ، وقد حكوا هذه الأشياء وأشياء أخرى غيرها ، والتي ملأتنا بتلك السعادة لدرجة أننا بكينا من الفرح ، ودعونا الله أن يكون راضياً كي يمنحنا الصحة كي يمكننا في يوم من الأيام رؤية ما تقنا لرؤيته .

إن هذه الدولة والجزيرة ، والتي تعرف باسم "موزمبيق" ، لها زعيم ، تماماً مثل نائب الملك ، ويعطونه لقب (سلطان) ، وهو يأتي عادة إلى سفينتنا بصحبة أفراد آخرين من قبيلته ، ولقد قدم له الضابط القبطان طعاماً فاخراً جداً ، وعرض عليه أيضاً مجموعة من القبعات وكابات قصيرة بها قلانس ومرجان والعديد من المواد .

بالرغم من ذلك فإن الزعيم كان متكبراً جداً لدرجة أنه ازدرى كل ما كان يقدم له ، وبدل ذلك طلب منا أن نعطيه بعض القماش القرمزي ، ولكننا لم نحضر أياً من ذلك ، إلا أننا أعطيناه كل ما لدينا .

في يوم من الأيام أعطاه الضابط القبطان هدية مكونة من كميات كبيرة من التين والأطعمة الشهية ، وطلب في المقابل من الزعيم بأن يسمح لاثنين من مرشدي السفن ليكونا بصحبتنا ، وقد أبدى رضاه على أن يتم مكافأتهم ، وقد أعطاهم الضابط القبطان ثلاثين مثقالاً من الذهب وعباءتين ، وكان ذلك على شرط أنه من يوم حصولهم على هذه المكافأة ، إذا أراد أحد منهما أن يذهب إلى الشاطئ في يوم من الأيام فسيبقى الآخر على متن السفينة ، ولقد رضيا جداً بهذا الاتفاق .

في يوم السبت ، العاشر من مارس ، غادرنا ورسونا على بعد فرسخ داخل البحر ، بالقرب من جزيرة ، كي يقام القداس يوم الأحد ، ومن تمنى أن يعترف يمكنه أن يحصل على العشاء الإلهي .

ظل أحد مرشدي السفن في الجزيرة ، بعد أن رسونا ، وقد جهزنا قاربين للإمساك به . ذهب الضابط القبطان في أحد القوارب وذهب "نيكولاو كويلهو" في الآخر .

بينما كانوا مستمرين في ذلك الطريق ، ظهرت خمسة أو ستة قوارب لمقابلتهم ، وكانت مكتظة بالرجال ، ومسلحة بأقواس طويلة وأسهم ودروع ، وقد أشاروا لهم بأن عليهم العودة إلى المدينة .

عندما رأى الضابط القبطان ذلك ، أمسك بمرشد السفن وأعطى أمراً بإطلاق قذائف على من كانوا يقتربون بالقوارب . ظل "باولو دي غاما" مع السفن ، حتى إذا كان هناك حاجة له ، سوف يأتي لمساعدتنا ، وعندما سمع القذائف ، أبحر في "البريو" ، وعندما رأى المسلمون الذين قد هربوا بالفعل بأن سفينته قد أبحرت ، هربوا أسرع بكثير واتخذوا ملجأ على الشاطئ قبل وصول "بيرو" ، ثم عدنا إلى المرسى .

إن السفن في هذه الدولة كبيرة وبدون ظهر ، ولا يوجد بها أي أوتاد أو مسامير وهي مثبتة بحبال ليف جوز الهند ، وكذلك الحال مع القوارب ، والتي صنعت أشرعتها من حصر سعف النخيل ،

يحمل بحارتها بوصلات "جينوسيس" ، وأدوات قياس الارتفاع وخرائط والتي يمكن بواسطتها الإبحار .

إن أشجار النخيل في هذه الدولة تثمر فاكهة في حجم البطيخ ، ويأكل السكان الأصليون الذرة ، كالمكسرات ، يوجد أيضاً العديد من الخيار والبطيخ هناك ، والتي جلبوها للمتاجرة بها معنا .

في اليوم الذي دخل فيه "نيكولاو كويلهو" الميناء ، جاء زعيم الجزيرة على متن السفينة مع العديد من الرجال ، وقد قدم له القائد تحية قبلية كما قدم له قلنسوة حمراء .

في المقابل ، أعطاه الزعيم خرزاً أسود ، والذي يستخدمه في الصلاة ، كدليل على الإخلاص ، ثم سأل "نيكولاو كويلهو" كي يسمح له بالذهاب إلى الشاطئ بقاربه ، ولقد منحه ذلك ، وبعد أن هبط ، أخذ من كانوا بصحبته إلى بيته ودعاهم لتناول الطعام ، وبعد ذلك أعطى الأوامر لهم بالعودة ، وأرسل إلى "نيكولاو كويلهو" جرة من التمر المسحوق ، على شكل مربى بالقرنفل والكمون ، وقد أرسل لاحقاً العديد من الأشياء إلى الضابط .

كان ذلك خلال الوقت الذي ظنوا فيه أننا كنا أتراكاً أو مسلمين (عرب) من منطقة أخرى ، لأنهم سألوا إذا كنا قادمين من تركيا ، وطلبوا منا أن نريهم أقواس دولتنا ، وكتب ديننا ، وعندما علموا أننا مسيحيون ، أعطوا الأمر بالإمساك بنا وأن نقتل بغدر ، ولكن مرشد

السفن الذي أخذناه معنا ، كشف لنا كل شيء نووا على القيام به في الفرصة المحددة .

في يوم الأحـد احتفلنا بالقداس في الجزيرة في ظل بستان طويل ، وبعد القربان المقدس عدنا إلى السفن ، وعلى الفور أبحرنا وأكملنا رحلتنا ، وأخذنا معنا العديد من الدجاج مقابل بعض الخرز الزجاجي الأصفر .

في يوم الثلاثاء رأينا دولة بها جبال مرتفعة ورأس . إن الجزء الساحلي لهذا الرأس مغطى بغابات متناثرة ، ذات أشجار طويلة تشبه شجر الدردار . تصل اليابسة نفسها إلى عشرين فرسخاً على الأكثر من المكان الذي انطلقنا منه ، وقد توقفنا هنا في يومي الثلاثاء والأربعاء ، وفي اليوم التالي أكملنا طريقنا في البحر مع رياح شرقية خفيفة معتدلة .

عندما بزغ الفجر وجدنا أنفسنا على بعد أربعة فراسخ من "موزمبيق" ، وفي ذلك اليوم أبحرنا حتى المساء ورسونا بعيداً عن الجزيرة حيث يقرأ القداس كما قيل لنا في الأحد السابق ، وهناك ظللنا لمدة ثمانية أيام بانتظار الرياح المعتدلة .

في غضون ذلك ، أرسل ملك "موزمبيق" إلينا قائلا بأنه يريد أن يتفق على السلام ، وأنه يريد أن يكون صديقاً لنا ، وقد كان السفير الذي يناقش هذا السلام مسلماً أبيض وقد كان شريفاً (أي رجل دين) وكان مفرطاً في الشرب .

بينما كنا هناك ، وصل مسلم مع ابنه ، ولقد صعد على متن سفننا الأربعة ، وأعلن أنه يتمنى أن يسافر معنا لأنه جاء من مكان قريب من مكة ، وجاء هنا إلى "موزمبيق" ليكون مرشداً لإحدى سفن تلك الدولة ، وبما أننا لم نمنح الرياح المطلوبة ، دخلنا ميناء "موزمبيق" لأخذ المياه ، التي كنا بحاجة اليها ، وقد كان ذلك على الجانب الآخر من البر الرئيس ، ولقد كانت تلك المياه التي يشربها سكان الجزيرة لأن تلك كانت المياه الوحيدة التي لم تكن مالحة .

دخلنا الميناء في يوم الخميس ، وفي المساء أطلقنا القوارب الطويلة ، وفي منتصف الليل ذهب الضابط القبطان "نيكولاو كويلهو" وبعض منا للبحث عن ماء ، وقد أخذنا مرشد السفن المسلم معنا ، وقد كان حريصاً على الهرب ، إذا سنحت له أي فرصة ، أكثر من كونه كان حريصاً على إرشادنا إلى مكان المياه ، ولقد قام بتشويشنا لدرجة أنه تمكن من ألا يرنا موقعه ، أو أنه لم يرد ذلك ، ولقد انشغلنا في هذا البحث حتى الصباح ، ثم عدنا إلى سفننا .

أثناء بعد الظهر ذهبنا مرة أخرى إلى الشاطئ مع نفس المرشد ، وعندما اقتربنا من آبار الماء ، انقض علينا حوالي عشرين من السكان الأصليين بامتداد الشاطئ ولوحوا مهددين برماحهم ليدافعوا عن الماء ضدنا ، وقد أمر الضابط القبطان بإطلاق ثلاث قذائف عليهم ، كي يتوفر لنا مكان كي يمكننا القفز على الشاطئ ، وبعد أن هبطنا ، اختبأ هؤلاء الرجال في الأدغال وأخذنا نحن كل الماء الذي نحتاجه ،

وعندما تراجعنا كان وقت الغروب تقريبا ، وقد اكتشفنا زنجياً هرب بعيدا من المرشد "جواو دي كويمبرا" "Joao de Coimbra" .

في صباح السبت ، الرابع والعشرين ، ليلة عيد سيدتنا ، اقترب مسلم من هذه السفينة وقال إذا كنا نريد الماء فعلينا أن نذهب ونأخذه ، وبذلك أراد أن يفهمنا أن هناك أناساً يريدون وسيجبروننا على التراجع .

عندما سمع الضابط القبطان ذلك ، قرر بأنه يجب أن نذهب إلى هناك ، ليريهم أنه يمكننا أن نلحق الأذى بهم إذا أردنا ذلك ، وبالتالي ، ذهبنا إلى القرية بالقوارب الطويلة المسلحة ولكن كانت هناك قذائف على مؤخرتها .

لقد بنى المسلمون أعمدة قوية من الخشب السميك ، مثبتة بطريقة تجعل من المستحيل لأي أحد أن يعرف ما يوجد خلفها ، ثم ساروا بامتداد الشاطئ بالدروع والرماح والسيوف والأقواس والسياط ، حيث قاموا بقذف الحجارة علينا ، وقد قمنا بالرد بالقذائف لدرجة أنهم قرروا مغادرة الشاطئ والذهاب للالتجاء عند الأعمدة التي قاموا ببنائها ، وقد زادوا الأمور سوءاً وليس العكس .

بعد أن انشغلنا في هذا التبادل لمدة ثلاث ساعات تقريباً ، تركنا رجلين ميتين هناك ، أحدهما قتل على الشاطئ والآخر داخل الأعمدة ، وعندما حل بنا من التعب ما يكفي ، عدنا إلى السفن

كي نأكل ، وقد قاموا على الفور بالهرب حاملين أمتعتهم في "الماديا" إلى قرية على الشاطئ الآخر .

بعد العشاء ، ذهبنا بالقوارب لنرى إذا كان من الممكن أخذ بعض منهم كسجناء ، لاستخدامهم كفدية للمسيحيين الهنود الذين أمسكوا بهم والزنجي الذي غادر إليهم ، ولذلك قمنا بملاحقة "الماديا" التي تتبع للشريف والتي كانت محملة بالأقمشة ، وواحدة أخرى كانت تحمل أربعة زنوج ، والتي أمسك بها "باولو دا غاما" .

عندما وصلوا إلى اليابسة ، فروا جميعاً وتركوا "الماديا" المحملة بالملابس على شاطئ البحر ، وقد وجدنا كلا المركبين على الشاطئ ، وقد أخذنا الزنوج الذين أمسكنا بهم هناك إلى السفن ، وقد وجدنا في "الماديا" لفافات كثيرة من القطن الفاخر ، وسلال النخيل وقدوراً مصقولة من الزبدة ، ونواقيس زجاجية من الماء ، وكتباً لديانتهم ،

صندوقاً به شلل عديدة من خيوط القطن ، وقد وجدنا أيضاً أرجوحة شبكية مصنوعة من القطن والعديد من السلال المليئة بالذرة ، وقد أعطى الضابط القبطان كل ما كان هناك إلى البحارة والضباط الذين كانوا معه هناك ، عدا الكتب التي تركها كي يقرأها الملك .

في الأحد التالي انطلقنا في الماء ، في يوم الاثنين توقفنا بعيداً عن المدينة ، وكانت قواربنا مسلحة ، وتحدث المسلمون إلينا من خلف منازلهم ، لأنهم لم يجرؤوا على القدوم إلى الشاطئ ، وبعد

أن أطلقنا بعض القذائف عليهم ، ذهبنا لنرسو بالقرب من جزيرة "سانت جورج" "غوا" "Goa" و"سينا" "Sina"حيث انتظرنا هناك ثلاثة أيام أخرى كي يمنحنا الله الطقس الجيد .

في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر ، تركنا هذه الجزر ، ولأن الرياح كانت خفيفة ، فعندما حل فجر السبت الموافق الثلاثين من ذلك الشهر ، كنا على بعد ثمانية وعشرين فرسخاً من الجزر التي ذكرناها .

بحلول صباح ذلك اليوم تقدمنا حتى أرض المسلمين ، حيث كنا ندفع إلى الوراء بفعل التيارات القوية .

في يوم الأحد الأول من إبريل ، ذهبنا إلى بعض الجزر التي تقع بالتوازي مع البر الرئيس . أول هذه الجزر يطلق عليها اسم "جزيرة الرجل الذي ضرب بالسوط" (كذيبة) ، لأنه في ليلة السبت كذب المرشد المسلم الذي كان معنا على الضابط وزعم أن هذه الجزر هي البر الرئيس ، وبسبب ذلك تم جلده بالسوط .

إن سفن هذه الدولة تبحر بين البر الرئيس والجزر حيث يصل عمقها إلى أربع قامات ، لذلك لم ندخل وظللنا في البحر . إن الجزر كثيرة جداً ومتقاربة جداً من بعضها البعض ، فلم نستطع أن نفرق واحدة عن الأخرى ، وهي أيضاً مأهولة بالسكان .

في يوم الأحد رأينا جزراً أخرى على بعد خمسة فراسخ داخل

البحر ، وفي يوم الأربعاء ، الرابع من إبريل ، غادرنا وأبحرنا نحو الشمال الغربي ، وقبل منتصف اليوم أبصرنا مساحة واسعة من الأراضي الواسعة وجزيرتين متجاورتين . كانت هذه الأرض محاطة بالكثير من المياه الضحلة ، وبمجرد أن اقتربنا كفاية لاحظها مرشدو السفن وقالوا بأن جزيرة المسيحيين ("كلوة" "Kilwa") تقع على بعد ثلاثة فراسخ باتجاه الخلف .

لقد تعبنا طوال اليوم ونحن نحاول الوصول إليها ، ولكن لأن الرياح الغربية كانت قوية ، فلم نتمكن من القيام بذلك ، وقرر الضابط بعد ذلك أنه علينا التوجه إلى مدينة تسمى "ممباسا" ، والتي تبعد عنا مسافة أربعة أيام إبحاراً .

قد كانت تلك إحدى الأماكن التي جئنا لإيجادها ، لأن مرشدي السفن الذين أحضرونا إليها قالوا لنا إنها مسيحية ، وعندما وصلنا بفعل الرياح القوية ، كان الوقت متأخراً بالفعل ، وعندما هبط الليل رأيت جزيرة كبيرة "مافيا" "Mafia" تقع عند شمالنا ووفقاً لرواية مرشدي السفن ، فإنه يوجد عليها مدينتان ، واحدة مسيحية والأخرى مسلمة .

في تلك الليلة خرجنا في طريقنا إلى البحر ، وعندما حل النهار لم نتمكن من رؤية اليابسة مرة أخرى ، ثم أكملنا باتجاه الشمال الغربي ، وفي وقت بعد الظهر رأينا اليابسة مرة أخرى .

في تلك الليلة سافرنا شمالاً من الشمال الغربي ، وخلال المراقبة

النهارية غيرنا الاتجاه إلى شمال الشمال الشرقي ، وبينما كنا نبحر كانت الرياح تملأ أشرعتنا ، وقبل ساعتين من الفجر ، سقطت "سانت رافايل" مرتطمة بالأرض على بعض الكثبان الرملية على بعد فرسخين من البر الرئيس ، وبمجرد أن ارتطمت بالقاع حذر الضابط القبطان الضباط الآخرين الذين كانوا يلحقون بنا .

عندما سمعوا صرخاته ، ألقوا المراسي على مسافة طلقة قذيفة منه وأنزلوا القوارب ، ومع أمواج الجزر المنخفضة كانت السفينة مرتفعة وجافة ، وبمساعدة القوارب ، ألقوا العديد من المراسي داخل البحر ، وعندما جاء المد المرتفع خلال النهار ، وقد تحررت السفينة بقوة ، كان في ذلك راحة للجميع .

على البر الرئيس المواجه للكثبان الرملية ، توجد سلسلة مرتفعة من الجبال الرائعة ، وقد سميت هذه على اسم "سانت رافائيل" وكذلك الكثبان .

بينما كانت السفينة مدفوعة نحو الشاطئ ، اقتربت منا اثنتان من "الماديا" ، وقد أحضرتا العديد من البرتقال الحلو الرائع ، لنا ولهم ، وكان أفضل من الذي يوجد في البرتغال ، وقد بقي اثنان من المسلمين على متن السفينة ، وفي اليوم التالي جاؤوا معنا إلى مدينة تسمى "ممباسا" .

في صباح السبت ، السابع من ذلك الشهر ، وفي ليلة أحد السعف ، أبحرنا بامتداد الساحل ورأينا جزراً تبعد خمسة عشر

فرسخاً من البر الرئيس ، وتمتد لحوالي ستة فراسخ ، وعلى هذه الجزر "بمبا" ، وهي مأهولة كلها بالمسلمين الذين يصنعون الصواري لأشرعة سفن الدولة .

عند الغروب ألقينا المراسي بعيداً عن مدينة "ممباسا" ، ولكننا لم ندخل الميناء ، وعند وصولنا ، أتى إلينا قارب "زافرا" محملاً بالمسلمين ، وكان أمام المدينة العديد من السفن مزينة بالأعلام ، وكيلا يتغلبوا علينا ، قمنا بإظهار البعض القليل منا ، بالرغم من أننا كنا قليلين ، ومن كانوا لدينا كانوا مرضى .

قد رسونا هناك بمعنويات مرتفعة ، ظناً منا أنه يمكننا أن نذهب للشاطئ اليوم التالي لنحضر القداس مع المسيحين ، والذين كنا متأكدين أنهم يعيشون هناك تحت ظل قائدهم ، معزولين عن المسلمين .

إن مرشدي السفن الذين كانوا يبحرون معنا أخبرونا بأن هناك مسلمين ومسيحين يسكنون على جزيرة "ممباسا" ، وتعيش كل جماعة في جزئها الخاص بها ولها قائدها الخاص .

عندما وصلنا كانوا يعاملوننا باحترام كبير ورحبوا بنا في بيوتهم ، وقد كان ذلك ليعطي انطباعاً ، وليس لأن الأمر كذلك في الحقيقة .

في الساعة الثانية عشرة من تلك الليلة اقترب حوالي مائة رجل في قارب "زافرا" وكانوا مسلحين بالسيوف المقوسة والدروع ، وعندما

وصلوا إلى سفينة الضابط القبطان ، أرادوا أن يصعدوا على متنها بأسلحتهم ولكنه لم يسمح لهم بذلك . لم يصعد سوى أربعة أو خمسة من أكثر الرجال أهمية ، وقد أمضوا حوالي ساعتين معه قبل مغادرتهم ، ولقد جعلنا ذلك نظن أنهم جاؤوا ليروا ما إذا كان من الممكن أن يستولوا على إحدى سفننا .

في "أحد السعف" أرسل ملك "ممباسا" خروفاً والعديد من سلال البرتقال والليمون وقصب السكر إلى الضابط القبطان ، قد أرسل إليه أيضاً خاتماً كضمان ، وقال إنه إذا قرر دخول الميناء فإنه سيعطيه كل شيء يحتاج له ، وقدم رجلان من فاتحي البشرة تلك الهدايا ، وقد كانا مسيحيين ، ولقد صدقنا ما قالوه ، وقد أرسل الضابط القبطان إلى الملك سلسلة من المرجان وأخبره أنه سوف يدخل الميناء في اليوم التالي .

في نفس اليوم ظل أربعة من القادة المسلمين على سفينة الضابط ، وأرسل الملك رجلين إلى ملك تلك المدينة ، ليعطي تأكيداً آخر على السلام ، وعندما ذهب هؤلاء إلى الشاطئ ، تبعهم فوراً حشد كبير إلى باب القصر ، وقبل الوصول إلى الملك ، عبروا خلال أربعة أبواب ، وأحيطوا بأربعة حراس أبواب وكان في أيديهم سيوف مقوسة مسلولة .

عندما وصلوا في حضرة مجلس الملك ، عاملهم ببالغ الحفاوة وأعطى الأمر بأن يروا المدينة كلها ، وقد أخذوا إلى منزل تاجرين

مسيحيين ، وهما أطلعا الرجلين على رسالة ، والتي كانوا يبجلونها ، وكان عليها رسمٌ للروح المقدسة ، وعندما رأوا كل شيء ، وقد أرسل معهم الملك عينات من القرنفل والفلفل الأسود والزنجبيل والذرة إلى الضابط ، وقال إنه من المسموح لنا تحميلها .

في يوم الثلاثاء ، بينما كنا نرفع المرسى لدخول الميناء ، لم تكن سفينة الضابط القبطان قابلة للدوران ، وكانت عالقة من المؤخرة في الكثبان الرملية ، ولذلك ألقينا المراسي مرة أخرى .

عندما رأى المسلمون الذين كانوا في سفننا بأننا لن نغادر ، تكدسوا داخل (زافرا) ، وبينما كنا نعود نحن للوراء ، غطس مرشدا السفن اللذان أحضرناهما معنا من "موزمبيق" في البحر وتم التقاطهم من قبل من كانوا في (زافرا) .

عندما حل المساء ، قام الضابط بتعذيب المسلمين الاثنين ، من ضمن من كانوا معنا على متن السفينة ، وذلك بواسطة زيت مغلي ليجعلهما يعترفان ما إذا كان قد تم الترتيب لأي خيانة ، وقد اعترفوا بأنهم قد أمروا بأن يمسكوا بنا عندما ندخل الميناء ، وبالتالي نثأر لما حدث في "موزمبيق" .

قد كان الملك على وشك أن يعذب أحدهم مرة أخرى عندما ألقى بنفسه في البحر ، بالرغم من أن يديه كانتا موثقتين ، قد قفز الآخر من على متن السفينة خلال مراقبة النهار .

في منتصف الليل ، وصلت سفينتا "الماديا" ممتلئة بالرجال ، والذين غاصوا وعاموا حتى "البيرو" ، بينما ظلت "الماديا" على مسافتها ، وانطلق آخرون باتجاه "سانت رافايل" ، ومن اتجهوا إلى "بيرو" وبدأوا في تقطيع الأسلاك .

ظن الحراس بأن هناك خنازير البحر ، ولكن عندما أدركوا ما كان يحدث نادوا على السفن الأخرى ، وعندما تم اكتشاف من كانوا معلقين على حبل الصاري للشراع الأمامي لـ "سانت رافايل" ، ظلوا صامتين ، ونزلوا إلى الماء وسبحوا بعيداً . لقد خطط هؤلاء الكلاب لهذا ولغيره من الأذى ، ولأنهم لم يؤمنوا به ، فإنها لم تكن إرادة إلهنا أن ينجحوا .

إن "ممباسا" كبيرة ومبنية على أرض مرتفعة ، وهي محاطة بالبحر ، وهي ميناء تدخله العديد من السفن يومياً ، وفي المدخل يوجد "بادراو" وفي البلدة القريبة من البحر يوجد غابة صغيرة .

الذين ذهبوا إلى الشاطئ ، قالوا لنا إنهم رأوا العديد من الرجال بالسلاسل يسيرون عبر البلدة ، ومن وجهة نظرنا ، فإنه يجب أن يكون هؤلاء الرجال مسيحيين ، لأن المسيحيين في هذه الدولة في حرب مع المسلمين .

إن المسيحيين في تلك المدينة مثل تجار مقيمين ، وهم خاضعون ، ولا يسمح لهم بعمل أي شيء غير ما يأمر به الملك المسلم .

كانت مشيئة الله أنه عندما اقتربنا من تلك المدينة ، تعافى كل الرجال المرضى الذين كانوا معنا على السفينة فجأة ، وذلك برحمته ، لأن هذه الدولة بها مناخ صحي جداً .

لقد كنا لانزال هناك في يومي الأربعاء والخميس ، بعد أن أدركنا الحقد والخيانة التي حاول هؤلاء الكلاب أن يرتكبوها ضدنا ، وقد غادرنا في الصباح مع النسيم الخفيف ، ورسونا بالقرب من الشاطئ على بعد ثمانية فراسخ من "ممباسا" .

عند الفجر رأينا سفينتين باتجاه رياحنا على بعد ثلاثة فراسخ من داخل البحر ، وقد قررنا الاقتراب والإمساك بهم لأننا أردنا مرشدي سفن كي يرشدونا إلى أين نريد أن نذهب .

مع حلول الليل اتجهنا إلى أحد القوارب وأمسكنا به بينما التجأ الآخر بالشاطئ ، وقد وجدنا في القارب الذي أمسكنا به سبعة عشر رجلاً ، وبعض الذهب والفضة وكميات كبيرة من الذرة والطعام ، وكذلك وجدنا إمرأة مسلمة على متن القارب ، وهي زوجة مسلم عجوز لكنه مخلص ، ومع اقترابنا ، ألقوا جميعاً بأنفسهم في الماء ، وبدأنا في التقاطهم في قواربنا الصغيرة .

عند الغروب في نفس اليوم ألقينا بالمرسى بعيداً في مكان يسمى "ماليندي" ، والتي تبعد ثلاثين فرسخاً عن "ممباسا" . يوجد بين "ممباسا" والمدينة الأماكن التالية : "ماتابيفا" "Matabeva" ، و"توسا" "Tosa" و"مينجوا" "Mingua" ، و"كيليفي" "Quilivi" .

في أحد عيد الفصح ، قال لنا المسلمون الذين قبضنا عليهم ، إن أربع سفن بها مسيحيون من الهند في مدينة " ماليندي" ، وإذا كنا أخذناهم إلى هناك لكانوا سيوفرون لنا شخصياً مرشدين مسيحيين ، وأي شيء نريده مثل اللحم والماء والخشب وأشياء أخرى .

أراد الضابط القبطان بشكل شديد أن يحصل على مرشدي سفن من الدولة ، وبعد أن ناقش المسألة مع المسلمين ، رسونا على بعد نصف فرسخ من الشاطئ ، أمام المدينة .

لم يجرؤ أهل البلدة على الاقتراب من السفن ، لأنه قد تم إبلاغهم من قبل ، وكانوا مدركين أننا أمسكنا بقارب به بعض المسلمين .

في يوم الاثنين صباحاً ، أعطى الضابط القبطان أوامره بأن يوضع المسلم العجوز على الكثبان الرملية أمام البلدة ، وقد ذهبت "الماديا" إلى هناك لأخذه ، وقال المسلم للملك ما أراده الضابط ، وكم أنه سيكون مسروراً لعقد السلام معه .

بعد العشاء ، عاد المسلم في (زافرا) ، والتي أرسل ملك المدينة فيها أحد نبلائه ، الشريف وثلاثة خراف ، وأرسل إلى الضابط قائلاً بأنه سيكون مسروراً أيضاً إذا كان هناك معاهدة سلام بينهم وأن تكون قائمة على شروط جيدة ، وإذا أراد أي شيء من أرضه سيعطيه إياه بكل سرور ، سواء أكان من مرشدي سفن أو أي شيء آخر .

قد أرسل الضابط القبطان رسالة إليه بأنه سيأتي إلى الميناء في اليوم التالي ، وقد أرسل له مع رسوله "برنسا" "Princa" وسلسلتين من خرز المرجان ، وثلاث جفنات ، وقبعة وبعض الأجراس وقطعتين من القماش المخطط .

هكذا في يوم الثلاثاء اقتربنا من البلدة ، وأرسل الملك إلى الضابط ستة خراف وكمية كبيرة من القرنفل والكمون والزنجبيل وجوزة الطيب والفلفل الأسود ، وأرسل له بأنه يريد أن يقابله على البحر يوم الأربعاء ، يمكنه أن يذهب في "الزافرا" الخاصة به ، ويجب أن يذهب الضابط القبطان في قاربه .

بعد الغداء يوم الأربعاء ، أتى الملك واقترب من السفن في "زافرا" ، وقد ظهر القبطان في قاربه ، والذي كان مجهزاً جيداً ، وعندما وصل الملك ، شغله الأخير في محادثة ، وقد تبادلوا العديد من الكلمات الجيدة بشكل صدوق ، وقد طلب الملك من الضابط ، من بين أشياء أخرى ، ليصطحبه معه إلى منزله كي يستريح ، بينما صعد هو على متن السفن ، وقد قال له الضابط بأنه لا يملك أي سلطة من سيده بأن يذهب إلى الشاطئ ، وإذا فعل ذلك فسيتم إرسال رسالة غير مرغوب فيها للشخص الذي أرسله إلى هناك .

أجاب الملك بأنه إذا صعد على متن سفنه ، ما هي الرسالة التي يمكن أن تصل إلى شعبه ، ماذا سيقولون؟ وقد طلب اسم ملكنا ،

وقد تم إعطاؤه إياه مكتوباً ، وقال بأنه إذا عدنا إلى هناك سوف يرسل سفيراً أو سوف يكتب لنا .

عندما قال كل منهما كلمته ، أرسل الضابط لكل المسلمين الذين قبض عليهم وقام بتسليمهم ، وقد سر ذلك الملك جداً وقال بأنه قدر ذلك أكثر من لو كان قد أعطاه مدينة .

لقد تمتع الملك كثيراً بالتجول عبر السفن ، حيث تم إطلاق العديد من القذائف ، وقد سر جداً عندما رآها وهي تقذف ، ولقد استمر ذلك لمدة ثلاث ساعات تقريباً ، وعندما رحل ، غادر خلف أحد أبنائه وشريف ، وتحت طلبه الخاص ، عاد اثنان من رجالنا معه لمسكنه لأنه أرادهم أن يروا قصوره ، وقد أخبر الضابط أيضاً أنه بما أنه لن يذهب إلى الشاطئ فإنه ، يجب أن يبحر بامتداد الساحل في اليوم التالي ، ومن جانبه سوف يجعل الملك فرسانه يظهرون رماحهم ويستعرضون .

تلك هي الأشياء التي أحضرها الملك : رداء كهنوتي بلا أكمام لونه أحمر مائل للرمادي ، مبطن بالستان الأخضر ، وعمامة فخمة وكرسيان برونزيان ، وخيمة من الساتان القرمزي ، وهي دائرية ومدعمة بوتد ، وقد كان لديه رجل في مثل سنه ، والذي كان يحمل سيفاً قصيراً ذا غمد فضي ، والعديد من الأبواق الإسلامية ، وقرنين من العاج في نفس طول الرجل ، والتي كانت منحوتة بشكل كثيف ،

ويتم العزف عليها من خلال فتحة في الجانب ، وعندما تعزف ، تتناغم مع الأبواق .

في يوم الثلاثاء ، ذهب الضابط القبطان و"نيكولاو كويلهو" في قوارب صغيرة بها قذائف في مقدمتها وأبحروا بطول المدينة .

لقد كان هناك العديد من الرجال يتحركون على الشاطئ ، وكان من ضمنهم اثنان على ظهر أحصنة ، وكانوا يقفزون ويتبخترون ، بمجرد ظهورهم .

هناك حملوا الملك على المحفة من على سلم حجري في بلاطه ، وأحضروه أمام الضابط في قاربه الصغير ، وطلب من الضابط مرة أخرى أن يذهب إلى الشاطئ ، لأنه كان لديه أباً مشلولاً والذي كان تواقاً لرؤيته ، وإنه سيأتي هو وأولاده على متن سفنه ، ولكن الضابط رفض .

هنا وجدنا أربع سفن تابعة لمسيحيين من الهند ، وفي المرة الأولى التي جاؤوا فيها إلى سفينة "باولو دا غاما" ، حيث كان الضابط ، أروهم نقشاً خلف مذبح الكنيسة لسيدتنا عند قدم الصليب مع عيسى المسيح بين زراعيها ، مع الحوارين ، وعندما رأى الهنود تلك الصورة رموا بأنفسهم على الأرض . بينما كنا هناك جاؤوا لأداء صلواتهم وأحضروا القرنفل والفلفل الأسود وأشياء أخرى عرضوها .

إن هؤلاء الهنود بشرتهم داكنة اللون ، ويرتدون القليل من

الملابس ، لديهم لحية كبيرة وشعر مضفر ، ووفقاً لما قالوا ، فهم لا يأكلون لحم البقر ، ولغتهم تختلف عن لغة المسلمين ، إلا أن بعضاً منهم يعرف القليل من العربية بسبب الاتصال المستمر بينهم والعرب .

في اليوم الذي أبحر فيه الضابط القبطان في القارب الصغير بالقرب من البلدة ، أطلقت سفن الهنود المسيحيين العديد من القذائف ورفعوا أيديهم عندما رأوهم يعبرون ، وكانوا يصرخون جميعا بفرح شديد : المسيح" " المسيح" .

في ذلك اليوم طلبوا إذن الملك بأن يسمح لهم بإقامة احتفال لنا ، وعندما حل الليل نظموا احتفالاً ضخماً ، وأطلقوا العديد من القذائف ، وأطلقوا الصواريخ والطلقات العالية .

بالإضافة إلى ذلك قال هؤلاء الهنود للضابط القبطان إنه يجب أن يذهب إلى الشاطئ ، وألا يثقوا في إغراءات موسيقاهم ، لأنها لم تنبع من القلب أو من النية الصافية .

في يوم الأحد التالي ، وهو الثاني والعشرون من إبريل ، جاء كاتم سر الملك على متن السفينة من قاربه "زافرا" ، وعندما لم يقترب أحد من سفننا لمدة يومين ، قام القبطان بالقبض عليه وأرسل إلى الملك بأن يبعث له مرشدي السفن اللذين وعد بهما .

بمجرد استلام الملك الرسالة قام بإرسال مرشد مسيحي ، ثم قام

الضابط بعد ذلك بتحرير النبيل ، والذي كان محتجزاً في السفينة ، ولقد سعدنا جداً بالمرشد المسيحي الذي أرسله الملك لنا .

لقد تعلمنا من هنا أن هذه الجزيرة ، والتي تم إخبارنا في "موزمبيق" بأنها مسيحية ، كانت في الحقيقة في شقين : نصفها مسلم والنصف الآخر مسيحي ، وكان يحكمها نفس حاكم "موزمبيق" .

لقد كان هناك العديد من اللآلئ الصغيرة على تلك الجزيرة ، وقد أراد المرشد المسلم بأن يأخذنا إلى هناك ، وقد وافقناه في ذلك ، فقد آمنا أنها تماماً مثلما يقولون .

إن بلدة "ماليندي" تقع على الخليج ، وتمتد بطول الشاطئ ، وهي تشبه إلى حد كبير "ألكوتشيت" "Alcochete" . المنازل كلها عالية ومغسولة بالكلس بشكل رائع ، ولها العديد من النوافذ ، وعلى امتداد طولها ، عند المنطقة النائية القريبة من المنازل ، يوجد بستان نخيل واسع ، وكل الأرض المحيطة مزروعة بالذرة وغيرها من الخضراوات .

لقد استرحنا بعيداً عن تلك البلدة لمدة تسعة أيام ، وفي تلك الأيام التسعة كانت هناك مهرجانات دائمة تم تنظيمها على الشاطئ فيها العديد من رقصات الخيول والكثير من الموسيقى .

في يوم الثلاثاء ، ويصادف الرابع والعشرين من ذلك الشهر ، غادرنا من هناك مع المرشد الذي أعطانا إياه الملك إلى مدينة تسمى

"كلكتا" ، ولقد كان لدى الملك معلومات عنها ، ولقد أبحرنا باتجاه الشرق لنجدها .

يسير هنا الساحل من الشمال إلى الجنوب ، وبالتالي تشكل الأرض خليجاً كبيراً ومضيقاً .

وفقا للأخبار التي وصلتنا ، يوجد العديد من البلدات المسيحية والمسلمة في ذلك الخليج ، بالإضافة إلى مدينة تسمى "كامباي" "Campay" ، ويوجد أيضاً بداخلها ستمائة جزيرة والبحر الأحمر وبيت مكة .

في يوم الأحد الذي يليه أبصرنا النجم الشمالي ، والذي لم نره منذ وقت طويل .

في يوم الجمعة ، الثامن عشر من مايو ، رأينا أرضاً مرتفعة ، وذلك بعد ثلاثة وعشرين يوماً لم نلمح فيها اليابسة . لقد كنا نسافر دائماً مع رياح مواتية خلال ذلك الوقت ، فإن أقل ما كنا نستطيع تغطيته في ذلك العبور هو ستمائة فرسخ ، ولقد قمنا بالرصد هناك لعمق خمس أربعين قامة ، وفي نفس الليلة اتجهنا في طريقنا جنوب الجنوب الشرقي ، كي نبعد أنفسنا عن الساحل .

في اليوم التالي اتخذنا طريقنا باتجاه اليابسة ، ولكننا لم نتمكن من الاقتراب كفاية ، كي يتأكد مرشدنا بشكل جيد من الدولة ، ولقد كان ذلك بسبب المطر الكثيف ، ووابل الرعد على تلك الأرض خلال تلك الرحلة بامتداد الساحل .

في يوم الأحد كنا بالقرب من الجبال ، والتي تطل على مدينة "كلكتا" ، ولقد اقتربنا منها كثيراً لدرجة أن المرشد الذي كان معنا لاحظها ، وقال لنا بأن تلك هي الدولة التي أردنا الذهاب إليها .

في مساء ذلك اليوم ذهبنا للرسو على بعد فرسخين من مدينة "كلكتا" ، وذلك لأن المرشد أخطأ في بلدة تعرف هنا باسم "كابوا" "Capua" عوض "كلكتا" ، وأسفل هذه البلدة توجد واحدة أخرى تسمى "باندراني" "Bandarani" (كولان) ، ولقد ألقينا بالمرسى على امتداد الساحل ، حوالي فرسخ ونصف عن الشاطئ .

عندما رسونا اقتربت منا أربعة قوارب من اليابسة ، ولقد أرادوا معرفة من نحن ، وقد أشاروا إلى البلدة وقالوا إنها "كلكتا" .

في اليوم التالي ، جاءت تلك القوارب مرة أخرى إلى سفننا ، وقد أمر القبطان أحد الموقوفين الصادرة بحقهم بعض الأحكام بالرحيل وبالذهاب إلى "كلكتا" ، والذين ذهبوا معه أخذوه لمقابلة اثنين من مسلمي تونس ، وكان يمكنهما التحدث باللغة الاسبانية وبلغة "جنوة" ، ولقد كانت أول تحية لهم هي كالتالي : "حسناً ، سوف أنفجر! ما الذي جاء بكم إلى هنا؟" ثم سألوه ما الذي جئنا من أجله حتى الآن؟ وأجاب:" لقد جئنا للبحث عن مسيحيين ، وتوابل" .

قد أجابوا على ذلك:" لماذا لم يرسلكم ملك "قشتالة" ، وملك فرنسا وسنيور البندقية إلى هنا؟"

لقد كان رده هو أن ملك البرتغال لن يوافق بأن يحكموا هنا ، ولقد قالوا بأنه كان على حق فعلاً .

بعد أن استقبلوه بدفء شديد أعطوه خبزاً من القمح وعسلاً كي يأكل ، وعندما أنهى طعامه عاد إلى السفن ، وكان بصحبة أحد المسلمين ، والذي بدأ في قول تلك الكلمات بمجرد صعوده على متن السفينة : "حظ سعيد ، حظ سعيد ، الكثير من الياقوت الأحمر ، والكثير من الزمرد . يجب أن تشكروا الله كثيراً بأن أحضركم إلى أرض بها الكثير من الثروات" ، ولقد كانت دهشة كبيرة لنا أن نراه يتحدث ، لأننا لم نكن نحلم بأن يكون هناك أي شخص بعيد عن البرتغال يمكنه أن يفهم لغتنا .

إن مدينة "كلكتا" هذه مأهولة بالمسيحيين وهم رجال سمر البشرة . البعض لديه لحية أنيقة وكثيفة ، وشعرهم طويل ، وبعضهم يحلقون رؤوسهم ، وبعضهم شعرهم شبه مقصوص إلا أن بعضهم يرتدي قنزعة كدليل على أنهم مسيحيون ، ولهم شوارب مع لحيتهم ، ولقد ثقبوا آذانهم ، ووضعوا العديد من الذهب في الثقوب ، وهم يسيرون عرايا من الخصر إلى الأعلى ، ومن الأسفل يرتدون تنورة قطنية رقيقة ، إن من يرتدون هكذا هم الأكثر وقاراً ، فالآخرون يرتدون أفضل ما لديهم .

إن نساء تلك الدولة بشعات بشكل عام ، وأجسامهن صغيرة ، وهن يرتدين العديد من المجوهرات الذهبية حول رقابهن والعديد

من الأساور حول أذرعهن ، ويوجد في أصابع أقدامهن أحجار كريمة . إن كل هؤلاء الناس طيبون بالفطرة ولطيفون ، وإلى حد رؤيتنا ، في النظرة الأولى ، فإن الرجال جد متكبرين وجشعين .

في الوقت الذي وصلنا فيه إلى مدينة "كلكتا" ، كان الملك يبعد خمسة عشر فرسخاً عنها ، وقد أرسل الضابط القبطان رجلين إلى هناك ، وقد أوكل إليهما أن يقولا بأن سفير ملك البرتغال كان هناك يحضر الرسائل معه وإذا كان سيختار ، كان سيأخذ السفير الرسائل إلى حيث أراد .

عندما استلم الملك رسائل الضابط ، كافأ الرجلين ببعض لفات من القماش الفاخر ، وقد أرسل كلمات بأنه مرحب به جداً ، وأنه سيأتي على الفور إلى "كلكتا" ، وقد قام بذلك بالفعل مع حاشية كبيرة .

قد أرسل لنا مرشداً مع هؤلاء الرجال ، وقد أخذنا إلى مكان يسمى "باندراني" أسفل المكان الذي رسونا فيه أول مرة ، وقد كنا الآن نستريح خارج مدينة "كلكتا" ، لأنه كان هناك ميناء جيد ، حيث يمكننا أن نرسو فيه لأن المكان الذي كنا فيه كان مرسى فقيراً ، وهو كذلك في الحقيقة ، ومن العادة أن ترسو السفن التي تأتي إلى هذه الدولة هناك كي تكون في أمان .

بعد أن رأى رسالة الملك ، أمر الضابط القبطان بأن يرفع الشراع ، لأننا لم نكن مستريحين هناك ، وذهبنا لنرسو في الميناء ، إلا أننا لم نصل إلى المكان الذي أراده المرشد ، الذي أعطانا إياه الملك .

بعد أن استقرينا ورسونا في الميناء ، وصلت رسالة من الضابط القبطان إلى الملك ، والذي كان في المدينة بالفعل ، وقد أرسل رجلاً يسمى (الوالي) ، وهو مثل القائد (والذي يحضر دائما بصحبة مائتي رجل معهم سيوف ودروع) ليشكلوا حامية للضابط القبطان ليذهب إلى بلدة "باندراني" ، حيث كان الملك وغيره من الرجال المميزين في الانتظار .

في اليوم الذي وصلت فيه الرسالة ، قرر القبطان بألا يذهب لأن الوقت كان متأخراً ، وفي اليوم التالي ، وهو الاثنين ، وصادف الثامن والعشرين من مايو ، ذهب الضابط ليتحدث مع الملك ، وقد أخذ معه ثلاثة عشر من رجاله ، وقد كنت أحدهم ، وقد ذهبنا جميعاً في أبهى حلة ، وقد أخذنا قذائف في قواربنا ، وبعض الأبواق والكثير من الأعلام .

بمجرد أن هبط الضابط القبطان على الشاطئ ، جاء القائد ومعه العديد من الرجال مسلحين وغير مسلحين ليستقبلوه بالكثير من الود والضيافة ، وكأنهم كانوا سعداء لرؤيته ، وللمرة الأولى بدوا وكأنهم يهددون لأنهم كانوا يحملون أسلحتهم المجردة في أيديهم ، وقد أحضر الرجال للضابط القبطان بعض المحفات ، والتي ينقل فيها عادة الناس المهمين في الدولة ، وإذا أراد التجار استخدامها فعليهم أن يدفعوا للملك مبلغاً معيناً .

قد دخل القبطان في إحداها وحمله ستة رجال على أكتافهم ،

وظللنا نحن بعد ذلك مع جمع من الناس نتبعهم ، وتجاوزا الحدود نحو "كلكتا" ، ومن هنا من "باناراني" ذهبنا أولاً إلى بلدة أخرى تسمى "كابوا" ، وهناك أسكنوا الضابط في منزل أصحاب المقام الرفيع ، وكان لديهم بعض طعام مطهي لنا يتكون من الأرز والزبدة والسمك المسلوق الممتاز ، ولكن القبطان رفض الأكل .

بعد أن أكلنا ذهب الضابط القبطان على متن سفينة بالقرب من النهر ، والذي كان يتدفق بامتداد الساحل بين البحر والبر الرئيس . إن عدد القوارب التي ركبوها كانت اثنين وكانتا مربوطتين بطريقة تمكنهما من الإبحار سوية . بالإضافة إلى العديد من القوارب المحملة بالعديد من الناس ، كان هناك عدد لا يحصى جاء من البر (ولا يمكن أن أقول شيئاً عنهم) ، وقد جاؤوا جميعاً لرؤيتنا .

كنا سنسافر حوالي فرسخ واحدٍ أعلى النهر ، حيث رأينا العديد من سفن القرقور الكبيرة والواسعة ، والتي سحبت عالياً وأصبحت جافة لأنه لم يعد هناك ميناء ، وبعد أن نزلنا من السفينة عاد الضابط القبطان إلى المحفة الخاصة به وأكملنا رحلتنا .

إن عدد الناس الذين جاؤوا لرؤيتنا كان كبيراً جداً ، لدرجة أنه لا يمكن عدهم ، ولقد تركت النساء منازلهن أيضاً ، وكان أطفالهن على أيديهن ولحقوا جميعاً بنا ، ثم أخذونا إلى كنيسة كبيرة ، وقد لاحظنا الأشياء التالية:

أولا ، كان جسم الكنيسة في نفس حجم الدير ، وهي مبنية من

حجارة مربعة ، والسقف من الطوب . يوجد للباب الأمامي عمود برونزي في نفس حجم الصاري ، متوج بطائر يشبه الديك ، قد كان هناك عمود آخر بسيط في حجم الإنسان .

في منتصف الطريق أسفل صحن الكنيسة يوجد معبد منحوت من الصخر وبه باب كبير واسع يتسع لرجل ، وبه سلم حجري يؤدي إلى أعلى من ذلك الباب ، والذي كان من البرونز ، وكان بداخله تمثال صغير ، وقد ادعوا بأنه لسيدتنا .

أمام الباب الأمامي للكنيسة ، بامتداد الجدار ، كانت هناك سبعة أجراس صغيرة ، أدى الضابط صلواته هنا ونحن معه .

لم ندخل المعبد لأنه من عادتهم ألا يدخل المعبد سوى بعض رجال معينين يخدمون الكنائس ، والذين يعرفون باسم قساوسة ، وهم يرتدون بعض الخيوط ترمى على الكتف الأيسر وتمر من تحت الكتف الأيمن ، تماماً مثلما يرتدي شماس الكنيسة ، ولقد رشونا بالمياه المقدسة ، وقد أعطونا طمياً أبيض ، والذي يستخدمه مسيحيو البلاد عادة فيمسحون جباههم وصدورهم وأعناقهم وسواعدهم به .

لقد أدوا الطقوس كاملة أمام القبطان وأعطوه كذلك الطين ، ولقد قبله ثم وضعه جانباً بما يعني إنه سوف يستعمله في وقت لاحق .

إن الكثير من القديسين كانوا مرسومين على الجدران في الكنيسة ولقد كان الرسم منفذاً بطريقة غريبة لأن أسنانهم كانت

كبيرة جداً لدرجة أنها خارجة من أفواههم مسافة بوصة ، وكان لكل قديس أربعة أو خمسة أذرع .

تحت الكنيسة يوجد صهريج كبير منحوت من الصخور ، مثل غيره من الصهاريج الكثيرة التي وجدناها في الطريق .

عندما غادرنا من هناك ، أخذونا إلى كنيسة واحدة أخرى عند بوابة المدينة لها نفس الصفات المذكورة سابقاً ، وهنا زاد عدد الناس الذين جاؤوا لرؤيتنا كثيراً لدرجة أنهم ملأوا الشارع ، وبعد أن سرنا في طريقنا لمسافة عبر الشارع ، أخذوا الضابط القبطان إلى منزل وأخذونا معه ، بسبب الزحام الشديد من الناس .

هنا أرسل الملك شقيق الوالي ، وهو أسقف كبير في المدينة ، وقد جاء ليرافق الضابط وأحضر العديد من الطبول ، والأبواق (النافيلز) ، وآلات الشوم ، وبندقيات قديمة ، والتي ظل يطلقها فوق رؤوسنا ، وبعد ذلك حملوا الضابط باحترام شديد ، مثل بل وأكثر مما يظهروه إذا حملوا ملك "إسبانيا" .

لقد كان هناك العديد من الناس لدرجة أنه لا يمكن عدهم ، ولقد امتلأت كل المنازل والأسطح بهم ، بالإضافة إلى من كانوا يتجمهرون حولنا ، والذين لابد أن يكونوا وصلوا إلى ألفي رجل مسلحين ، وكلما اقتربنا من القصر الذي يسكن فيه الملك زاد الحشد .

بمجرد أن وصلنا إلى مشارف القصر جاء العديد من النبلاء العظام

والبارزين ، غير العديد من الآخرين الذين جاؤوا معه بالفعل ، ولقد كانت الساعة حوالي الواحدة بعد الظهر عندما وصلنا عند القصر .

لقد دخلنا عبر بوابة وفناء فسيح ، وقبل أن نصل إلى المكان الذي كان ينتظر فيه الملك ، عبرنا من خلال أربعة أبواب ، كنا ندفع طريقنا عن طريق ضربه بين الناس عدة ضربات .

عندما وصلنا آخر باب ، حيث يسكن الملك ، ظهر رجل عجوز ، قصير القامة ، وقد كان أسقفاً يستخدمه الملك كي يدير أمور الكنيسة ، فعانق الضابط عند دخوله من الباب ، حيث جرح العديد من الرجال ، وقد دخلنا بجهد وعناء شديدين .

كان الملك على منصة ، مستلقياً على أريكة مزينة بقماش من المخمل الأخضر تحتها ، وعليها فراش فاخر وفوق الفراش كان هناك قطعة من القماش القطني الباهر ، وهو أفخر من الكتان ، وبها أيضاً وسائد بذات الجودة ، وفي يده اليسرى كان لديه كوب ذهبي كبير يصل ارتفاعه إلى جرة من الألمود .

كانت فتحتها تتسع لأصبعين (حيث تبدو سميكة جداً) ، ولقد ألقى في هذا الوعاء قطعاً من بعض الأعشاب والتي كان هؤلاء الرجال يمضغونها أثناء حرارة اليوم .

في الجانب الأيمن كان هناك حوض ذهبي في حجم يمكن لأحد أن يضمه بذراعيه ، وكانت بداخله تلك الأعشاب ، والعديد من الأواني الفضية ، وكانت السماء ذهبية بالكامل .

عندما دخل الضابط انحنى ، وفقاً لعادات الدولة ، وهي أن تضم الأيدي ثم ترفع إلى السماء ، وهي الطريقة التي يرفع فيها المسيحيون أيديهم إلى الله ، وما أن يرفعوها ، حتى يفتحون ويغلقون قبضة أيديهم بسرعة .

قد أشار إلى الضابط القبطان بأنه يجب أن يذهب تحت المظلة الذي كان فيها ، ولكن الضابط لم يقترب منه ، لأنه كان من المعتاد في تلك الدولة ألا يقترب أحد من الملك ، إلا إذا اقترب الخاصة له كي يعطوه تلك الأعشاب ، وإذا تكلم أحد معه (الملك) عليه أن يضع يديه على فمه وأن يبقي هناك مسافة ، وعندما أشار إلى الضابط ، نظر أيضاً باتجاهنا ، وقد أعطى تعليمات لنا بأن نجلس على مدرج بالقرب منه حيث يمكنه رؤيتنا .

قد أعطى الأمر بأن يتم إعطاؤنا ماء لأيدينا ، وبأن يتم إحضار بعض الفاكهة التي تشبه البطيخ إلا إنها من الخارج قاسية ومن الداخل حلوة ، وقد أمر أيضاً بفاكهة أخرى كالتين ذي النكهة الممتازة ، ولم يقشره بعض رجالنا ، وقد لاحظ الملك الطريقة التي كنا نأكل بها وضحك علينا ، وقد تحدث إلى كاتم سره والذي كان إلى جانبه ، والذي كان يزوده بالأعشاب التي ذكرناها سابقاً .

بعد ذلك ، نظر إلى الضابط ، والذي كان جالساً في الأمام ، وقال له بأن يتحدث مع الرجال الذين كانوا معه ، والذين كانوا مميزين جداً ، وبأن يسألهم عما يريد وسوف يخبرونه .

أجاب الضابط القبطان بأنه كان سفير ملك البرتغال ، وأنه قد أحضر له سفارة ، ولكنه لم يكن ليعرضها على أي أحد غيره ، وقد قال الملك بأن هذا جيد ، وأمر على الفور بأن يؤخذ إلى غرفة داخلية .

عندما كان في الداخل قام الملك وانضم للضابط ، بينما ظللنا نحن في مكاننا ، ولقد كان ذلك تقريباً في وقت الغروب ، ولذلك عندما قام الملك ، أزال رجل عجوز ، والذي كان في الداخل عند المنصة ، الأريكة ، بينما ظل الصحن الفضي هناك .

عندما انضم الملك للضابط ، استلقى على أريكة أخرى ، والتي كانت مغطاة بقطع كثيرة من الأقمشة مطرزة بالذهب ، وسأل الضابط ماذا كان يريد .

قد شرح الأخير ل بأنه كان سفيراً لملك البرتغال ، والذي كان صاحب أملاك ضخمة وكان يستمتع بالغنى بكل أنواعه ، أكثر من أي ملك في تلك المناطق .

لمدة السنوات الستين الأخيرة كان أجداد الملك يرسلون السفن إلى كل مكان لاكتشاف المنطقة ، فقد عرفوا أنه كان هناك بعض ملوك مسيحيين مثلهم هناك ، وبالتالي ، فقد أعطوا الأوامر باستكشاف تلك الدولة ، وذلك ليس لأنهم كانوا يحتاجون إلى الذهب أو الفضة ، فقد كان لديهم العديد منه لدرجة أنه لم يكن هناك حاجة لهذه الدولة أن تمتلكه ، وقد خرج ضباط السفن وأبحروا لمدة سنة

أو حتى لسنتين ، حتى لم يعد عندهم أي طعام ، وإذ لم يجدوا عادوا للبرتغال .

قد أمره الآن ملك يسمى "دوم مانويل" بأن يقوم ببناء ثلاث سفن ، وقد عينه قائداً عليها ، قائلاً له بألا يعود إلى البرتغال حتى يكتشف هذا الملك المسيحي ، وإذا عاد فسوف تقطع رأسه ، أما إذا وجده ، فسوف يقدم له رسالتين ، وعليه أن يسلمهما في اليوم التالي ، لذلك أمره بأن يقول على لسانه بأنه كان صديقه وأخاه .

رداً على ذلك ، قال الملك مرحباً به وبأنه يعتبره بذلك أخاه وصديقه وأنه سوف يرسل سفراء إلى البرتغال معه .

طلب منه القبطان بعد ذلك خدمة بأن يأخذ بعض الرجال من دولته معه ، بما أنه لم يكن يجرأ أن يظهر أمام الملك سيده ، إلا إذا أحضر بعضهم معه .

لقد دار بينهما داخل الغرفة حوار حول هذه الأشياء وغيرها ، وبما أن الوقت كان متأخراً بالفعل ، فقد سأله الملك إذا كان يريد أن يسكن مع مسيحيين أو مسلمين .

أجاب الضابط ، لا مسيحيين ولا مسلمين ، وطلب خدمة وهي أن يكون له سكن خاص به حيث لا يكون فيه أحد غيره ، وقال الملك بأنه سيقوم بهذه الترتيبات .

عندئذ ترك الضابط الملك وذهب إلى الشرفة حيث كنا ننتظر ، حيث

كان يوجد هناك شمعدان من البيوت والذي كان يمدنا بالضوء ، ولقد كان ذلك في حوالي الرابعة صباحاً .

قد انطلقنا مع الضابط في الاتجاه إلى مقر السكن ، وكنا بصحبة حشد كبير من الناس ، وكان المطر شديداً جداً لدرجة أن الشارع كان مغموراً بالماء .

قد حمل القائد على محفة على أكتاف ستة رجال ، وقد انتقلنا كثيراً عبر المدينة لدرجة أن الضابط نفد صبره واشتكى لمسلم عالي الرتبة ، وقد كان وكيل الملك التجاري ، والذي كان يصطحبه إلى مسكنه .

قد أخذه المسلم إلى مسكنه الخاص ، إلى فناء داخلي به منصة من الطوب ، عليها العديد من السجاجيد الكبيرة كالتي كانت مبسوطة عند الملك ، وكان عليها بعض المصابيح الحديدية وكانت مضاءة بالزيت أو الزبدة ، وكان في كل واحد أربعة فتائل ، والتي كانت تصدر الضوء الكثير ، وهي مصممة لحمل تلك المصابيح أو الشعلات الزيتية .

كان للمسلم حصان أحضره للضابط ليذهب إلى حيه ، ولكنه جاء بدون سرج ، ولم يرد الضابط بأن يركب على ظهر الحصان ، ولذلك ذهبنا في اتجاه المساكن ، والتي كان بها عندما وصلناها بعض رجالنا بالفعل مع سرير الضابط والعديد من الملابس والتي أحضرها ليقدمها هدية للملك .

في يوم الثلاثاء كان مع الضابط القبطان هذه الأشياء التي سيرسلها إلى الملك وهي :

اثنتا عشرة لفة من القماش المخطط ، أربع قلانس قرمزية وست قبعات ، أربع سلاسل من المرجان ، طقم من الأحواض مكون من ست قطع ، وعاء من السكر وأربعة براميل كاملة – اثنان من الزيت واثنان من العسل .

بما أن العادة هنا ألا يؤخذ شيء إلى الملك من دون إبلاغ وكيله المسلم أولاً ثم الوالي ، فعندما قال الضابط عما أحضره ، بدأوا بالضحك على هداياه ، وقالوا بأنه لا شيء هناك كي يقدمه للملك ، لأن أفقر تاجر جاء من مكة أو من الهند الشرقية أعطاه أكثر من ذلك ، وإذا أرادوا (يقصد البرتغاليين) أن يقدموا له أي تشريف أو تكريم ، فعليهم أن يرسلوا له ذهباً ، لأن الملك لن يقبل بتلك الأشياء .

عندما رأى القبطان ذلك كان مكتئباً ، وقال بأنه لم يحضر أي ذهب ، بالإضافة إلى أنه لم يكن تاجراً بل كان سفيراً ، وأياً كان ما سيحضره فإن ذلك هو ما كان سيقدمه ، وهو ما جاء منه وليس من الملك .

عندما طلب منه ملك البرتغال أن يعود إلى هناك ، كان سيحضر للملك الكثير من الهدايا وأكثر ثراءً ، إذا لم يرد "السامورين" أن يقبل تلك الأشياء ، فعليه أن يأخذها إلى السفينة مرة أخرى .

قد قال الوكيل التجاري والوالي بأنه لا يجب أن يأخذوها إلى الملك أو أن يسمحوا له بأن يتم أخذها ، وعندما غادروا ، وصل بعض التجار المسلمين ينظرون بسخرية إلى الهدايا التي أراد أن يعطيها الضابط للملك .

عندما رأى الضابط عزمهم على ألا يعطوا الهدايا للملك ، قال بما أنهم لا يريدون توصيل الهدايا للملك ، فإنه يريد أن يتحدث معه ، ليرى إذا كان يريد أن يأتي إلى سفنه ، وقد أجابوا بأن هذا جيد وأن عليه الانتظار قليلاً حتى يقوموا ببعض المفاوضات وسوف يعودون له ويصطحبونه إلى القصر .

انتظر الضابط طوال اليوم ولم يعودوا ، وبالتالي فقد أصبح غاضباً جداً عندما ظنهم أناساً غير مكترثين ولا يمكن الاعتماد عليهم ، لدرجة أنه فكر أن يذهب إلى القصر بدونهم ، إلا أنه قرر أن أفضل طريق هو أن ينتظرهم حتى اليوم التالي ، وبالرغم من ذلك لم نتوقف عن تسلية أنفسنا ، فقد غنينا ورقصنا على أصوات الأبواق واستمتعنا بها بشدة .

عندما حل صبح الأربعاء ، جاء المسلمون وأخذوا الضابط إلى القصر ونحن معه . لقد كان هناك حشد غفير من الرجال المسلحين ، ولقد كان الضابط مع من اصطحبوهم لمدة أربع ساعات كاملة على البوابة والتي لم تفتح حتى أرسل الملك كلمات لهم بالدخول .

لم يسمح للضابط بأخذ أكثر من رجلين معه ، لذلك كان عليه أن يقرر مَنْ يريد .

قال القبطان إنه يريد أن يذهب معه "فيرناو مارتينز" "Fernao Martinez" ، الذي كان يعرف كيف يتحدث اللغة ، وكاتبه ، وقد بدا لنا وله بأن التفرقة كانت فألاً سيئاً .

عندما حضر قال له الملك بأنه توقع منه أن يذهب ويراه يوم الثلاثاء ، وقد شرح الضابط للملك بأنه وصل متعباً من رحلته وذلك هو السبب الذي منعه من زيارته .

لقد ذكره الملك مرة أخرى بأنه قال له بأنه كان من مملكة ثرية جداً ولكنه لم يحضر له أي شيء ، وأنه قال له أيضاً بأنه أحضر له خطاباً ، والذي لم يسلمه له .

قد رد الضابط على ذلك قائلاً بأنه لم يحضر شيئاً ، لأنه جاء فقط للملاحظة والاستكشاف ، وأنه عندما تعود سفن أخرى إلى هناك ، فسيرى بعد ذلك ما الذي أحضروه له ، وأما بالنسبة للخطاب الذي قال بأنه أحضره ، فإن ذلك هو الحقيقة وسوف يسلمه له حالاً .

ثم سأله الملك عما جاء ليبحث عنه ، أحجاراً كريمة أم رجالاً ؟ ولكن بما أنه جاء ليبحث عن رجال ، كما قال ، فلماذا لم يحضر شيئاً آخر؟ إلى جانب ذلك ، فقد أخبر بأنهم حملوا "سانتا مارينا" مصنوعة من الذهب .

رد الضابط بأن الصورة التي أحضروها لم تكن من الذهب ، وحتى إذا كانت كذلك فإنه لن يسلمها له ، بما أنها أرشدته عبر البحار وأنها سوف تعود به مرة أخرى إلى بلده .

قال الضابط بما أن المسلمين تمنونه مريضاً وأنهم من الممكن أن يشوهوا ما قاله ، فقد طلب منه كخدمة بأن يتم إحضار مسيحي يعرف عربية المسلمين .

قال الملك بأنه قد طلب المعقول ، وعلى الفور استدعى شاباً ، صغير البنية ، يسمى كرم .

أخبر الضابط الملك بأنه أحضر خطابين أحدهما مكتوب بلغته والآخر بلغة المسلمين . كان الخطاب الذي بلغته ، والذي فهمه جيداً يعتبر مقبولاً ، ولكنه لم يفهم الآخر ، فقد يكون مكتوباً جيداً ، أو قد يحتوي على شيء خطأ .

بما أن المسيحي لم يكن قادراً على قراءة العربية ، فقد أخذ الخطاب أربعة مسلمين ، وقرأوه بين بعضهم البعض ، ثم جاؤوا ليقرؤوه أمام الملك .

سر الملك بالخطاب وسأل الضابط ما هي المنتجات الموجودة في دولته ؟ أجاب بأنه يوجد الكثير من القمح والقماش والبرونز وأشياء أخرى كثيرة .

سأله الملك ما إذا كان قد أحضر أي بضائع ؟ قال بأنه أحضر

القليل من كل شيء كعينة ، وطلب الإذن بأن يذهب إلى السفن ليحضرها على الشاطئ ، بينما سيظل أربعة أو خمسة رجال في السكن .

رفض الملك ، وقال إنه عليه أن يغادر ، وأن يأخذ كل رجاله معه ، وأن يثبت سفينته بأمان ، وأن يحضر بضائعه إلى الشاطئ وأن يبيعها بأفضل ما يقدر .

عندما غادر الضابط ، عاد إلى السكن وكنا معه ، ولأن الوقت كان متأخراً بالفعل لم يشغل باله بالمغادرة .

في صباح الخميس ، أحضروا حصاناً بدون سرج إلى الضابط ، ولكنه لم يكن لديه أي نية لامتطائه ، وقد أمرهم بأن يحضروا له وسيلة مواصلات محلية ، وهي المحفة ، لأنه من المستحيل أن يمتطي فرساً غير مسرج .

ثم أخذوه إلى منزل رجل غوجاراتي هو تاجر غني جداً ، والذي أمر بتجهيز محفة ، وعندما أصبحت جاهزة غادر القبطان على الفور بها مع العديد من الناس إلى "باناراني" ، حيث توجد السفن .

لم يتمكن بقيتنا من اللحاق به ، وظللنا في الخلف ، وبينما كنا ذاهبين في ذلك الطريق ، وصل الوالي ، وقد تجاوزنا ووصل إلى المكان الذي يوجد به الضابط ، وفي أثناء ذلك ، ضللنا طريقنا وتجولنا داخل الدغل ، وعندما وصلنا إلى "باندارانى" ، وجدنا الضابط في

استراحة ، وقد كان هناك العديد مثلها على تلك الطرق للمسافرين وعابري السبيل ليحتموا من المطر .

كان الوالي والعديد من الناس الآخرين مع الضابط ، وعندما وصلنا إلى الأخير وحث الوالي إذا كان سيجهز "الماديا" لنا لنذهب إلى سفننا ، فقد قال هو والآخرون بأن الوقت كان متأخرا بالفعل (في الحقيقة كان وقت الغروب) ، لذلك علينا الذهاب في اليوم التالي .

قال الضابط إن لم يوفروا له وسيلة فوراً فسوف يعود للملك ، ومن ثم أعطى الأوامر بأن يعود إلى سفنه ، وقد أرادوا تعطيله ، وقد حدث ذلك بشكل سيئ جداً ، فقد كان مسيحياً مثلهم .

عندما رأوا الضابط غاضباً ، قالوا له بأنه يمكنه أن يذهب وأنهم سوف يعطوه ثلاثين (الماديا) إذا كان ذلك ضروريا ، ثم أخذونا بامتداد الشاطئ ، ولأن الضابط ظن أن هناك شيئاً خطأ حيال ذلك ، فقد أرسل ثلاثة رجال أولاً وأخبرهم بأن يبحثوا عن قوارب السفن الطويلة التي خبأها أخواه هناك ، وقد ذهبوا وعادوا من دون أن يجدوا شيئاً ، وقد تم أخذنا إلى رأس آخر ولكننا لم نجد شيئاً .

قد أخذونا إلى منزل أحد المسلمين ، لأن الظلام قد حل بالفعل ، وعندما وصلنا إلى هناك قالوا بأنهم يريدون أن يذهبوا للبحث عن الرجال الثلاثة الذين لم يعودوا بعد .

عندما غادروا أعطى القبطان آمراً بشراء العديد من الدجاج والكثير من الأرز ، وقد أكلناه ، لكن لم تنته حفلة البحث حتى الصباح ، (وقد علق القبطان بأنه ظن أن هؤلاء الناس كانوا سيئي النية ، وذلك بسبب تصرفهم في عدم السماح لنا بالمغادرة في الليلة السابقة ، وقد كان ذلك ، لأنهم ظنوا أنهم بذلك يقدمون لهم مساعدة ، وعلى العكس ، فقد أعطانا ذلك انطباعاً سيئاً عنهم وبدوا عدائيين بالنسبة لنا ، كما كان عندما أمضينا بالفعل الأيام الأخرى في "كلكتا" .

عندما جاؤوا في اليوم التالي ، قال الضابط بأنه يجب أن يتم إعطاء جنودنا قوارب كي يذهبوا إلى سفنهم ، ولكن المسلمين كلهم بدأوا في الجدال بين بعضهم البعض وقالوا بأنه يجب أن يبقي سفنه بالقرب من اليابسة ثم يمكنه أن يصعد على متنها .

رد الضابط قائلاً إنه إذا أمر السفن كي تأتي ، سيظن إخوته بأنهم أخذوه كسجين ، وأنهم أجبروه على القيام بذلك ، وقتها سوف يرفعون الأشرعة ويعودون إلى البرتغال .

قالوا إنه إذا لم يحضر سفنه بالقرب من الشاطئ ، فلن يكون هناك أي مجال للصعود على متنها ، وقد رد الضابط بحجة معاكسة بأن "السامورين" أمره بأن يعود إلى سفنه ، وبما أنهم لم يريدوا أن يدعوه يذهب ، كما أمر الملك ، فسوف يعود له مرة أخرى ، وبما أنه

مسيحي مثله ، وإذا لم يتركه يغادر ، وأراد منه أن يظل في دولته ، فسوف يكون سعيداً جداً .

قد اتفقوا بأن عليه الذهاب ، إلا أنه لم يكن هناك من مجال كي يحدث ذلك ، لأن بوابة المكان الذي كنا فيه كانت مغلقة ، وكان هناك العديد من القوات المسلحة بالداخل ، بقصد ألا يخرج أحد منا إلى الخارج إلا إذا كنا بصحبة العديد من الرجال .

ثم اقترحوا مرة أخرى بأن عليهم تسليم الأشرعة ودفات السفن إليهم ، وبذلك أمر الضابط بأنه لن يتم إعطاؤهم أياً من تلك الأشياء بما أن "السامورين" "Samorin" قد أمره بأن يعود إلى سفنه ، بدون أي شرط ، يمكنهم أن يقوموا بما يريدوه معه ولكنه لم يكن ليتنازل عن أي شيء لهم .

كان الضابط وبقيتنا محبطين داخلياً ، بينما بدا علينا من الخارج أننا غير آبهين بما كانوا يقومون به معنا .

قال القبطان بما أنهم لن يسمحوا له بأن يعود إلى سفنه ، فإن عليهم أن يسمحوا لمن يموتون من الجوع بأن يذهبوا ، وقد ردوا بأنه يجب عليهم البقاء وإذا كانوا يموتون من الجوع ، فيجب عليهم أن يستقيلوا ، لأنهم لم يكونوا قلقين أبداً حيال ذلك .

بينما كنا نحن في ذلك الموقف ، وصل أحد الرجال الذين فقدناهم في الليلة السابقة وأخبر الضابط أن "نيكولاو كويلهو" كان

ينتظره مع القوارب الطويلة على الشاطئ منذ الليلة السابقة ، وعندما علم بذلك ، أرسل على الفور رجلاً سراً قدر الإمكان ، وقد قام بذلك ببراعة شديدة لأننا كنا محاصرين بالحراس ، وكان سيقول لـ "نيكولاو كويلهو" بأن يغادر فوراً من هناك ، وأن يتجه إلى السفن ويتأكد بأنها سليمة وآمنة .

عندما استلم "نيكولا كويلهو" الرسالة ، غادر بسرعة شديدة ، وبينما كان مغادراً ، انتبه الذين كانوا يقومون بحراستنا وجهزوا العديد من "الألماديا" ولحقوا به بعد قليل ، وعندما رأوا بأنهم لن يتمكنوا من اللحاق به عادوا إلى الضابط ، وقالوا له بأن يكتب خطاباً إلى أخيه ، وأن يقول له بأن يحضر السفن بالقرب من اليابسة وإلى داخل الميناء أكثر .

قد أجاب الضابط بأنه كان عازماً على ذلك ، ولكن أخاه لن يقوم بذلك ، وحتى إذا أراد وقرر القيام بذلك ، فإن من جاؤوا معه لن يوافقوا ولن يريدوا أن يموتوا ، وقد أجابوا بأنهم علموا ذلك جيداً وإذا أمر بذلك ، فإن كل شيء يريده سيكون مجاباً .

لم يكن للقبطان أي نية في أمر إحضار السفن إلى داخل المياه لأنه ظن ، وكذلك نحن ، أنها بمجرد أن تكون في الداخل يمكن الاستيلاء عليها وقتل الرجال ، وكذلك هو ونحن حيث إننا كنا لا نزال تحت سيطرتهم .

طوال ذلك اليوم كنا مليئين بالقلق ، كما رأيتم ، وعندما حل

المساء كان هناك أناس أكثر معنا ، والذين لم يسمحوا لنا بأن نسير بالقرب من المساكن التي كنا فيها ، بل وضعونا داخل فناء صغير مكسو بالفلين وأحاطونا بالكفرة .

في اليوم التالي ، بينما كنا في وسطهم ، توقعنا أن يفرقونا عن بعضنا أو أن يفعلوا بنا أي شيء آخر ، حيث إنهم كانوا محتدمين غيظاً منا ، إلا أننا ، بسبب كل ذلك ، لم نمتنع عن تناول العشاء الفاخر ، بغض النظر عن الأشياء التي وجدناها في تلك البلدة .

في تلك الليلة تمت حراستنا من قبل أكثر من مائة رجل ، جميعهم كانوا مسلحين بالسيوف ، والسيوف المعقوفة والدروع والسهام ، وقد نظمـوا ذلك بطريقة حتى إذا نام بعضهم يظل الآخرون للمراقبة ، وبالتالي يتبادلون الأدوار طوال الليل .

في اليوم التالي ، يوم السبت ، الثاني من يونيو ، وصل هؤلاء الرجال في الصباح وقد كانوا في مزاج جيد بالفعل ، وقالوا بما أن الضابط قد قال للملك إنه سوف يحضر بضائعه إلى الشاطئ فيجب عليه أن يأمر بتفريغها ، لأن من عادة تلك الدولة أنه إذا جاءت أي سفينة هناك يجب أن تودع بضائعها على الفور على الشاطئ وكذلك كل من عليها أيضاً ، حتى يتم بيع كل البضائع ، ولا يمكن أن يعود التاجر مرة أخرى إلى سفينته حتى يتم البيع بالكامل .

وافق القبطان ، وقال بأنه سيكتب إلى أخيه ليرسل البضائع لهم ،

وقد قالوا بأن ذلك يعتبر مقبولاً ، وعندما تصل سوف يتركونهم يذهبون على الفور إلى سفنهم .

قد كتب الضابط إلى أخيه مباشرة بأن يرسل له بضائع معينة ، والتي أرسلها على الفور ، وبمجرد أن استلموها سمحوا لهم بأن يذهبوا إلى السفن ، بينما ظل اثنان معهم على اليابسة .

كانت معنوياتنا جميعاً مرتفعة جداً ، وشكرنا الإله لأنه أنقذنا من هؤلاء الرجال ، والذين كانوا مثل الوحوش ، خالين من العقل ، لأننا كنا نعلم جميعاً بأن القبطان عندما يصل إلى متن السفينة ، حتى إذا ظل بعض الرجال وراءه ، فإنهم لن يقوموا ضدهم بأي أذى .

عندما وصل القبطان السفينة قرر ألا يرسل أي بضائع أخرى في الوقت الحالي .

بعد خمسة أيام ، أرسل القبطان إلى الملك يذكره بحقيقة أنه قد أمر بأن يعود إلى سفنه ، ولكن بعض رجاله كانوا كارهين للسماح له بالقيام بذلك ، وقد حجزوه لمدة يوم وليلة على الطريق ، وقد وضع بالفعل البضائع على الشاطئ ، كما أمر ، ولكن المسلمين جاؤوا إلى هناك وخفضوا الأسعار ، وقد أراد أن يعرف ما الذي سيأمر به الملك في ذلك الموضوع ، لأنه لن يعطيه أياً من البضائع ، بالرغم من أنه وسفنه كانوا تحت خدمته .

ثم أبلغه الملك بعد ذلك أن من تصرفوا بتلك الطريقة كانوا

مسيحيين سيئين وأنه سوف يعاقبهم ، ثم أرسل بعد ذلك سبعة أو ثمانية تجار ليفحصوا البضائع ويشتروها إذا أرادوا ذلك .

قد أرسل أيضاً مسؤولاً ذا رتبة عالية مع الوكيل التجاري . كان عليهم أن يبقوا حاضرين ، وإذا جاء أحد من المسلمين كانوا مخولين بقتله بدون أن يكون عليهم أي عقوبة للقيام بذلك .

كان التجار الذين أرسلهم الملك في المكان لمدة ثمانية أيام ، ولكن بدلاً من أن يتاجروا كانوا يخفضون أسعار البضائع . لم يأت المسلمون مرة أخرى إلى المنزل الذي توجد به البضائع ، ولذلك كرهونا كثيراً حتى إذا ذهب أحد منا إلى الشاطئ كانوا يبصقون على الأرض ويصرخون : "برتغال ، برتغال" ، ظناً منهم أنهم يمكن أن يضايقونا بتلك الطريقة ، إلا أنهم من البداية كانوا يبحثون عنا في الطرق ليمسكوا بنا ويقتلونا .

عندما أدرك القبطان أن ذلك لم يكن المكان لبيع البضائع ، أخبر الملك على الفور أنه يريد أن يرسلها إلى "كلكتا" ، ليرى فقط ما يمكن أن يقوم به .

بمجرد أن استلم الملك تلك الرسالة ، أرسل إلى الوالي ليجمع العديد من الرجال ليحملوها على ظهورهم وأن يأخذوها مباشرة إلى "كلكتا" ، وأضاف أن يدفع لذلك من جيبه الخاص ، فلا يجب أن يتكلف ملك البرتغال أي نفقات في دولته .

كان كل ذلك مخططاً لإيذائنا ، لأنه وصلته معلومات عنا بأننا لم نكن سوى حفنة لصوص والذين كانوا يجوبون المكان للسرقة ، إلا أنه قام بكل ذلك بالطريقة التي رأيتموها .

في يوم الأحد ، ويصادف الرابع والعشرين ، في عيد "سانت جون" "Saint John" (يوحنا المعمدان) ، غادرت البضائع إلى "كلكتا" ، وعندما وصلت ، أعطى القبطان الأوامر للجميع أن يتم زيارة المدينة كالتالي :

سيذهب رجل من كل سفينة وعندما يعودون ، سيذهب آخرون ، وبتلك الطريقة سيمكنهم جميعاً زيارة المدينة ، وسيشتري كل واحد ما يريده .

عندما ساروا على الطريق ، تم استقبالهم بضيافة وكرم من قبل كل المجتمع المسيحي ، والذين كانوا سعيدين جداً إذا ذهب أي واحد إلى منازلهم للنوم أو الأكل ، وقد تشاركوا في كل شيء بسرور شديد .

بالإضافة إلى ذلك ، جاء العديد من الناس إلى السفن لبيع السمك مقابل الخبز ، وقد استقبلناهم بضيافة وكرم ، وقد حضر كثيرون آخرون مع أطفالهم وأولادهم الصغار ، وأعطى الضابط الأمر بإطعامهم ، وقد تم كل ذلك لتحفيز السلام والصداقة معهم كي يقولوا أشياء جيدة عنا بدل أن يقولوا أشياء سيئة ، إلا أنه كان هناك الكثير منهم لدرجة أنهم أتعبونا لأن الكثيرين منهم كانوا

يصلون في وقت متأخر من الليل ، ولم نكن قادرين على طردهم من السفن .

ذلك لأن هناك أعداد كثيرة من الناس في تلك الدولة بينما يوجد طعام قليل ، وإذا ظنوا أنه في أي لحظة يمكن لبعض رجالنا من الذين كانوا سيصلحون الأشرعة ، وكان معهم بعض بسكويت يأكلونه ، أن يحيط بهم العديد من الأطفال الصغار ويمكن لهم من بعض الرجال وأن يختطفوها من أيديهم ، فإنهم يظلون في النهاية بدون أي شيء يأكلونه .

كما ذكرت من قبل ، فقد ذهب كل من كان على السفن إلى الشاطئ على هيئة اثنين أو ثلاثة ، وأخذ كل منهم ما لديه ليقدمه ، مثل الأساور ، والملابس والقصدير والأقمشة والقمصان ، وقد قاموا ببيع ذلك ، إلا أنهم لم يبيعوا جيداً أو بسعر جيد مثل الأسعار التي تمنيناها عندما وصلنا إلى "موزمبيق" ، فكل قميص فاخر يساوي ثلاثين ريالاً في البرتغال .

كانوا يعطون اثنين "فانوس" "Fanoes" هنا ، وهو ما يعادل ثلاثين ريالاً في هذه الدولة ، إلا أن مبلغ ثلاثين ريالاً هنا يساوي الكثير ، لذلك عندما خفضنا أسعار القمصان رفعنا أسعار أشياء أخرى ، لنجلب فقط أي شيء من تلك الدولة ، حتى لو عينة .

من الأرباح التي حصلوا عليها من بيعهم في تلك البلدة ، اشتروا القرنفل وأحجاراً كريمة ، وبعد أن اشترى كل واحد ما يريده عادوا

جميعاً إلى السفن ، من دون أن يقول أي واحد أي شيء لهم ، وعندما رأى القبطان كيف إن هؤلاء الناس كانوا ودودين معنا ، قرر أن يترك وكيلاً تجارياً مع البضائع في تلك الدولة ، وكذلك كاتباً وبعض الرجال الآخرين معهم .

عندما حان الوقت لنا للمغادرة ، أرسل القبطان هدية مصنوعة من الكهرمان إلى الملك وأعطاه أيضاً مرجاناً والعديد من الأشياء الأخرى ، وقد أخبره بأنه يريد أن يعود إلى البرتغال ، وإذا كان يمكن للملك أن يرسل بعض الرجال معه إلى ملك البرتغال ، فسوف يترك وكيلاً تجارياً ، وكاتباً ، والعديد من الرجال الآخرين مع البضائع ، وقد سأله أيضاً بأن يرسل واحد بهار من القرفة وآخر من القرنفل إلى سيده الملك ، كعينة ، وغيرها من البهارات التي يجدها مناسبة .

في غضون ذلك ، سيقوم الوكيل التجاري بسك بعض العملات ويدعها له إذا أراد ذلك .

عندما وصلت تلك الرسالة من الضابط إلى المكان الذي يوجد فيه الملك ، مرت أربعة أيام قبل أن يتمكنوا من الكلام ، وعندما جاء الرسول أمام الملك ، نظر إليه بغضب وسأله عما يريد .

قد قام الأخير بتسليم رسالة الضابط له ، بالطريقة التي وصفت في الأعلى ، وقد وضح أن الضابط أرسله بهدية ، وقد قال له الملك بأن يحضر ما جاء به لوكيله التجاري ، لأنه لم يكن لديه رغبة

لرؤيتها ، وقال له بأن يخبر الضابط إنه إذا أراد أن يغادر عليه أن يعطيه ستمائة "أشرفي" ، ثم يمكنه الذهاب ، فقد كانت تلك عادة الدولة ومن جاؤوا إليها .

قال "دييجو دياس" "Diego Dias" الذي أحضر الرسالة بأنه سوف يعود بهذا الرد إلى الضابط القبطان ثم رحل مصطحباً العديد من رجال الملك .

عندما وصلوا إلى المنزل في "كلكتا" حيث توجد البضائع ، وقد تم وضع حراس بالداخل لحراسة رجالنا ، لمنعهم من المغادرة ، في نفس الوقت ، تم إصدار تعليمات فورية تقول بألا يقترب أي قارب من السفن ، لذلك ، عندما رأى رجالنا بأنهم أصبحوا سجناء ، أرسلوا شاباً أسمر ، والذي كان معهم ، بامتداد الساحل ليرى إذا كان بإمكانه أن يرى أحداً ليأخذه معه إلى السفن ، ليخبر بأنهم محتجزين ، بأمر من الملك .

قد ذهب إلى ضواحي المدينة ، حيث يعيش بعض الصيادين ، وقد أخذه أحدهم مقابل ثلاثة "فانوس" ، ذلك لأن الليل كان يزحف ولن يكون ممكناً رؤيتهم من المدينة ، لذلك بمجرد أن وضع الزنجي على متن القارب ، غادر بدون تأخير ، وقد حدث ذلك يوم الاثنين ، الموافق الثالث عشر من أغسطس .

لقد حزنا جميعاً لتلك الأخبار ، عندما رأينا أنفسنا واقعين بين أيدي الأعداء ، وأيضاً بسبب الصعوبات الكبيرة التي خلقها لنا هؤلاء أمام مغادرتنا ، ولقد أحزننا جداً أن ملكاً مسيحياً ، والذي

اعتبرناه واحداً منا ، يمكنه أن يقوم بتلك الخدع الدنيئة معنا، وعلى الجانب الآخر ، كما هو متوقع ، فلم نلمه بشكل مطلق ، فقد كنا مقتنعين بأن المسلمين الذين كانوا هنا وكانوا تجاراً من مكة ومن أماكن أخرى قليلة والذين كانوا يكرهوننا ، قد أثروا عليه ضدنا ،

وقد أخبروا الملك بأننا كنا لصوصاً ، وأنه عندما بدأنا بشحن الأشياء إلى الدولة ، لم تأت أي سفينة إلى هناك سواء من مكة أو "كامباي" أو "سيجروس" أو أي مكان آخر ، لذلك فلن يحصل على ربح أبداً .

بالإضافة إلى ذلك ، فإننا لن نمده بأي شيء ، ولن نأخذ منه حتى شيئاً ، لذلك يمكن لأرضه أن تتدمر .

بينما كانوا يقولون ذلك ، فقد قدموا العديد من الرشاوي كي يتم الإمساك بنا وقتلنا ، كيلا نعود إلى البرتغال أبداً .

عرف القبطان عن ذلك الموضوع من مسلم في الدولة ، والذي اكتشف ما تم تنظيمه ، وقد نصح الضباط ، وهم بالتحديد ، بألا يغادروا السفن أو أن يضعوا قدماً على الشاطئ ، بالإضافة إلى ما قاله ذلك المسلم ، فقد أخبره مسيحيان أنه إذا ذهب الضباط إلى الشاطئ فستقطع رؤوسهم ، لأن تلك هي الطريقة التي يعامل بها من يأتون إلى دولته ولا يعطونه الذهب .

لقد كان الموقف أنه في اليوم التالي لم يأت أي قارب إلى سفننا . في اليوم الذي يليه ، اقتربت منا "الماديا" بها أربعة مسلمين ، وأحضروا

أحجاراً كريمة لبيعها ، وقد اعتقدنا أنهم جاؤوا بأمر من المسلمين ليروا ما إذا كنا سنقوم بأي شيء معهم غير البيع ، وقد رحب بهم الضابط ، وأرسل رسالة معهم لمن كانوا على الشاطئ .

عندما رأوا أننا لم نكن نعاملهم بشكل سيئ ، جاء العديد من التجار كل يوم ، وغيرهم ممن كانوا ليسوا تجاراً ، فقد كانوا فقط يأتون للمشاهدة ، وقد استقبلناهم جميعا بدفء وقدمنا لهم الطعام ليأكلوا .

في الأحد الذي يليه ، جاء حوالي خمسة وعشرين رجلاً كان من ضمنهم ستة أصحاب رتب ، وعندما أدرك الضابط أنه من خلال هؤلاء من الممكن إنقاذ رجالنا الذين كانوا محتجزين ومسجونين على الشاطئ ، فقد أمسك بهم ومعهم حوالي اثني عشر شخصاً من الطبقة الفقيرة .

بالتالي فقد احتجز ثمانية عشر شخصاً ، وأرسل الباقين إلى الشاطئ على أحد قواربه ، وأرسل معهم رسالة إلى أحد المسلمين ، وهو الوكيل التجاري للملك ، وقد أخبره فيها بأنه سيعيد الرجال الذين أخذهم كسجناء ، إذا تم تحرير من قام بالإمساك بهم .

عندما رأوا أن القبطان قد احتجز بعض رجالهم ، ذهب العديد من الناس إلى العنبر حيث يوجد رجالنا ، وأخذوهم إلى منزل الوكيل التجاري ، لكن من دون أن يؤذوهم .

في يوم الخميس الثالث والعشرين من ذلك الشهر ، بدأنا بالإبحار ، وقلنا بأننا ذاهبون إلى البرتغال ، ولكننا توقعنا أن نعود

قريباً ، وحينها سيعرفون إذا كنا لصوصاً أم لا ، وقد رسونا على بعد أربعة فراسخ باتجاه الريح من "كلكتا" ، وقد كان ذلك بسبب الرياح والتي كانت رئيسية .

في اليوم التالي ، أبحرنا بالقرب من المنطقة الداخلية ، ولكننا لم نكن قادرين على اجتياز بعض الأماكن الضحلة ، والتي كانت أمام مدينة "كلكتا" ، وقد توقفنا مرة أخرى بعيداً ورسونا أمام حاجز المدينة .

في يوم السبت خرجنا إلى البحر ورسونا بعيداً جداً لدرجة أننا كنا بالكاد نرى اليابسة .

في يوم الأحد ، بينما كنا راسين ومنتظرين لنسيم البحر ، ظهرت سفينة تبحر في المحيط وجاءت في اتجاهنا ، وقد أحضرت الأخبار بأن "دييجو دياس" وغيره كانوا في منزل الملك ، وأننا إذا حررنا من كانوا محتجزين عندما يصل ، فسوف ينتظرون حتى يحضروهم على متن السفن .

قد ظن الملك أن هؤلاء قد قتلوا ، وأن ما قالوه كان لتعطيلنا حتى يمكنهم تسليح أنفسهم ضدنا ، أو حتى تمسك بنا بعض السفن من مكة ، وقد أرسلهم بعيداً ، وقال لهم ألا يأتوا على متن السفن مرة أخرى حتى يحضر رجاله أو رسائله منهم ، وأنه سيأمر بأن يتم إطلاق القذائف عليهم ، وإذا لم يعودوا فوراً برسالة ، سيقوم بقطع رأس من قد أمسك بهم .

بعد ذلك ، اشتدت الرياح وأبحرنا بامتداد الساحل وألقينا بالمرساة عند وقت الغروب .

كيف أرسل الملك "دييجو دياس" وماذا قال له ؟!

عندما وصلت الأخبار إلى الملك بأننا غادرنا إلى البرتغال قرر إصلاح السبب الذي كان وراء المشكلة من البداية .

جمع "دييجو دياس" والذي عامله بصداقة شديدة عندما جاء له (إلا أنه لم يقم بذلك من قبل عندما قدم له الهدية) ، وسأله لماذا أمسك القبطان برجاله .

أجاب "ديوجو دياس" بأنه بسبب أن الملك لم يسمح لهم بأن يعودوا إلى سفنهم وأبقاهم سجناء في المدينة .

قد قال له الملك بأنه أبلى جيداً ، وسأله مرة أخرى إذا كان الوكيل التجاري قد طلب أي شيء منه ، مشيراً إلى أنه كان يجهل بالكامل ما قام به الوكيل التجاري ، لكن الأخير قد تصرف كي يعطيه شيئاً .

ثم تكلم بعد ذلك ضد الوكيل التجاري قائلاً : "ألم يعلم أنني منذ فترة قليلة كان لدي وكيل تجاري آخر وقد تم إعدامه لأنه طلب رسوماً جمركية من بعض التجار الذين جاؤوا إلى دولتي؟" أضاف الملك : "اذهب إلى السفينة مع الآخرين الذين معك وأخبر الملك بأن يحضر لي الرجال الذين احتجزهم؟ واجعله يرسل

"البادراو" التي أراد أن ينصبها على الشاطئ ، وأن يعطي الأوامر لمن أحضروك بأن يأتوه به ويشيدوه . في غضون ذلك ، ستبقى في هذه الدولة مع التجار" .

قد أرسل أيضاً خطاباً إلى الضابط ، والذي كان عليه أن يسلمه إلى ملك البرتغال الثاني . كان مكتوباً بواسطة "ديوجو دياس" على ورقة نخيل ، لأن كل شيء في هذه المدينة يكتب على هذا الورق ، وكان القلم المستخدم في الكتابة مصنوعاً من الحديد . كان جوهر الرسالة هو كالتالي:

"إن "فاسكو دا غاما" ، وهو أحد نبلاء بيتك ، جاء بين يدي وقد أسعدني ذلك كثيراً . يوجد في دولتي العديد من القرفة والقرنفل والفلفل الأسود والعديد من الأحجار الكريمة والقماش القرمزي" .

بينما رسونا نحن يوم الاثنين صباحاً ، في السابع والعشرين من الشهر المذكور ، وصلت سبعة قوارب مليئة بالناس ، من ضمنهم "ديوجو دياس" بصحبته رجل آخر ، ولم يجرؤوا على وضعه على متن السفينة ، لذلك وضعوه في قارب الضابط ، والذي كان لا يزال ملتصقاً بمؤخرة السفينة ، ولم يحضروا البضائع لأنهم آمنوا بأن "ديوجو دياس" سوف يعود إلى الشاطئ .

بمجرد أن رآهم الضابط على متن السفينة ، قرر بأنهم لا يجب أن يعودوا إلى اليابسة ، وأعطى "البادراو" إلى من كانوا في القارب ، بما أن الملك قد أمر بأن يتم نصبها على الشاطئ .

بالإضافة إلى ذلك فقد أفرج عن ستة من الرجال أصحاب المراتب العليا من الذين أمسك بهم كسجناء ، بينما بقي هناك عدد من الآخرين ، وقد وعد أنه عندما يتم إحضار البضائع له في اليوم التالي سيقوم بتسليم المتبقين معه .

بينما كنا في المرسى في صباح الثلاثاء ، اقترب من سفننا مسلم من تونس والذي تمكنا من فهم لغته ، وقد قال لنا إنه كان في موقف صعب ، وأن كل ما يملكه أخذ منه وأنه يخشى أن يحدث له أذى أكثر من ذلك ، فقد اتهمه السكان الأصليون بأنه مسيحي وأنه جاء إلى "كلكتا" بأمر من ملك البرتغال ، ولذلك فضل أن يكون برفقتنا على أن يبقى على الشاطئ ، فقد توقع في كل يوم أن يقتلوه .

في حوالي الساعة العاشرة ، جاءت سبعة قوارب مليئة بالناس ، كان على ثلاثة منها بعض لفات من القماش المخطط على مقاعدها ، وقد تركنا منها على اليابسة وقد ظنوا أن هذا هو كل ما تركنا من بضائعنا ، ولقد جاءت هذه القوارب الثلاثة بجانب سفننا ، بينما ظلت أربعة أخر خارجاً في البحر ، ولم تقترب أبداً بل ظلت على مسافة متوسطة من السفن ، وقالوا لنا بأن نضع رجالهم في قواربها وأنهم سوف يتركون البضائع داخلها كبدل لرجالهم .

عندما رأى خداع تلك الحيلة ، قال لهم الضابط الأعلى بأن يغادروا ، وأنه لم يرد البضائع ولكن أن يأخذ رجالهم فقط إلى البرتغال ، ويجب أن يعتنوا بهم جيداً ، لأنه يتوقع أن يعود قريباً

إلى "كلكتا" وسوف يعرفون وقتها ما إذا كنا لصوصاً أم لا ، كما أخبرهم المسلمون .

بما أننا اكتشفنا بالفعل ما جئنا للبحث عنه ، أي البهارات والأحجار الكريمة ، فقد قرر الضابط والضباط الآخرون بأننا يجب أن نغادر يوم الأربعاء التاسع والعشرين من أغسطس ، بالرغم من أننا غير قادرين على تحقيق السلام والصداقة مع الدولة وشعبها ، ويجب أن نأخذ هؤلاء الرجال الذين كانوا معنا ، لأنهم عندما يعودون إلى "كلكتا" سوف يساعدونا على إقامة علاقات ودية .

ثم بدأنا بعد ذلك بالإبحار ، وذهبنا إلى البرتغال ، وكان الجميع مسافراً بفرح شديد ، لأننا كنا محظوظين كفاية لتحقيق هذا الاستكشاف العظيم .

في منتصف يوم الثلاثاء ، وبينما توقفنا حوالي فرسخ واحد أسفل "كلكتا" ، جاء في اتجاهنا حوالي سبعين سفينة مليئة بالكفار ، وقد حمل هؤلاء الرجال كنوع من الحماية دروعاً مدعمة بقماش أحمر ، وقد شكلت تلك دروعاً لأجسامهم وكذلك لأرجلهم ولرؤوسهم .

عندما وصلت السفن في نطاق قذائفنا ، بدأت سفن الضباط والسفن الأخرى بإطلاق النيران على الفور ، وقد لحقوا بنا لمدة ساعة ونصف تقريباً وخلال تلك المطاردة علقنا في عاصفة رعدية ، والتي حملتنا خارج البحر ، وعندما لاحظوا أنه لا يمكنهم أن يؤذونا عادوا إلى اليابسة وأكملنا نحن رحلتنا .

إن البهارات التي تؤكل في الغرب والشرق ، وكذلك الحال في البرتغال ، بل وفي كافة مقاطعات العالم جاءت من هذه الأرض من "كلكتا" ، وهي تسمى الهند العليا . هناك العديد من الأحجار الكريمة في تلك المدينة .

يتم إنتاج البهارات التالية في تلك المدينة : كميات كبيرة من الزنجبيل والفلفل الأسود والقرفة ، إلا أن آخر واحدة ليست بنفس الجودة الفاخرة كما في جزيرة تسمى "سيلان" "Celon" ، والتي تبعد عن "كلكتا" مسافة ثمانية . كل تلك القرفة هي في طريقها إلى "كلكتا" .

هناك جزيرة تعرف باسم "ملقة" ، ومنها يأتي القرنفل إلى تلك المدينة ، وهنا تحمل سفن "القرقور" من مكة التوابل وتأخذها إلى بلدة في المنطقة العربية ، تسمى جدة ، ومن تلك الجزيرة "ملقة" ، تأخذ خمسين يوماً مع الرياح المواتية ، ولكن بما أن السفن في تلك الأرض غير قادرة على الإبحار وهي شبه مسحوبة ، فهم يفرغونها هناك ويدفعون الجمارك إلى السلطان الأكبر .

هناك تتحول إلى سفن أصغر ، ويتم توصيلها عبر البحر الأحمر إلى مكان بالقرب من "سانت كاثرين" في جبل سيناء ، يسمى السويس ، ويدفعون هناك جمارك أكثر ويحمل التجار التوابل على الجمال ، والتي يؤجرونها بأربعة "كروزادو" لكل واحد ، ويأخذونها إلى القاهرة في خمسة أيام ، حيث يدفعون جمارك أخرى .

في تلك الدولة ، على الطريق للقاهرة ، يوجد لصوص من البدو

من قبائل أخرى ، والذين يهاجمونهم عادة ، وهناك يحملون التوابل والبضائع مرة أخرى على السفن والتي تبحر في نهر يسمى النيل ، والذي يقع في أرض "بريستير جون" ، في الهند السفلى ، وهم يسافرون في هذا النهر لمدة يومين حتى يصلوا إلى مكان يسمى "رشيد" ، حيث يدفعون جمارك أكثر ، ويحملون مرة أخرى التوابل على الجمال ويأخذونها في رحلة نهارية إلى مدينة تسمى الإسكندرية ، وهي ميناء بحري .

تأتي سفن القادس من البندقية و"جنوة" إلى مدينة الإسكندرية لتوصيل تلك التوابل ، والتي من المعروف أن السلطان الأكبر يحصل من ورائها على ستمائة ألف "كروزادو" كجمارك ، ومن ذلك المبلغ يدفع مائة ألف سنوياً إلى ملك يسمى سيدي الدين ليشن حرباً ضد "بريستير جون" . إن لقب السلطان الأكبر يتم شراؤه ، ولا يتوارث من الآباء إلى الأبناء .

وأعود هنا لأتكلم عن رحلتنا إلى الوطن :

بعد أن سافرنا بامتداد الساحل ، مع رياح خفيفة بحرية ، ثم نسيم بري ، وقد توقفنا في النهار وألقينا المرساة . في يوم الاثنين العاشر من سبتمبر ، بينما كنا نبحر بهذه الطريقة ، أرسل الضابط رجلاً أعور ، والذي أحضرناه ، ببعض الرسائل إلى السامورين ، مكتوبة بالعربية بواسطة مسلم كان يسافر معنا . كانت الأرض التي أنزلنا

فيها هذا المسلم تعرف باسم "كومبيا" واسم ملكها هو "بياكولي" "Biacoli" ، والذي كان في حرب مع "كلكتا" .

في اليوم التالي أثناء توقفنا ، جاءت بعض القوارب إلينا تحمل السمك ، وقد صعد طاقمها على متن السفينة من دون أن يبدي أي خوف .

في السبت الذي يليه ، وهو الخامس عشر من ذلك الشهر ، ذهبنا إلى بعض الجزر التي تبعد فرسخين من البر الرئيس ، وهناك أطلقنا قارباً طويلاً ونصبنا "بادراو" على أحد الجزر ، والتي أعطيناها اسم "عمود سانتا ماريا" ، ولقد كان ذلك لأن الملك أخبر الضابط أننا يمكن أن ننصب ثلاثة أعمدة- أحدها تمت تسميته "سانت رافايل" ، والآخر "سانت جبريل" "Saint Gabriel" ، والثالث كان "سانتا ماريا" .

في النهاية انتهى الأمر بتثبيت الثلاثة :

الأول : "سانت رافايل" ، وقد وضعناه في نهر دلائل الخير ،

والثاني : "سانت جبريل" ، في "كلكتا" ،

والأخير أسميناه "سانتا ماريا" .

هنا جاء إلى السفن العديد من القوارب بالأسماك ، وقد أعطاهم القبطان العديد من القمصان ورحب بهم بشدة ، وسألهم ما إذا كانوا يريدون "البادراو" الذي تمنى أن ينصبه على تلك الجزيرة ، وقد أجابوا بأنهم سيكونون سعداء إذا وضعناه هناك ، فإن ذلك يؤكد أننا كنا مسيحيين مثلهم .

بالتالي ، وضع "البادراو" هناك في جو من الصداقة المتينة .

في تلك الليلة ، مع الرياح القادمة من البر ، قمنا برفع الشراع وأكملنا رحلتنا .

في الخميس التالي ، ويصادف ذلك العشرين من ذلك الشهر ، وصلنا بالقرب من دولة جبلية جميلة مناخها جميل ، ويوجد بالقرب منها ست جزر صغيرة ، وقد رسونا هناك بالقرب من الشاطئ وانطلقنا بالقوارب الطويلة لأنه أراد أخذ كفايته من الماء وحطب الوقود ، كي نجعل رحلتنا تستمر والتي أملنا أن نقوم بها إذا كانت الرياح مبشرة .

عندما هبطنا عبرنا أمام شاب ، والذي أرانا مكاناً به ماء في طريق أعلى النهر ، وبه مياه عذبة جداً تنبع من بين الصخور ، وقد أعطى الضابط الأعلى هذا الرجل قبعة وسأله ما إذا كان مسلماً أو مسيحياً ، وقد أجاب بأنه كان مسيحياً وعندما أخبرناه بأننا أيضاً نؤمن بالمسيح ، كان مسروراً جداً .

في صباح اليوم التالي ، جاءت إلينا "الماديا" وفيها أربعة رجال ، والذين اشتروا العديد من اليقطين والخيار ، وقد سألهم الضابط الأعلى ما إذا كان معهم قرفة أو زنجبيل أو أي بهارات في تلك الدولة . قالوا بأن هناك الكثير من القرفة ولكن لا يوجد أي توابل أخرى ، وفي الحال أرسل الضابط رجلين إلى الشاطئ معهم لكي يحضروا عينة منها ، وقد أخذوهم إلى غابة يوجد بها العديد من أشجار القرفة ، وقد قطعوا فرعين كبيرين من الشجرة مع أوراقها .

انطلقنا في قارب السفينة لأن علينا أن نأخذ المياه ، وقد قابلنا الرجلين اللذين كانا يحملان فرع القرفة ، وكان هناك حوالي عشرين رجلاً في الخلف ، وقد أحضروا إلى الضابط العديد من الدجاج والكثير من حليب الأبقار ، واليقطين ، وطلبوا من الضابط بأن يرسل هذين الرجلين معهم لأنه على بعد مسافة قصيرة يوجد الكثير من القرفة الجافة ، ويمكنهم أن يذهبوا إلى هناك ويعودوا ويحضروا معهم عينة .

بعد أن أخذنا الماء ، عدنا إلى متن السفينة وقد وعدوا أنهم سوف يأتون إلى سفننا في اليوم التالي ومعهم هدايا من الأبقار ، والخنازير والدجاج للضابط .

في الصباح الباكر من اليوم التالي ، رأينا زورقين بخاريين بالقرب من اليابسة على بعد فرسخين منا ، ولكننا لم نلاحظها . بينما كنا ننتظر الجزر كي ندخل النهر ونأخذ الماء ، ذهبنا إلى الشاطئ كي نجمع حطب الوقود .

عندما كنا منشغلين بقطع الوقود ، فقد أدهش الضابط أن تلك الزوارق كانت أكبر مما ظهرت أول مرة ، وقد أعطى الأمر بأن نجتمع كلنا داخل القوارب الطويلة كي نأكل ، وبمجرد أن انتهينا ، كان علينا أن نذهب في تلك القوارب لنرى إذا ما كانوا مسلمين أو مسيحيين .

عندما عاد الضابط إلى سفينة "القرقور" الخاصة به ، وقد أمر بحاراً

بأن يذهب إلى عش الغراب ليرى ما إذا كان هناك أية سفينة على مرمى البصر ، وقد رأى البحار ثماني سفن ، توقفت على بعد ستة فراسخ داخل البحر ، وبالتالي أعطى القبطان الأوامر الفورية بإغراق تلك السفن .

عندما وصلت الرياح ، حاولوا قدر المستطاع أن يسيروا باتجاه الريح ، وعندما كانوا أمامنا (كانوا فقط على بعد فرسخين) ظنوا أنهم قد يرونا ، قمنا بمهاجمتهم ، وعندما رأوا أننا كنا في طريقنا نحوهم ، بدأوا بالمراوغة بجعل مؤخرة سفنهم باتجاه اليابسة ، وقد كسر أحدهم ذراع المقود وكان غير قادر على الحركة قبل الوصول إلى الشاطئ ، من كانوا داخلها ركبوا القارب وكانوا يجرون مؤخرة السفينة .

اتجهوا نحو اليابسة ، أما من كان قريباً ، فقد صعد سراً على متن السفينة ولكن لم يجد شيئاً غير الطعام والأسلحة . كان الطعام يتكون من جوز الهند وأربع جرار بها كتل مخروطية من سكر النخيل ، أي شيء آخر كان عبارة عن رمال تستخدم لرصف الطرق ، أما السبعة الآخرون ، فقد ركضوا باتجاه الأرض بينما ذهبنا نحن بقواربنا كي نقذف عليهم بالبنادق .

في الصباح التالي ، وفي أثناء الرسو ، اقترب منا سبعة رجال في قارب وقالوا لنا إن تلك السفن من "كلكتا" ، وأنهم كانوا يبحثون عنا ، وإذا أمسكوا بنا فسوف يقتلوننا جميعاً .

في اليوم التالي بعد أن غادرنا من هناك ، ذهبنا لنرسو بعيداً قليلاً ،

على مسافة قذيفتين من أول مكان كنا فيه ، في جزيرة قيل لنا إنه يوجد بها ماء .

قد أرسل الضابط الأعلى على الفور "نيكولاو كويلهو" في قارب مسلح ، لتحديد المناطق التي وجد بها الماء ، وقد وجد في تلك أنقاض كنيسة بأعمال حجرية ضخمة ، والتي هدمها المسلمون ، وفقاً لما قاله السكان الأصليون .

ذلك غير المعبد الذي كان سقفه من القش ، وقد قاموا بصلاتهم لثلاث صخرات لونها أسود ، والتي كانت في وسط صحن المعبد ، وقد وجدنا أيضاً خلف الكنيسة مكاناً منحوتاً جيداً أيضاً ، وقد أخذنا منها ما شئنا من المياه ، وقد كان هناك صهريج كبير يتحكم في الجزيرة كلها ، يصل ارتفاعه إلى أربع قامات ، وقد وجدنا أيضاً شاطئاً أمام الكنيسة حيث نظفنا وطلينا سفن الضابط القبطان بالقار ، ولم يتم جر "سانت رافايل" إلى الشاطئ بسبب العوائق المذكورة أدناه .

في يوم عندما كنا في "بيريو" والتي قد تم سحبها إلى الشاطئ ، وقد اقترب قاربان كبيران ، وكأنهم يقتربون بالإكراه ، يحملان على متنهما العديد من الكفار ، وكانوا يدفعون بالمجاديف ، وجاؤوا وهم يدقون الطبول والشوم ، وراياتهم فوق الصواري ، وقد ظلت خمس سفن أخرى على الساحل من أجل حمايتهم .

قبل وصول السفينة سألنا من كانوا يسافرون معنا ، أي عرق أو نوع من الرجال هم ، وقد قالوا لنا بألا نسمح لهم بأن يضعوا أرجلهم

على متن السفن وأنهم لصوص وجاؤوا للإمساك بنا إن استطاعوا إلى ذلك سبلاً .

ذهب رجال تلك البلاد مسلحين وكانوا حريصين على ركوب السفن ، وعندما كانوا على متنها ظنوا أنهم كانوا أقوياء كفاية ، وقد أخذوا الزوارق ، وعندما كانوا في مجال قذائفنا ، أطلقت عليهم "سانت رافايل" وسفينة "القرقور" التابعة للضابط الأعلى ، ثم بدأوا يصرخون قائلين "تامبيرام" مما يوحي بأنهم من المسيحيين ، لأن المسيحيين في الهند يطلقون على الله لفظة "تامبيرام" .

عندما رأوا أننا تجاهلنا تلك الإشارة ، بدأوا في الهروب في اتجاه اليابسة ، وقد لحق بهم "نيكولاو كويلهو" لمدة قليلة في قارب حتى رفع من كانوا في القرقور أعلاماً له كي يعود .

في اليوم التالي ، عندما كان الضباط ينظفون "البيرو" مع العديد من الرجال ، وصل مركب صغير به حوالي اثني عشر رجلاً في أبهى حلتهم ومعهم لفات من الأقمشة ، وقد أحضروا حزمة من قصب السكر كهدية للضابط الأعلى .

عندما عادوا إلى الشاطئ سألوه بأن يسمح لهم بالذهاب وزيارة السفن ، وعندما شك الضابط بأنهم قد جاؤوا لجمع معلومات ، أصبح متضايقاً منهم .

بينما كان ذلك مستمراً ، وصل قاربان آخران بهما عدد أكثر من

الأشخاص ، وعندما لاحظ الذين جاؤوا في المرة الأولى أن الضابط كان عدائياً تجاههم ، حذروا الآخرين ألا يقتربوا وأن يعودوا ، ثم نزلوا هم أيضاً من القوارب ولحقوا بهم .

أثناء تنظيف سفينة الضابط الأعلى ، وصل رجل في الأربعين تقريباً ، متزيناً بملابس من الكتان ومعتمراً قبعة فاخرة جداً على رأسه ، ومعه سيف قصير في خصره ، وكان يتحدث لغة أهل البندقية بطلاقة ، وعندما ظهر عانق الضابط بشدة وكذلك الضباط ، وبدا في الزعم أنه كان مسيحياً من منطقة "ليفانت" "Levant" ، وقد جاء إلى هذه الدولة عندما كان صغيراً جداً ، وهو الآن في خدمة لورد يملك أربعين ألف فارس ، ولقد كان الأخير مسلماً ، وكذلك كان هو أيضاً ، إلا أنه كان مسيحياً في قلبه .

بينما كان في المنزل ، وصلت الأخبار بأن بعض الرجال كانوا في "كلكتا" ولم يتمكن أحد من فهمهم وقد كانوا متنكرين في الثياب ، وعندما سمع بذلك ، قال بأنهم يمكن أن يكونوا من (الفرنجة) ، وهي الطريقة التي يشار إلينا بها في تلك المناطق ، لذلك طلب الإذن بأن يأتي "ليرانا" ، لأنه إذا لم يكن سيسمح له بأن يقوم بذلك فسوف يموت من الإحباط .

قال له سيده بأن يأتي ويخبرنا إذا كان هناك أي شيء يمكن أن يقدمه من ممتلكاته وسوف يعطيه لنا ، وقد عرض سفنه وطعامه ،

بالإضافة إلى ذلك فإنه سيكون سعيداً جداً إذا كنا سنعيش في تلك الدولة .

قد شكره الضابط جدا لذلك ، وهو ما اعتبره المسلم مقبول جداً ، ثم سأل بعد ذلك الضابط خدمة ، وهي أن يعطيه جبنة ليرسلها لرفاقه الذين ظلوا على الشاطئ ، لأنه اتفق معهم أنه إذا كان كل شيء على ما يرام ، سوف يعطيهم إشارة وبعدها سيكون مطمئناً ، وقد أعطى الضابط الأوامر بعد ذلك بأن يتم إعطاؤه جبنة ورغيفين من الخبز الطازج ، وقد ظل على الشاطئ ، وتحدث كثيراً وذكر أشياء كثيرة في يوم ما ناقض نفسه فيها .

ثم ذهب "باولو دا غاما" إلى مسيحيي الدولة ، والذين استقبلوه وقد سألهم من كان ذلك الرجل ، وقد قالوا له بأنه قرصان جاء لمهاجمتنا هنا وأن سفينة "القرقور" الخاصة به كانت على الشاطئ مليئة بالرجال .

قد كنا متسلحين بمعلوماتنا وحذرنا الباقين ، وقد قمنا بالقبض عليه وأخذناه إلى السفينة المذكورة ، والتي كانت على الشاطئ ، وبدأنا في ضربه بالسوط كي نجعله يعترف بأنه كان القرصان الذي لحق بنا ، وأن يعترف بسبب مجيئه إلينا .

قد صرح بأنه كان مدركاً أن الدولة كلها أرادتنا مرضى ، وأن العديد من الرجال المسلحين كانوا في الجوار مختبئين في تلك الجداول الصغيرة ، بالرغم من ذلك لم يجرأ أي منهم على المجيء

والمهاجمة ، فقد كانوا منتظرين لأربعين سفينة ، قد تم تسليحها كي يقتلونا ، إلا أنه لم يكن يعلم متى كانوا سيهاجموننا .

لم يقل شيئاً آخر عن نفسه سوى الذي قاله في البداية ، ولقد تم استجوابه لاحقاً ثلاث أو أربع مرات ، إلا أنه لم يصرح بذلك علناً ، فقد فهمنا ذلك من لغته الجسدية أنه جاء لرؤية تلك السفن كي يعرف عن هؤلاء الرجال والأسلحة التي كانت معهم .

لقد أمضينا اثني عشر يوماً في تلك الجزيرة ، وقد أكلنا العديد من السمك الذي أحضره السكان الأصليون ليبيعوه لنا ، وكذلك العديد من اليقطين والخيار ، وقد أحضروا أيضاً حمولة قارب من خشب القرفة الخضراء ، والتي لا تزال بورقها .

عندما أصبحت السفن نظيفة وأخذنا الكثير من الماء كما أردنا ، وتم تحطيم سفينة "القرقور" التي أمسكنا بها ، غادرنا يوم الجمعة الخامس من أكتوبر .

قبل أن يتم تفكيك السفينة التي تم الإمساك بها ، فقد عرضوا على الضابط ألف "فانوس" مقابلها ، وقال لهم إنها لم تكن للبيع ، لأنها تخص أعداءه ، لذا فإن رغبته الوحيدة كانت حرقها .

بعد أن أبحرنا مسافة مائتي فرسخ من نقطة بدايتنا على البحر المفتوح ، وقد أخبرنا المسلمون بأنه اعتقد أنه ليس الوقت المناسب لإخفاء أي شيء ، وقال بأنه حقيقي أنه عندما كان في بيت سيده وصلت الأنباء بأننا كنا نجوب تائهين بامتداد الساحل ، ولم نكن

نعلم طريق عودتنا للديار ، وبسبب ذلك ، فإن كثيراً من الأساطيل كانت تقوم بدوريات وعزمت على الإمساك بنا .

قال له سيده بعد ذلك بأن يحدد مكاننا ، وأن يرى كيف نتصرف ، وأن يرى إذا كان من الممكن أن يجعلنا نقع في قبضة يده ، وقد قام بذلك لأنه قد تم إخباره أنه إذا أمسك بنا القرصان فلن يعطيه أي نصيب ، ولكن إذا هبطنا سيمسك بنا هو بنفسه ، ولأننا كنا رجالاً شجعاناً فإنه سيستخدمنا لشن حرب ضد الملوك المجاورين ، وقد تم هذا الاتفاق بدون الشخص الثالث .

قد أمضينا وقتاً كبيراً جداً في هذه الرحلة ، وقد ضيعنا ثلاثة أيام من ثلاثة شهور كاملة ، بسبب السكون الكثير والرياح المضادة التي واجهناها ، وبعد ذلك أصيب الجميع بالتهاب في اللثة والذي يتطور حتى يصل إلى أسنانهم لدرجة أنهم لم يعودوا قادرين على تناول الطعام ، وفي نفس الوقت انتفخت أرجلهم وأصبح لديهم بعض الأورام في كل أجسامهم ، وقد انتشر ذلك بشكل كبير لدرجة أن رجالاً ماتوا من دون أن يصيبهم أي مرض آخر .

لقد كان لدينا حوالي ثلاثين رجلاً يموتون بسبب هذا البلاء في وقت قصير ، بالإضافة إلى الآخرين الذين ماتوا بالفعل . إن عدد من يستطيعون الإبحار في كل "قرقور" يمكن أن يكون سبعة أو ثمانية رجال ، وهم ليسوا أصحاء كما ينبغي أن يكونوا ، وفي هذه المسألة يمكنني أن أؤكد لكم أنه إذا كان هذا الطقس قد استمر لمدة خمسة

عشر يوماً بينما كنا نحن نعبر ذاك البحر ، فلن يكون هناك من أحد ليبحر في السفن ، وقد وصلت الأمور إلى أن مصيرنا أصبح مهدداً .

بينما كنا نعاني من تلك المصيبة ، قمنا بالعديد من الوعود والالتماسات إلى قساوسة السفن ، ولقد كان لدى الضباط اجتماع بالفعل وقرروا أنه إذا كانت الرياح في مصلحتنا ، يجب أن نعود إلى أرض الهند من حيث جئنا وأن نلجأ هناك . لقد أرضى الله برحمته أن أرسل لنا تلك الرياح حيث إننا وصلنا الأرض في حوالي ستة أيام ، ولقد سرنا ذلك كثيراً وكأنها كانت البرتغال ، لأننا كنا نأمل ، بعون الله ، أن نستريح هناك كما كنا نفعل في مناسبات سابقة .

في يوم الثلاثاء ، الثاني من يناير عام ١٤٩٩م ، ولأننا كنا قريبين من اليابسة وكان الليل قد حل بالفعل ، أبحرنا نحو الشاطئ واسترحنا هناك ، وعندما أطل الصباح ، اتجهنا نحو اليابسة كي نكتشف أين ألقى بنا إلهنا ، لأنه لم يكن هناك أي من مرشدي السفن بعد الآن أو أي رجل يمكنه وصف مواقع السفن لتحديد مكاننا .

قال بعضهم إننا لا يجب أن نكون في أي مكان سوى بين بعض الجزر ، والتي تبعد حوالي ثلاثمائة فرسخ من البر الرئيس ، بعيداً عن "موزمبيق" ، ذلك لأن مسلماً ، والذي أمسكنا به في "موزمبيق" ، أخبرنا أن تلك الجزر كانت غير صحية لدرجة كبيرة لدرجة أن من كانوا يعيشون هناك أصيبوا بالمرض الذي أصبنا به .

قد وجدنا أنفسنا أمام مدينة كبيرة جداً ، ذات مباني مكونة من طابقين . في منتصف البلدة يوجد مربع فارغ ، وحول المدينة ، والتي كانت تواجه البحر مباشرة ، يوجد أربعة أبراج ، وهي تتبع للمسلمين وتسمى "مقاديشو" ، وعندما تقدمنا واقتربنا منها ، أطلقنا العديد من القذائف .

لقد أكملنا طريقنا بامتداد الساحل ، مع رياح مواتية معتدلة ، وكنا نبحر صباحاً ونرتاح مساءً ، لأننا لم نكن نعلم كم نبعد عن "ماليندي" ، حيث أردنا الذهاب .

في يـوم السـبت ، الخامس من هذا الشهر ، في أثناء توقفنا ، بدأت فجأة عاصفة رعدية وتسببت في قطع حبل الكر لسفينة "سانت رافايل" .

بينمـا كـنا نجهز تلك السفينة ظهر قرصان من مدينة تسمى "باتا" ، وكان معه ثمانية قوارب مليئة بالرجال ، وعندما كانوا على بعد قذيفة منا قمنا بالإطلاق عليهم ، وهربوا جميعاً على الفور باتجاه اليابسة ، ولم نتبعهم بسبب عدم وجود الرياح .

في يوم الاثنين ، السابع من الشهر المذكور ، ذهبنا لنرسو بعيداً عن "ماليندي" ، حيث أرسل الملك قارباً طويلاً محملاً بالأشخاص وعدداً من الخراف ، وقد أبلغ الضابط بأنه مرحب به ، وأنه كان في انتظاره لبضعة أيام ، وقد أعطى بعد ذلك تعبيرات بكثير من كلمات الصداقة والسلام .

في اليوم التالي أمر الضابط بإحضار رجل إلى الشاطئ مع من وصلوا ، كي يحضروا معهم بعض البرتقال والذي كان المرضى الذين أحضرناهم في حاجة إليه ، وفي الحقيقة لقد أحضروه معهم مباشرة مع العديد من الفاكهة الأخرى ، إلا أن المرضى لم يستفيدوا ، لأن المناخ أرهقهم لدرجة أن كثيرين منهم ماتوا هناك .

جاء عدد كبير من المسلمين على متن السفن بأمر من الملك وأحضروا معهم العديد من الدجاج والبيض للتجارة ، وعندما رأى الضابط أنهم كانوا يظهرون لنا طيبة شديدة في ذلك الوقت عندما كنا في حاجة لذلك ، قدم هدية للملك وأرسل كلمة إليه مع أحد الرجال الذين يتحدثون العربية ، وطلب منه قرناً من العاج كي يأخذه لسيده ، ملك البرتغال ، وطلب الإذن بتثبيت "البادراو" على الشاطئ . سيظل ذلك كدليل على الصداقة .

قد رد الملك بأنه سيكون سعيداً جداً إذا قام بكل ذلك ، وأنه نابع من حبه لملك البرتغال وعده بأن يطيعه وأن يكون مخلصاً لخدمته دائماً .

في الحقيقة أرسل على الفور القرن إلى الضابط ، وتم جلب "البادراو" إلى الشاطئ ، ثم أمر بعد ذلك شاباً مغربياً أراد أن يرى البرتغال كي يسافر معه ، وقد رشحه الملك بشدة للضابط ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد أوضح بأنه كان سيرسل الرجل الشاب كي يعلم ملك البرتغال إلى أي مدى أراد صداقته .

قد أمضينا خمسة أيام في ذلك المكان ، نستريح ونتعافى من التعب الشديد الذي عانيناه في الرحلة ، حيث كنا على باب الموت .

قد غادرنا في صباح الجمعة ، وعندما حل السبت ، وهو اليوم الثاني عشر من ذلك الشهر ، عبرنا بالقرب من "موزمبيق" ، وفي يوم الأحد رسونا في المنطقة الضحلة من "سانت رافايل" ، وهناك أشعلنا النيران للسفينة التي تحمل ذلك الاسم ، حيث إنه كان من المستحيل إبحار ثلاث سفن بالعدد القليل من العمالة التي كانت لدينا ، وهنا قمنا بنقل كل شيء من تلك السفينة إلى واحدة أخرى ظلت معنا .

قد أمضينا خمسة أيام هنا حيث أرسل لنا الناس في القرية المقابلة ، التي تسمى "تاموجاتا" "Tamutaja" (اوتاجاتا) ، العديد من الدجاج للبيع أو للمقايضة بالأقمشة والأساور ، وفي يوم الأحد ، السابع والعشرين من الشهر المذكور ، غادرنا من هناك برياح مواتية منعشة ، واسترحنا في الليلة التالية ، وعندما حل النهار وجدنا أنفسنا خارج جزيرة كبيرة جدا تسمى "زنزبار" ، والتي يسكنها المسلمون ، والتي تبعد مسافة عشرة فراسخ من البر الرئيس .

في مساء الأول من فبراير ، رسونا بعيداً عن جزيرة "سانت جورج" ("غوا" و"سينا") بالقرب من "موزمبيق" ، وفي الصباح التالي ذهبنا لنصب "بادراو" على الجزيرة .

في طريقنا إلى هناك حضرنا قداساً ، ولقد هطل المطر بشكل

كثيف لدرجة أننا لم نكن قادرين على إشعال النار لصهر الرصاص لوضع الصليب في الأعلى ، وقد ظل بدون أي شيء .

في غضون ذلك ، عدنا إلى السفن وغادرنا على الفور .

في الثالث من مارس وصلنا إلى خليج "سانت براس" حيث اصطدنا العديد من سمك الأنشوقة ، وأسد البحر ، والبطاريق ، والتي احتفظنا بها في ماء البحر أثناء الرحلة .

قد غادرنا في الثالث عشر من ذلك الشهر ، وعندما كنا على بعد اثني عشر فرسخاً من المنطقة المائية ، هبت ريح غربية بشدة لدرجة أننا اضطررنا للدوران وللرسو في الخليج ذاته .

عندما عاد الطقس الحسن مرة أخرى ، بدأنا مرة أخرى رحلتنا ، وقد وهبتنا سيدتنا تلك الرياح المبشرة حتى إنه في اليوم العشرين من ذلك الشهر درنا حول رأس الرجاء الصالح ، ومن وصل منا أبعد كانوا أقوياء وأصحاء بالرغم من أنهم في ذلك الوقت كانوا شبه ميتين من البرد بسبب الرياح القوية التي عاصرناها هناك في تلك الأرض، وعندما كان البرد قارساً ، فقد شعرنا به أكثر ، لأننا جئنا من دولة حارة .

قد أكملنا طريقنا ، على حرص منا أن نصل إلى الديار . أبحرنا مع رياح مواتية ، والتي استمرت لمدة سبعة وعشرين يوماً كاملاً ، وقد تركت لنا مكلأ جيداً للسفن في جزيرة "سانتياغو" .

وفقا للخرائط الملاحية ، فإن أبعد مسافة ممكن أن تبعد بيننا وبين الديار هي مائة فرسخ ، وقد ظن البعض أننا بالقرب من هناك بالفعل ، وهنا هدأت الرياح ، والتي حلت محلها رياح خفيفة جداً وكانت أمامية . لقد كنا مدركين أين نحن ، بسبب صوت الرعد الذي جاء لنا من اليابسة ، لذلك أبحرنا قدر المستطاع مع الرياح .

في يوم الخميس الخامس والعشرين من إبريل ، كان لدينا رصد من مسافة خمس وثلاثين قامة .

قد تبعنا هذا المسار اليوم بأكمله بالرغم من أن رصد المناطق الضحلة كان عشرين قامة ، إلا أننا لم نكن قادرين على رؤية اليابسة .

قال مرشدو السفن إننا بين مياه "ريو جراندي" "Rio Grandi" الضحلة .

(انتهت الرواية فجأة هنا) .

وفي العام نفسه (١٤٩٧م)

واصل "فاسكو دا غاما" "Vasco da Gama" رحلته على طول شواطئ "موزمبيق" : [٢]

في يوم السبت بعد الظهر ، الخامس والعشرين من نوفمبر في عيد "سانت كاترين" دخلنا خليج "سانت براس" خليج "موسيل" "Mocil" حيث أمضينا ثلاثة عشر يوماً ، وقمنا بفك سفن "القرقور" التي تحمل المؤن وحولناها إلى سفن أخرى .

إن الناس في هذه الدولة متوردي البشرة وبنيتهم جيدة ، وهم يتبعون ديانة محمد ويتحدثون كالمسلمين (العرب) .

كانت ملابسهم من الكتان والقطن الفاخر ، وبها العديد من الشرائط الملونة ، ذات الجودة الممتازة وبراعة ، وجميعهم يرتدون قلانس على رؤوسهم ، بها شرائط للتزين من الحرير المطرز بخيط

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

ذهبي ، هناك تجار ، وتجارة مع المسلمين البيض ، ويجلب ممن كانت سفنهم هنا في هذا الميناء الذهب والفضة والقماش والقرنفل والفلفل الأسود والزنجبيل والخواتم الفضية ، بالإضافة إلى العديد من اللآلئ ، والأحجار الكريمة والياقوت الأحمر .

يتاجر سكان هذه الدولة في تلك المواد ، وفقاً لما قالوه ، فهمنا أن المسلمين قد جلبوا كل تلك الأشياء ، فضلاً عن الذهب عن طريق القافلة ، بالإضافة لذلك ، وفي الأمام قليلاً ، حيث كنا متجهين ، كان هناك مخزونٌ لانهائي منها بالفعل ، وكان هناك الكثير من الأحجار ، واللآلئ والتوابل والتي لم يكن هناك حاجة لشرائها فقد كانت كافية لملء سلة ، وقد علمنا كل ذلك من خلال بحار أحضره الضابط القبطان معه ، كان أسيراً مسلماً ، ولذلك فهم من قابلناهم هنا .

قد أخبرونا أيضاً (هؤلاء المسلمين) أنه على الطريق الذي كنا نتبعه يمكننا أن نقابل العديد من المناطق الضحلة ، ويمكننا أيضاً أن نعبر خلال العديد من المدن عبر الساحل ، وقد نجد أيضاً جزيرة نصف سكانها من المسيحيين ، والنصف الآخر من المسلمين .

قد كان هؤلاء في حرب مع بعضهم بعضاً ، وكان هناك أيضاً العديد من الأغنياء على هذه الجزيرة ، علاوة على ذلك ، قالوا لنا أن "بريستير جون" كان يعيش بالجوار ، وأنه كان لديه العديد من المدن على الساحل ، وكان سكانها تجاراً بارعين وكان يملكون سفناً

كبيرة ، إلا أن مملكة "بريستر جون" تقع في العمق داخل البلاد ، وكان من المستحيل الوصول إليها إلا عبر الجمال .

أحضر هؤلاء المسلمون اثنين من السجناء المسيحيين من الهند وقد حكوا هذه الأشياء وأشياء أخرى غيرها ، والتي ملأتنا بتلك السعادة لدرجة أننا بكينا من الفرح ودعونا الله أن يكون راضياً كي يمنحنا الصحة كي يمكننا في يوم من الأيام رؤية ما قد تقنا لرؤيته .

إن هذه الدولة والجزيرة ، والتي تعرف باسم "موزمبيق" ، لها زعيم ، تماماً مثل نائب الملك ، ويعطونه لقب (سلطان) ، وهو يأتي عادة إلى سفينتنا بصحبة أفراد آخرين ، من قبيلته ، ولقد قدم له الضابط القبطان طعاماً فاخراً جداً ، وقد عرض عليه أيضاً مجموعة من القبعات و"كابات" قصيرة بها "قلانس" ومرجان والعديد من المواد .

بالرغم من ذلك فإن الزعيم كان متكبراً جداً لدرجة أنه ازدرى كل ما كان يقدم له ، وبدل ذلك طلب منا أن نعطيه بعض القماش القرمزي ، ولكننا لم نحضر أياً من ذلك إلا أننا قد أعطيناه كل ما لدينا ، وفي يوم من الأيام أعطاه الضابط القبطان هدية مكونة من كميات كبيرة من التين والأطعمة الشهية وطلب في المقابل من الزعيم بأن يسمح لاثنين من مرشدي السفن ليكونا بصحبتنا .

قد أبدا رضاه على أن يتم مكافأتهم ، وقد أعطاهم الضابط القبطان ثلاثين مثقالاً من الذهب وعباءتين ، وكان ذلك على شرط أنه من يوم حصولهم على هذه المكافأة ، إذا أراد أحد منهما أن يذهب إلى

الشاطئ في يوم من الأيام فسيبقى الآخر على متن السفينة ، ولقد رضيا جداً بهذا الاتفاق .

في يوم السبت ، العاشر من مارس ، غادرنا ورسونا على بعد فرسخ داخل البحر بالقرب من جزيرة ، كي يقال القداس يوم الأحد ، ومن تمنى أن يعترف يمكنه أن يحصل على العشاء الإلهي . ظل أحد مرشدي السفن في الجزيرة ، بعد أن رسونا ، وقد جهزنا قاربين للإمساك به ، ذهب الضابط القبطان في أحد القوارب وذهب "نيكولاو كويلهو" في الآخر .

بينما كانوا مستمرين في ذلك الطريق ، ظهرت خمسة أو ستة قوارب لمقابلتهم ، وكانت مكتظة بالرجال ، ومسلحة بأقواس طويلة وأسهم ودروع ، وقد أشاروا لهم بأن عليهم العودة إلى المدينة .

عندما رأى الضابط القبطان ذلك ، أمسك بمرشد السفن وأعطى أمراً بإطلاق قذائف على من كانوا يقتربون بالقوارب ، ظل "باولو دي غاما" مع السفن ، حتى إذا كان هناك حاجة له ، سوف يأتي لمساعدتنا ، وعندما سمع القذائف ، أبحر في "البريو" .

عندما رأى المسلمون الذين قد هربوا بالفعل بأن سفينته قد أبحرت ، هربوا أسرع بكثير واتخذوا ملجأ على الشاطئ قبل وصول "بيرو" ، ثم عدنا إلى المرسى .

إن السفن في هذه الدولة كبيرة وبدون ظهر ، ولا يوجد بها أي

أوتاد أو مسامير ، وهي مثبتة بحبال ليف جوز الهند ، وكذلك الحال مع القوارب ، والتي صنعت أشرعتها من حصر سعف النخيل . يحمل بحارتها بوصلات "جينوسيس" ، وأدوات قياس الارتفاع وخرائط والتي يمكن بواسطتها الإبحار .

إن أشجار النخيل في هذه الدولة تثمر فاكهة في حجم البطيخ ، ويأكل السكان الأصليون الذرة ، كالمكسرات .

يوجد أيضاً العديد من الخيار والبطيخ هناك ، والتي جلبوها للمتاجرة بها معنا ، وفي اليوم الذي دخل فيه "نيكولاو كويلهو" الميناء ، جاء زعيم الجزيرة على متن السفينة مع العديد من الرجال ، وقد قدم له القائد تحية قبلية كما قدم له قلنسوة حمراء ، وفي المقابل ، أعطاه الزعيم خرزاً أسود والذي يستخدمه في الصلاة ، كدليل على الإخلاص .

ثم سأل "نيكولاو كويلهو" كي يسمح له بالذهاب إلى الشاطئ بقاربه ، ولقد منحه ذلك ، وبعد أن هبط ، أخذ من كانوا بصحبته إلى بيته ودعاهم لتناول الطعام ، وبعد ذلك أعطى الأوامر لهم بالعودة ، وأرسل إلى "نيكولاو كويلهو" جرة من التمر المسحوق على شكل مربى بالقرنفل والكمون .

كما أرسل لاحقاً العديد من الأشياء إلى الضابط ، كان ذلك خلال الوقت الذي ظنوا فيه أننا كنا أتراكاً أو مسلمين (عرباً) من منطقة أخرى ، لأنهم سألوا إذا كنا قادمين من تركيا ، وطلبوا منا أن نريهم أقواس دولتنا ، وكتب ديننا .

عندما علموا أننا مسيحيون ، أعطوا الأمر بالإمساك بنا وأن نقتل بغدر ولكن مرشد السفن الذي أخذناه معنا كشف لنا كل شيء نووا على القيام به في الفرصة المحددة ، وفي يوم الأحد احتفلنا بالقداس في الجزيرة في ظل بستان طويل ، وبعد القربان المقدس عدنا إلى السفن ، وعلى الفور أبحرنا وأكملنا رحلتنا وأخذنا معنا العديد من الدجاج مقابل بعض حبات الخرز الزجاجية الصفراء ، وفي يوم الثلاثاء رأينا دولة ، بها جبال مرتفعة ورأس .

إن الجزء الساحلي لهذا الرأس مغطى بغابات بشكل متناثر ذات أشجار طويلة تشبه شجر الدردار ، تصل اليابسة نفسها إلى عشرين فرسخاً على الأكثر من المكان الذي انطلقنا منه ، وقد توقفنا هنا في يومي الثلاثاء والأربعاء ، وفي اليوم التالي أكملنا طريقنا في البحر مع رياح شرقية خفيفة معتدلة ، وعندما بزغ الفجر وجدنا أنفسنا على بعد أربعة فراسخ من "موزمبيق" .

في ذلك اليوم أبحرنا حتى المساء ، ورسونا بعيداً عن الجزيرة حيث يقرأ القداس كما قيل لنا في الأحد السابق ، وهناك ظللنا لمدة ثمانية أيام بانتظار الرياح المعتدلة ، وفي غضون ذلك أرسل ملك "موزمبيق" إلينا قائلاً بأنه يريد أن يتفق على السلام ، وأنه يريد أن يكون صديقاً لنا ، وقد كان السفير الذي يناقش هذا السلام مسلماً أبيض وقد كان شريفاً أي "رجل دين" وكان مفرطاً في الشرب ، وبينما كنا هناك ، وصل مسلم مع ابنه .

لقد صعد على متن سفننا الأربعة ، وأعلن أنه يتمنى أن يسافر معنا لأنه جاء من مكان قريب من مكة ، وجاء هنا إلى "موزمبيق" ليكون مرشداً لإحدى سفن تلك الدولة ، وبما أننا لم نمنح الرياح المطلوبة ، دخلنا ميناء "موزمبيق" لأخذ المياه ، التي كنا بحاجة إليها ، وقد كان ذلك على الجانب الآخر من البر الرئيس ، ولقد كانت تلك المياه التي يشربها سكان الجزيرة لأن تلك كانت المياه الوحيدة التي لم تكن مالحة .

دخلنا الميناء في يوم الخميس ، وفي المساء أطلقنا القوارب الطويلة ، وفي منتصف الليل ذهب الضابط القبطان "نيكولاو كويلهو" وبعض منا للبحث عن ماء ، وقد أخذنا مرشد السفن المسلم معنا ، والذي كان حريصاً على الهرب ، إذا سنحت له أي فرصة ، أكثر من كونه كان حريصاً على إرشادنا إلى مكان المياه ، ولقد قام بتشويشنا لدرجة أنه تمكن من ألا يرنا موقعه أو أنه لم يرد ذلك .

ولقد انشغلنا في هذا البحث حتى الصباح ، ثم عدنا إلى سفننا ، وأثناء بعد الظهر ذهبنا مرة أخرى إلى الشاطئ مع نفس المرشد ، وعندما اقتربنا من آبار الماء ، انقض علينا حوالي عشرين من السكان الأصليين بامتداد الشاطئ ، ولوحوا مهددين برماحهم ليدافعوا عن الماء ضدنا ، وقد أمر الضابط القبطان بإطلاق ثلاث قذائف عليهم ، كي يتوفر لنا مكان كي يمكننا القفز على الشاطئ .

بعد أن هبطنا ، اختبأ هؤلاء الرجال في الأدغال ، وأخذنا نحن

كل الماء الذي نحتاجه ، وعندما تراجعنا كان وقت الغروب تقريباً ، وقد اكتشفنا زنجياً هرب بعيداً من المرشد "جواو دي كويمبرا" ، وفي صباح السبت ، الرابع والعشرين ، ليلة عيد سيدتنا ، اقترب مسلم من هذه السفينة وقال إذا كنا نريد الماء علينا أن نذهب ونأخذه ، وبذلك أراد أن يفهمنا أن هناك أناساً يريدون وسيجبروننا على التراجع .

عندما سمع الضابط القبطان ذلك ، قرر بأنه يجب أن نذهب إلى هناك ، ليريهم أنه يمكننا أن نلحق الأذى بهم إذا أردنا ذلك ، وبالتالي ذهبنا إلى القرية بالقوارب الطويلة المسلحة ، ولكن كانت هناك قذائف على مؤخرتها

لقد بنى المسلمون أعمدة قوية من الخشب السميك ، مثبتة بطريقة تجعل من المستحيل لأي أحد أن يعرف ما يوجد خلفها ثم ساروا بامتداد الشاطئ بالدروع والرماح والسيوف والأقواس والسياط حيث قاموا بقذف الحجارة علينا ، وقد قمنا بالرد بالقذائف لدرجة أنهم قرروا مغادرة الشاطئ والذهاب للالتجاء عند الأعمدة التي قاموا ببنائها ، وقد زادوا الأمور سوءاً وليس العكس .

بعد أن انشغلنا في هذا التبادل لمدة ثلاث ساعات تقريباً ، تركنا رجلين ميتين هناك ، أحدهما قتل على الشاطئ والآخر داخل الأعمدة وعندما حل بنا من التعب ما يكفي ، عدنا إلى السفن كي نأكل ، وقد قاموا على الفور بالهرب حاملين أمتعتهم في "الماديا" إلى قرية على الشاطئ الآخر ، وبعد العشاء ، ذهبنا بالقوارب لنرى إذا

كان من الممكن أخذ بعض منهم كسجناء ، لاستخدامهم كفدية للمسيحيين الهنود الذين أمسكوا بهم والزنجي الذي غادر إليهم .

لذلك قمنا بملاحقة "ألماديا" التي تتبع للشريف والتي كانت محملة بالأقمشة وواحدة أخرى كانت تحمل أربعة زنوج ، والتي أمسك بها "باولو دا جاما" ، وعندما وصلوا إلى اليابسة فروا جميعاً وتركوا "ألماديا" المحملة بالملابس على شاطئ البحر ، وقد وجدنا كلا المركبين على الشاطئ وقد أخذنا الزنوج الذين أمسكنا بهم هناك إلى السفن .

قد وجدنا في "ألماديا" لفافات كثيرة من القطن الفاخر ، وسلال النخيل وقدوراً مصقولة من الزبدة ، ونواقيس زجاجية من الماء ، وكتباً لديانتهم ، وصندوقاً به شلل عديدة من خيوط القطن ، وقد وجدنا أيضاً أرجوحة شبكية مصنوعة من القطن والعديد من السلال المليئة بالذرة ، وقد أعطى الضابط القبطان كل ما كان هناك إلى البحارة والضباط الذين كانوا معه هناك ، ما عدا الكتب التي تركها كي يقرأها الملك .

في الأحد التالي انطلقنا في الماء ، وفي يوم الاثنين توقفنا بعيداً عن المدينة ، وكانت قواربنا مسلحة ، وتحدث المسلمون إلينا من خلف منازلهم ، لأنهم لم يجرؤوا على القدوم إلى الشاطئ ، وبعد أن أطلقنا بعض القذائف عليهم ، ذهبنا لنرسو بالقرب من جزيرة

"سانت جورج" ("غوا" و"سينا") حيث انتظرنا هناك ثلاثة أيام أخرى كي يمنحنا الله الطقس الجيد .

في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر ، تركنا هذه الجزر ، ولأن الرياح كانت خفيفة ، فعندما حل فجر السبت الموافق الثلاثين من ذلك الشهر ، كنا على بعد ثمانية وعشرين فرسخاً من الجزر التي ذكرناها .

أحداث عام ١٤٩٩م

في تلك السنة ، انتشر خبر اكتشاف الهند . جاء ذلك من رسالة(أ) من لشبونه بتاريخ شهر يوليو عام ١٤٩٩م ، من "دوم مانويل" "D . Manuel" إلى الملك "فيرديناند" "Ferdinand" وإلى الملكة "إيزابيل" "Isabel" في "قشتالة" لإخبارهما عن اكتشاف الهند : (٣)

أصحاب العظمة ، أصحاب الفخامة الأمراء وأصحاب السلطات اللوردات .

فخامتكم على علم بأننا قد أرسلنا "فاسكو دا غاما" ، وهو نبيل من هذا البيت ، مع شقيقه "باولو دا غاما" ، على أربع سفن(ب)

(أ) نشرت هذه الرسالة في (وثائق الغون للأرشيف الوطني "لتوري دي تومبو" ، ص ٩٥-٩٦ على أن هذه المطبوعة غير معنية بالتعديلات التي جرت في أثناء ذلك عليها) .

(ب) "ساو غابرييل" ، "ساو رفائيل" و"بيرو" ، إلى جانب سفينة تموين تم هجرها لاحقاً من قبل بحارتها .

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

عبر المحيط في رحلة استكشافية ، وهما الآن في غياب استمر لعامين .

بما أن الهدف الرئيس لهذه الرحلة كان دائماً لخير أجدادنا وربنا سيدنا ، وبالتالي من أجلنا نحن ولمصلحتنا ، فإننا نعلن لكم أجمعين عطفاً على إرسالية قد وصلت إلى هذه المدينة من طرف أحد هؤلاء القباطنة ، فقد فهمنا أنهما قد اكتشفا الهند وممالك أخرى ومناطق مجاورة ، ولقد دخلوا وأبحروا في بحارها ، وأنهم قد وجدوا مدناً عظيمة هناك ، عظيمة وفي رخاء وسعة وكثافة سكانية .

كل أنواع التجارة في التوابل والأحجار الكريمة تمارس هناك وتنقل بواسطة الطرادات والسفن ، والمكتشفون أنفسهم شاهدوا ذلك بشكل واسع وبنوعيات جيدة ، وكانت تنقل إلى مكة ومن هناك إلى القاهرة ومن ثم توزع تلك البضائع عبر العالم .

هم يعيدون معهم من هذه البقاع كميات من القرفة والقرنفل والزنجبيل والفلفل وغيرها من البهارات والتوابل وكذلك أوراق وأعواد نفس التوابل ، وبالمثل الكثير من الأحجار الكريمة من كل الأنواع مثل الزمرد وغيره .

كذلك اكتشفوا أراضي حيث توجد مناجم للذهب ، على أنهم لم يجلبوا معهم بعد كميات كبيرة من الذهب أو من أنواع الأحجار الكريمة المختلفة ، كما كان يمكن لهم ذلك بسبب أنهم لم يكن في مقدورهم حمل الكثير من البضاعة (لمقايضتها بتلك الأخرى) .

بما أننا ندرك أن فخامتكم سوف تربح كثيراً وسوف تفرح كثيراً وترضى بهذا الإنجاز فإننا نجد أنه من المناسب أن نبلغكم به .

سوف يرى فخامتكم مما علمناه من هؤلاء الرجال ما يمكن عمله ولا شكّ في ذلك اعتماداً على توزيع المسيحيين[أ] الذين يوجدون برغم إمكانية ألا يكون مؤكداً إيمانهم وإخلاصهم للعقيدة ، أو لا يدركونها بالتمام ، على أننا يجب أن نواصل ونخدم الرب بتحويل وتأكيد الإيمان المقدس وتمجيده بينهم ، وحالما يتحولون إلى الإيمان الجديد (المسيحية) سوف تكون السانحة والفرصة المناسبة لتدمير المسلمين في تلك المنطقة .

سيكون أملاً في الرب أن تلك التجارة الكبيرة والتي منها نال كل المسلمين في تلك البقاع أرباحهم ، وهو يسيطرون عليها بين أيديهم على الرغم من بقاء بعض الناس وبعض الأجناس غير مدركين لها ، ولكن بسيطرتنا وإدارتنا وتوظيف الناس وسفننا يمكن لنا أن نغير كل شيء ، ونمكِّن كل المناطق المسيحية في هذا الجزء من أوروبا من التوابل هذه ومن الأحجار الكريمة .

هذا يجب أن ينجز بعون من الآلهة نفسها ، وسوف يلهم الرب آمالنا وأفكارنا وأهدافنا ويوجهها إلى حيث يجب ، طالما قلنا في الخدمة والصلوات والحرب ضد المسلمين هي سعينا وفتوحاتنا في

(أ) يظهر أن "فاسكو دا غاما" كان قد وصل عائداً من الهند وهو تحت الاعتقاد الذي كونه في الهند بأن الهنود كانوا بعامة مسيحيين!

تلك النواحي من أوروبا (إسبانيا والبرتغال) ، وحيث فخامتكم تقومون بتأثير إيجابي وكبير علينا .

نتوسل إلى فخامتكم لهذه الرحمة الكبرى التي تأتينا من الرب فنتمكن من تمجيده ، فبفضله الذي يمنحنا له نقوم ولسوف أعتبر هذا فضلاً[أ] .

أصحاب الرفعة والعظمة الأمراء ، أصحاب السلطان اللوردات ، فليحفظ الرب شخصكم ومملكتكم في حمايته المقدسة الدائمة

"لشبونه" ، في يوليو عام ١٤٩٩م

إلى أصحاب الفخامة .

(أ) ما تحته خط تم شطبه في النسخة الأصلية (ملحوظة المترجم) .

وفي العام نفسه (١٤٩٩م)

وصف المحيط الهندي في فترة "فاسكو دا غاما" "Vasco da Gama" ، من قبل "جنفيف بوشون" "Genevieve Bouchon" : [٤]

في عشية المئوية الخامسة لاكتشاف طريق البحر لجزر الهند الشرقية ، لم يكن قصدي محاولة دراسة كاملة للمحيط الهندي في زمن الرحلات البحرية الأولى للبرتغاليين ، لكن لمجرد تأكيد بعض المظاهر القليلة المعروفة التي تلقي بضوء جديد على تاريخ الفتوحات في آسيا .

الاختلاف الأساسي الأول من خلال مناطق التوسع البرتغالي يجب تأكيده . في المحيط الأطلنطي كان الأوربيون لوحدهم السادة على البحار العليا ، عندما دخل البرتغاليون إلى المحيط الهندي ،

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

من ناحية أخرى ، كانوا قد اقتحموا أجواء العالم البحري الذي كان عالماً منظماً لقرون عديدة ، حيث تواجدت وانتشرت التجارة في منطقة واسعة ، وكانت تحت السيطرة لمجتمعات تجارية ذات هيكلية قوية .

كانت الهند هي الهدف لحملات برتغالية ، لأنها كانت المركز الحيوي في المحيط ، حيث الطرق البحرية تربط القارات الثلاث وتلتقي في العالم القديم . تتجه اثنتان من رياح "المونسون" المتعاكسة نحوه ، وهما قادمتان من بحر الصين ، الشرق الأوسط وإفريقيا .

في القرن التاسع عندما قام العرب بأول رحلات بحرية عبر المحيط من "سيراف" إلى "كانتون" ، كان عليهم التوقف في أماكن على طول الساحل الهندي وهم في انتظار الرياح المواتية لتدفعهم للشرق الأقصى .

يمكن تعلم شيء ما من مخططات الرحلات البحرية الخاصة بهم وشبكات طرق تجارتهم من بيانات رحلاتهم ، لكن مصادر القرن الخامس عشر المتعلقة بالشرق والأوروبية أكثر ثراء بالمعلومات ، وتقدم صورة عن الإطار الذي من خلاله تمت الحملات البرتغالية .

السياق الآسيوي لهذه الحملة لا يمكن فهمه سوى من منطلق التطورات السابقة والكم المعرفي للرجال والعادات والتقاليد التي واجهها البرتغاليون . فقط هكذا يمكن فهم الصعوبات التي واجهوها ، وأيضاً ظروف نجاحاتهم ، وردود الفعل التي أثارها وجودهم .

لن أضع قائمة بالمصادر المتوفرة ، لكن بالأحرى سأؤكد تنوعها ، فالبلاد التي على المحيط الهندي غنية بالبقايا الأثرية والنقدية والتصديرية ، لكنها فقيرة في النصوص المكتوبة . إذ إن مخطوطات جنوب آسيا تلفت في معظمها بسبب رطوبة المناخ الاستوائي ، وهي معروفة فقط عبر نسخ لا يعتمد عليها ، وهي على أية حال مهتمة كثيراً بالفتوحات الحدودية ومؤامرات البلاط بدلاً عن النشاطات البحرية .

في الشرق الأوسط ، خاصة في مصر والجزيرة العربية فإن الأرشيف المعلوماتي حفظ بطريقة جيدة ، فهناك الوثائق القانونية والمالية ، وقوائم الأنساب الخاصة بالملاحين والربابنة التي بقيت موجودة .

بدون مساعدة من أي تأليفات أو افتراضات ، يمكن للمرء المحاولة فقط لربط تلك القطع المتناثرة والمبعثرة من المعلومات معاً بمساعدة إفادات وروايات المسافرين ، ومن ضمن هؤلاء :

ابن بطوطة من طنجة ، الذي قدم صورة عامة عن البلاد حول المحيط الهندي في القرن الرابع عشر ،

الكتابات الصينية عن السفن الشراعية بواسطة "زينغ هي" "Zheng-He" الذي أبحر في البحار الجنوبية سبع مرات في فترة مدتها ثلاثون عاماً (١٤٠٣م-١٤٣٣م) لجمع الجزية ،

عبد الرزاق ، السفير الفارسي في "في جاياناجار" "Jayanajar" (بسناجا البرتغالية) ،

الرحالة الروسي "أفاناسيج نيكتين" "Avanasing Nictin" .

التجار الإيطاليون والمغامرون الذين نجحوا في اختراق القوافل في معظم الأحيان على حساب تحولهم إلى الإسلام ، "نيكولا دي كونتي" "Nicola de Conte" ، "جـيرولامـو دا سـانتـو ستيـفـانـو" "Jerolamo de Santo Stefano" الذي غادر الهند في نفس الوقت الذي رسـا فيـه "فاسكـو دا غامـا" و"لودفيكـو دي فارتيمـا" "Lodevigo de Vartima" الذي عاد إلى أوروبا على ظهر سفينة برتغالية .

في ذلك الوقت عام (١٥٠٧م) ، كان البرتغاليون قد استوطنوا في ساحل "مالابار" ، وبـدأوا بحفظ سجلات عن نشاطاتهم وملاحظاتهم ، واحتفظوا في دفاترهم اليومية أثناء وجودهم على ظهر السفن بكشوفات جرد للبضائع وتقارير للملك ، وتلك كانت المصادر التي أسست وشكلت أعظم وأغنى توثيق مكتمل لتاريخ المحيط الهندي .

الخمس عشرة سنة الأولى من القرن السادس عشر كانت فترة تغيير كبير مقارنة بالفترة السابقة ، والبرتغاليون الآن على أعتاب مرحلة جديدة من التغييرات ، والتي عليهم أن يكونوا فيها ممثلين ومشاهدين ، بينما هم يبحرون عبر البحار اكتسبوا نظرة ورؤية

عامة عن الأطر الاقتصادية والاجتماعية للحياة البحرية ، لكن ملاحظاتهم يمكن فقط فهمها إذا ما وضع المرء في حسبانه المصادر الشرقية والتقاليد السائدة في آسيا .

في أواخر من القرن الخامس عشر ومطالع القرن السادس عشر ، كان ساحل المحيط الهندي محتلاً من قبل سلسلة من القوى المحلية ، لكن بواسطة شريط ممتد من المدن المستقلة ، في بعض الحالات كانت الموانئ وحدودها تمثل سلطنات مستقلة ، كما كان هو الحال في "كلوة" ، هرمز و"ملقة" ، وحيث في أماكن أخرى فإن المجتمعات التجارية عبر الدويلات القائمة اكتسبت استقلالاً في البحر كما حدث في الهند وممالك معينة في "الملايو" .

نتيجة للعوائق الجغرافية وحالة الطرق الرديئة ، كانت الموانئ غالباً أكثر قرباً ومتصلة ببعضها بعضاً عن قربها أو ارتباطها مع المدن الرئيسة للدويلات التي هي جزء منها . الموقع الذي يكون في نهاية طريق القوافل أو عند مصب النهر كان دائماً عاملاً يؤدي إلى الرخاء .

الوجود السياسي لمعظم تلك الدول القريبة من المحيط الهندي ، والتي تقع على طول طرق هامة ، كان وجوداً مضطرباً . كانت مملكة "إثيوبيا" المسيحية مواجهة بتحدي من قبل الحرب المقدسة التي شنت ضدها بواسطة جيرانها المسلمين ، كانت في ذلك الوقت تحاول أن تجد لها منفذاً للبحر باتجاه مصوع وسواكن ، وهي أماكن كانت دائماً ناجحة في السيطرة عليها .

بعيداً في الجنوب عند حافة بلاد لا يمكن اختراقها ، كان الشريط البحري لشرق إفريقيا قد احتل بواسطة العرب والمهاجرين الفرس الذين أنشأوا سلطنات ثيوقراطية (إسلامية) . يمكن تقديم "كلوة" كنموذج لتلك السلطنات ، بما أن النموذج يمثل كل الساحل من "مقديشو" حتى "زنزبار" فإن "كلوة" أنشأها فُرس من "شيراز" وأصبحت القوة المسيطرة على طول الساحل .

كان للميناء موقع محمي جيداً ، وتواجه أحد الطرق القليلة التي تقود إلى الداخل . المدينة نفسها لم تكن مسورة كما لم تشيد بناء على خطه ، وتتألف من أكواخ من القصب شيدت خلف قلعة مفتوحة مع القليل من المساكن الأنيقة المتراصة ، على طول الشاطئ ، كانت مكتفية ذاتياً من ناحية الغذاء ، ولها موارد جيدة من الأرز ، الفاكهة ، الخضروات والماشية ، ويسكنها حوالي الأربعة آلاف من السكان الذين يتحدثون العربية والسواحلية ، جميعهم تقريباً مسلمون .

الجالية الهندية من "غوجارات" كانوا هم أيضاً عنصراً هاماً ، منهم أصحاب أموال وتجار عبر البحر ، تتكون تجارتهم من تبادل السلع القطنية والمنتجات التي تأتي من الشرق الأقصى (البورسلين / الخزف الصيني) بالعاج المحلي وجلود الحيوانات والذهب . تلك التجارة الرئيسة كانت تمر بمحنة عند نهاية القرن الخامس عشر لأن مركز الإنتاج في "سوفالا" قد أنكر وتمرد من طاعته وولائه لـ "كلوة" .

في الشرق الأوسط استمر تقدم الأتراك العثمانيين ووصلوا إلى سوريا وهددوا مماليك مصر ، أسقطوا تلك السلطة في العام ١٥١٦م ، وبعثروا بذلك توازناً استمر لقرون عديدة . كان القرن الخامس عشر في إيران وقتاً للكثير من الاضطرابات لم ينجح في أي منها سلاطين "التيموريين" أو التركمان في السيطرة وبسط السيادة .

في السنوات الأخيرة من القرن ، أقام الشاه الشاب إسماعيل (المعروف في أوروبا بالصوفي) سلالة حاكمة من "الصفويين" ، وفرض المذهب الشيعي في كل المملكة الكفاح المدني في هذا الوقت ، أدى إلى اتهامات ومحاكمات كثيرة ، وهجرة ضخمة بصورة رئيسة نحو وسط الهند . على المدى القصير لم تتسبب تلك التطورات في خلاف على تلك الموانئ في تلك الأنحاء .

استمرت عدن في استقبال التوابل والمنتوجات من المحيط الشرقي . تقع المدينة عند مدخل البحر الأحمر على موقع بركان ثار في البحر ، وانضمت حالياً لليابسة عبر برزخ عند الجزر ، والذي لا يزال تغطيه المياه عند المد العالي . كانت تسيطر على طرق التجارة من البحر الأحمر وشرق إفريقيا وشبه الجزيرة العربية . باتجاه اليابسة كانت تحميها جبال شديدة الانحدار ، وتحصينات عالية ، وداخل المدينة نفسها تقع المساجد وخزانات المياه في منتصف البنايات العالية .

منذ العصور القديمة كان الوضع السكاني يتجدد عبر أفواج

من المهاجرين ، أضف إلى كل ذلك التقدم والانتشار الإسلامي الذي دفع بحجاج عدن بالسير عبر الطريق إلى مكة وأيضاً التجار . كل التوابل التي كانت في طريقها لأوروبا تمر عبر جمارك عدن قبل وصولها إلى جدة ، وهي الميناء المؤدي للأماكن المقدسة ، حيث تكسب حكم الإمامة من تبادل المنتجات التي تأتي من الغرب والشرق معاً .

البضائع من الشرق كانت تنقل على سفن صغيرة تبحر بين مناطق الحيد البحري حتى السويس أو غير ذلك عبر طرق القوافل باتجاه سوريا . لا يمكن لشهرة "طريق التوابل" أن تسمح بإخفاء بقية تجارة عدن مع المدن الساحلية للقرن الأفريقي (مورد الذهب ، العاج والعبيد) ومع موانئ حضرموت - الشحر وظفار - من حيث يأتي البدو بالبخور والمُر (نوع من الصمغ) من الجبال لبيعها ، أيضاً الخيول الأصيلة التي ترتفع أثمانها عن تلك التي من هرمز .

الطريق الذي يسلكه تجار الخيول يمر عبر هرمز ، وفيما بعد تسبب ذلك في ثراء "غوا " والتاج البرتغالي . كانت هرمز تقع عند مدخل الخليج الفارسي في "جارون" ، وهي جزيرة مالحة لم يكن للطبيعة فيها حظ سوى الجفاف ، وكانت تعتمد بصورة كاملة على العالم الخارجي في معيشتها وأرزاقها ، والمياه كانت تورد يومياً بالمراكب .

في محاولة لإنهاء تلك الاتكالية على الخارج تمكن ملوك هرمز في بداية القرن الرابع عشر من السيطرة على الشاطئ الفارسي المقابل ، ومن

هناك قادت الطرق والمسالك إلى أصفهان و"شيراز" ، بينما ناحية الشمال كانت تتصل بطريق الحرير .

مساكن هرمز كانت تغلب عليها المداخن (البراجيل) ، (وهي بناء بأعلى السكن مفتوح من الجهات الأربع للتهوية) ، وتمتد عبرها أزقة ضيقة قصيرة وأسواق ، تبدو نشطة فقط عند الليل ، لأن حرارة النهار غير محتملة . يمكن لغير المسلمين أن يبنوا أماكنهم للعبادة خارج المدينة فقط ، لكن يسمح لهم بالسكن داخل المدينة ، حيث يسكن المسلمون واليهود والمسيحيون جنباً لجنب ، لكن التجار الهنود احتفظوا لأنفسهم بمسافة ما بعيداً .

كان لمكتب جمارك هرمز سيطرة على إنتاج الموانئ الأخرى التي تقع على شواطئ الخليج الفارسي ، وتشمل تلك المنتوجات الحرير واللؤلؤ من "كيش" "Qaish" ، الغذاء من البحرين ، وفوق كل ذلك الخيول من صحار وخورفكان ، والتي يقوم التجار من الهند بمبادلتها بحمولات من الأرز والأقمشة القطنية والتوابل . لم تكن المنتوجات الثمينة كافية حتى توازن تلك التجارة ، وكون الطلب على المنتوجات الهندية كان شديداً حتى إن هرمز كان عليها استيراد الفضة لتدعم صادراتها .

موقع الهند الجغرافي جعل منها مفترق طرق ونوعاً من الطاولة المستديرة للتجارة مع الشرق ، وأيضاً كونها منتجاً للأرز ، التوابل والأقمشة ومستودعاً ضخماً للقوة البشرية لكل موانئ المحيط الهندي .

من خلال القرن الخامس عشر كان هناك إعادة تنظيم لنشاطات النقل البحري ، بينما تأسس توازن سياسي في شبه الجزيرة الهندية بعد الغزوات التركية الأفغانية التي انتشرت وامتدت لكل مكان .

في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، خلع "الراجا" من عروشهم وحل مكانهم قادة عسكريون جعل من المسلمين حكاماً ، لم يحرروا أنفسهم بسرعة من سلطة حكام من "دلهي" البعيدة .

لذلك تطورت السلطات في "غوجارات" والبنغال ضمن أخرى للشمال من ديكان ، فإن ملوك المسلمين الصغار كونوا مرة أخرى مجموعة ضمن إمبراطورية "باهمان" ، وهذه الإمبراطورية كانت تتحطم في الوقت الذي كان البرتغاليون يرسخون ويؤسسون أنفسهم في "مالابار" ، وكانت السلطة تسقط بين أيدي عادل شاه حاكم "بيجابور" "Bejapore" ، ونظيم شاه في "أحمد ناجار" ، وأمراء "بدار" و"جولكوند" "Jolconde" .

تلك التغيرات الهائلة لم تعترض الكفاح المستمر بين تلك السلطنات و"فيجايا نجار" "Vijayanajar" ، مملكة الهندوس العظيمة في شبه الجزيرة ، التي انتصر حكامها في الجنوب وأسسوا إمبراطورية هائلة تمتد من بحر عمان حتى خليج البنغال ، تمكنت فقط ممالك "مالابار" من الاحتفاظ ببعض درجات الاستقلال .

هذا النضال المتواصل كان مصدراً للرخاء للموانئ الغربية التي

استوردت الخيول من فارس والجزيرة العربية للفرسان التابعين للسلطة الحاكمة .

كانت أسعار البضائع تدفع بالذهب من قبل السلاطين والمهراجات ، وأثرت بذلك "غوا" التي كانت تقع على الحدود بين الجهتين المتنافستين . منذ العام ١٥١٠م كان مصدر الفائدة الأساسي لهذا الثراء يصب في دولة الهند البرتغالية . الوجود البحري لساحل الهند الغربي كان مكثفاً في منطقة الموانئ التي نشطت كثيراً منذ العصور القديمة .

كان من الصعب الوصول إلى "كامباي" ، لكنها كانت السوق الضخم "لغوجارات" ، لدرجة كبيرة حتى إن اسم هذه الميناء كان يخلط بينه وبين هذه المملكة نفسها . كانت مدينة غير مسورة ، تتزين منازلها البيضاء بالخشب المنقوش .

التجار الأجانب الذين ذهبوا إلى هناك كانوا في الأساس من الشرق الأوسط ، فرت "كامباي" كل إنتاج المناطق الداخلية التابعة لها ، مثل القطن الخام ، الأحجار الكريمة ، النيلة (الصبغ الأزرق) ، الأفيون ، المنتوجات الحرفية ، وفوق كل ذلك مجموعة من الأقمشة التي كانت تنسج وتصبغ في مدن الداخل .

الموانئ المنتشرة في الإقليم حول "كامباي" - "سورات" ، "راندر" "Rander" و"ديو" "Diu" ، مركز حامية عسكرية- لكل منها علاقات تجارية مع بعض الموانئ الخاصة الأخرى على المحيط الهندي .

في كل من المدن البحرية في "غوجارات" كانت التجارة منظمة عبر تعاون بين تجار البحر المسلمين وأصحاب الأموال الهندوس ("بانيان" أو "جاينز") الذين اعتقد البرتغاليون أنهم أكثر رجال الأعمال تمكناً ومقدرة في كل العالم .

أما الموانئ الأخرى في ساحل الهند الغربي فقد تعاملت في تجارة ساحلية في الأرز ، السكر ، الأقمشة ومنتوجات يومية أخرى .

كما عرفنا سابقاً كانت أهم تجارة في المحيط هي الخيول التي تشحن إلى "شول" "Chaul" ، "دابهول" "Dabhol" ، "غوا" ، "بهاتكال" "Bhatkal" و"هنوار" "Henoir" ، وبعيداً للجنوب كان هناك إقليم آخر لتجارة دولية قامت في موانئ "مالابار" ، وكانت دائماً غنية بفضل المناطق التي تنتج الفلفل والزنجبيل .

التحولات الحالية في البنية الجغرافية كانت هي المسؤولة من التغييرات التي عبرها استفادت بعض الأماكن بينما خسرت أخرى . الفيضانات الهائلة لنهر "البيريار" (عام ١٣٤١م) أدت لأفول "كرانجانور" "Cranjanore" مصلحة "كوتشين" "Cochin" ، أيضاً ميناء "ايلي" القديم أصبح مغموراً بالطمي وتم الاستغناء عنه لمصلحة "كانانور" "Cananor" من قبل عشرات السنوات القليلة من مجيء البرتغاليين . أدت تلك التغييرات لتتولى "كلكتا" القيادة على حساب مدينة "كولام" القديمة .

هناك ثلاثة عوامل لنهضة وبزوغ "كلكتا" : أحدها سلامة وأمان

مياهها ؛ حيث لم يحاول القراصنة الدخول إليها ، والآخر هو انضباط وصرامة المؤسسات والقوانين السائدة التي توفرت لحماية التجار الأجانب ضد الاحتيال ، وفي النهاية الحماية الرسمية التي منحت للمسلمين بواسطة الحاكم الهندوسي .

التجار المسلمون من كل أنحاء العالم القديم من "تلمسان" إلى "كانتون" فتنوا وانجذبوا نحو أسواق "كلكتا" التي تنضح بالتوابل الهائلة والأحجار الكريمة الغالية والقيمة .

طبقاً للمراقبين البرتغاليين الأوائل كان المجتمع المسلم هناك منقسماً بين المسلمين المحليين "Mappila" ومسلمي مكة "Pardesi" . هؤلاء الأخيرون لم يأتوا من مكة فقط لكن من كل الشرق الأدنى والأقصى . من هؤلاء بعضهم الذين استقروا في "كلكتا" . كانت لهم وظائف إدارية هناك ، وأجبروا على احترام النظام الاجتماعي للهندوس ، والابتعاد عن أكل لحوم الأبقار .

في المقابل قدم الملك الحماية للمساجد ومنع استهلاك وأكل لحوم الخنزير . كانت للمسلمين محكمتهم الخاصة بهم ، لكن للملك فقط الحق في إصدار أحكام بالإعدام ، كذلك كان هناك امتياز آخر وهو أنه في البحار فإن كل السلطات تعود إلى التجار ، إذ إنه بالنسبة للهندوس "الأرثوذكس" غير طاهر . كان الملك يحكم في مناطقه ، لكن يقوم التجار بالبت في الأمور المتعلقة بالحرب في البحر ، ولهم كامل السلطات في البحث عن بلاد وراء البحار .

كان هناك الفصل في السلطات الذي لم يفهمه البرتغاليون ، وهو حقيقـة كانت تخفي تحتها الكثير مما لم يستوعبوه مع الحكام في الهند ، الاقتصاد البحري في محيط الهند الشرقي كان قائماً على تصدير الغذاء والأقمشة ، وكان متمركزاً في موانئ البنغال – "سانجـون" "Sangon" ، "سونارجون" "Sonargon" و"جيتاجون" "Jetagon"– وفي "بوليكات" "Policat" و"ناجاباتينام" "Najapatinam" على الساحل الشرقي من "فيجايناجار" .

شبكـة الأراضي التي تهب الرياح من ناحيتها كانت تشمل الأرز ، اللبان الجاوي ، وموانئ مادة ورنيش اللك من "بيجو" "Pegu" (في بورما) ، وتلك التي في شمال ساحل "سوقطرة" ("بيدر" ، "أتجيه" وخاصة "باسي") كانت تهتم بخام الحرير والفلفل طويل الثمر . إنشاء "ملقة" بموقعها في نهاية شبه جزيرة "الملايو" ، قد ساعد في تكثيف التنسيق لتلك الأنظمة التجارية المتنوعة .

"نهاية بعض رياح المونسون وبداية الرياح الأخرى منها" كان هو الكيفية التي وصف بها "تومي بيريس" "Tomi Peres" هذا المكان مقدراً ومتنبئاً له أن يصبح نقطة التقاء . تأثير تحول "راجا ملقة" للإسلام في بداية القرن الخامس عشر كان لتوسع وامتداد شبكة التجارة الإسلامية لما وراء جزر "ملقة" .

من المهم فهم أنه وفي نفس الوقت بدأ البرتغاليون في استكشاف المحيط الشرقي كان ثمة تغيير أساسي يتم في الأرخبيل الأندونيسي .

ممالك القرون الوسطى الزراعية ذات الثقافة الهندوسية كانت في عملية تحول لتصبح إسلامية تدريجياً ، وبدأ نوع جديد من السلطنة يزدهر مشابهاً لتلك التي في "باساي" "Pasai" و"ملقة" .

في سلطنات "الملايو" تلك لم يكن هناك فصل في السلطات بين السياسي وبين المجال الاقتصادي ، كما كان موجوداً في الهند بين الملك والتجار ، بدلاً من ذلك لم يكن الحاكم يكسب أرباحاً من الضرائب على التجارة ، وإنما لعب بنفسه دوراً نشطاً في التجارة ، إقامته في المدينة سيطرت على تجارة المدينة ، والتي كان يديرها أربعة من "الشاهبندر" يمثلون الجاليات الرئيسة بين السكان .

أولئك كانوا الصينيين والتجار من جنوب شرق آسيا ، بعض الرجال من "جاوا" والجزر الأخرى ، وأشخاص من سوقطرة ، "بيجاوان" وبنغال من الأراضي التي تهب الرياح من اتجاهها "Leeward Lands" ، تجار من "الكلينج" جاؤوا من "كورومانديل" "Coromandel" وأخيراً أهالي "غوجارات" الذين أصبحوا أهم مجموعة بحسبان اتصالاتهم التجارية الواسعة ونفوذهم داخل بلاط السلطان .

قال "تومي بيريس" أيضاً عن "ملقة" إن كل سلع الشرق والغرب كانت توجد هناك ، خاصة المرجان ، المعادن القيمة ، الأفيون وماء الورد من الشرق الأوسط ، والأقمشة من الهند ، الأرز من "جاوة"

و"بيجو" ، الذي يمكن الحصول عليه بمبادلته بالأخشاب النفيسة والتوابل من "ملقة" والحرير والبورسلين من الصين .

عندما أصبح البرتغاليون سادة "ملقة" في عام ١٥١١م احتفظوا بنفس هيكل التجارة القائم واستخدموا نفس الطرق والمسالك ، في شراكة مع التجار الآسيويين ، خاصة شعب "الكلينج" لأنهم لم يكونوا مسلمين .

لا يوجد مكان في مثل هذه الصورة المتسارعة للمحيط الهندي في وقت تجري فيه الاكتشافات عن أي معاملة مفصلة لاقتصاده ، وعلى أية حال كان ذلك هو الموضوع الممتاز للعديد من المنشورات خاصة في البرتغال .

يجب التأكيد على أن تجارة التوابل "المشهورة كانت مجرد عنصر واحد في شبكة تجارة واسعة أهميتها للغرب يجب ألا تعمي المرء عن القيمة العظيمة للتجارة الأخرى .

على سبيل المثال ، في مجال الغذاء والأقمشة التي كان يتم تبادلها بتوابل شرق المحيط مثل القرفة ، القرنفل وجوز الطيب ، والحيوانات التي تستخدم في الأمور الحربية مثل أفيال سيلان والخيول من الجزيرة العربية وهرمز ، وأيضاً في الأحجار الكريمة والمعادن ، والتي وجهها التجار ذوو الخبرة ناحية الهند ، حيث يتم تجميعها هناك دون أن يعاد تصديرها .

هناك مجال لإبداء المزيد من بعض النقاط عن عوامل رئيسة لمجتمع التجارة هذا : كل التجار تقريباً في المحيط الهندي مسلمون ، وتعود أصولهم للوراء إلى الأوقات التي كان خلالها العرب والفرس قد تواجدوا بكثرة في البحار الجنوبية ، وفي خلال القرن الخامس عشر عند نهضة وبزوغ السلطة السياسية الإسلامية في بلدانهم الخاصة ودفع بهم في المقدمة ومنحهم الدعم .

اعتمد أولئك التجار على الملوك والسلاطين ودفعوا لهم الضرائب ، بالرغم من لعبهم لدور في الإدارة المحلية ، إلا أنهم نادراً ما تولوا مناصب حكومية . لم يكن ذلك مهماً ، فهم جميعاً لهم سلطة اقتصادية ودراية وسلطة في الشؤون البحرية ، ولهم الحق في شن الحرب في البحر دفاعاً عن مصالحهم الخاصة ، وأن يجمعوا ضرائب في الأماكن البعيدة والمنعزلة .

تلك التجمعات الإسلامية المتخصصة في التجارة البحرية انتظمت في عائلات وشركات أسرية ، كان تضامنهم أمراً رائعاً ، ونظموا شبكة للأعمال مع مراسلين أبقوهم على اتصال مع المنتجين والمستهلكين .

تعلم البرتغاليون القليل فقط عن تلك الشبكات التي كانت تعقيداتها هي العقبة الرئيسة لتطوير نشاطات اقتصادهم الخاص بهم .

عند بداية القرن السادس عشر حققت الجماعات الإسلامية وضعاً مسيطراً على معظم التجارة البحرية ، وقد حصلوا على ذلك

على حساب أولئك الذين استمتعوا ، ومارسوا نفس الدور في فترة القرون الوسطى ، أي يهود ومسيحيي "كيرالا" ، "الجاينز" وحتى "الكلينج" ، الذين بدأوا بالسقوط في أحضان الذلة في "ملقة" .

أما بخصوص الصينيين فقد هجروا رحلاتهم البحرية إلى المياه الهندية منذ أواسط القرن السابق ، وبما أن العرب قد أصابتهم الفوضى نتيجة لقيام أسرة "كريمي" القوية بالسيطرة على المحيط الغربي منذ القرن الحادي عشر ؛ فإن سلطان المماليك "برسباي" "Persipai" قد حجز لنفسه تجارة التوابل في العام (١٤٢٩م) وحرمهم منها ، وهي الفترة التي هاجر العديد منهم إلى موانئ الهند وانضموا للتجار المحليين .

كانت السيطرة التجارية برمتها بين أيدي المسلمين ، لكن لم يكن هذا يعني أنها كانت تحت سيطرة ونفوذ العرب ، لكن في الغالب من قبل مسلمي البنغال ، "مالابار" وعلى الأخص "غوجارات" ، ففي الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يقومون بإظهار أنفسهم في المياه الهندية ، كان الغوجاراتيون مشغولين بملء الفراغ الذي شغر بانسحاب الصينيين وأفول نجم العرب .

في ضوء القصة التي ذُكرت هنا فمن الضروري أن نسقط النظرة العادية التي تم القبول بها وهي أن مجيء البرتغاليين كان له تأثير في ثورية وتمرد عالم شرقي ، حيث كان كل شيء يتقدم بتناسق وإيقاع طبقاً للتقاليد التي تعود لقرون سابقة عديدة .

على العكس فإن "فاسكو دا غاما" أبدى ظهوره في العالم الذي رأى فيما سبق قليلاً تغييرات ليست عكسية أو خلافية إنما هو تحول في الأمور الدينية والاجتماعية والاقتصادية ، أيضاً تلك التغييرات كان لابد أن تكون لها نتائج هامة في نجاحات وإخفاقات البرتغاليين .

مقترح بالمصادر والمراجع والمخطوطات ذات العلاقة

بعض روايات رحالة القرن الخامس عشر ("كونتي" ، عبدالرزاق السمرقندي ، "نيكتين" ، "سانتو ستيفانو") ترجمت في جزء منها بواسطة "R . H . Major" . الهند في القرن الخامس عشر ، لندن ، العام (١٨٥٧م) .

- الأكثر فائدة هي الحواشي المنشورة بشروحات للمستر "لونجهينا" "Longehina" في:

Viaggi in Persia, India e Giava di Nicolo dei Conti, Girolamo Adorno e . Girotamo da Santo Stefano, Milan, 1929 .

وأعيد طبعها في عام ١٩٦٢م مع طبعة مختصرة عن نص عبدالرزاق .

Notice de I'ouvrage Persan...qui contient I'histoire - des deux sultans Schahrokh at Abou Said" in Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliotheque du Roi, Paris, 1843 .

- رحلة "نيكتين" ، ترجمت مؤخراً مع مقدمة كتبها "C . Malamoud" .

Le Voyage au-dela des trois mers, Paris,1982 .

- أما التي كتبها "فارتيما" فقد ترجمت للفرنسية في القرن السادس عشر بواسطة "Balarin de Raconis" (حررها "C . Scheber" في "Le Viateur" بباريس في العام ١٨٨٨م) .

وإلى اللغة الإنجليزية بواسطة "G . B . Badger" و"J . Winter Jones" في لندن في العام ١٨٦٣م .

جمعت تقارير من المبعوثين الصينيين بواسطة "W . Rocklill" ، "ملاحظات عن العلاقات والتجارة الصينية مع الأرخبيل الشرقي وساحل المحيط الهندي خلال القرن الرابع عشر" .

نشر النصوص الصينية التي اكتشفت مؤخراً بواسطة البروفسور "H . P . Ray" من جامعة جواهر لال نهرو يتوقع نشرها قريباً . إن جرداً حاسماً نقدياً وتعريفاً مميزاً للمصادر البرتغالية تم جمعه وتصنيفه بواسطة الراحل "A . A . Bamha de Andrede" في لشبونه عام ١٩٧٢م ، في مجلدين Mundos novos do Mundo ومنذ ذلك العديد من المصادر المؤرخة قبل عام ١٥٥٠م نشرت في البرتغال ، خاصة من قبل

the Centro de Estudos de Historia e Cartografia Antiga of the Instituto de Investigac'ao Cientifica Tropical .

ومعاهد ومؤسسات أخرى .

لأجل تفصيل مختصر عن الوضع السياسي في الهند راجع: "Romila Thapar" الهند (I) سلسلة كتب بنجوين ، طبعة عام ١٩٨٣م ، ٢٢٦-٣٣٧ ،

لدراسة مكثفة أكثر انظر : السلسلة القديمة والجديدة من تاريخ الهند في كمبردج ، كمبردج عام ١٩٢٢م-١٩٣٧م ،

تاريخ الهند من كمبردج الطبعة الجديدة ، طبعة "جوردون جونسون" في طريقها إلى النشر في عام ١٩٨٧م .

نشرت العديد من الدراسات عن الوضع الاقتصادي في : تاريخ كمبردج الاقتصادي للهند ، كمبردج عام ١٩٨٢م،

(على وجه العمل الهام من:

Os Descobr imientos e a economia mundial, Lisbon 1962, 2 vols .

من تأليف : "V . Magathaes Godinho" تبقى الأساس الذي لا غنى عنه لأي دراسة إنتاج مقايضة ومسائل مالية ، فلقد استخدم "P . Chaunu" حقائق توفر إنتاج مؤلف واضح وجيد محدود في:

Conqu'ete et exploitation des nouveaux mondes, xvle, pp . 13-323,1969 .

وإن هذين العملين اللذين لا يبحثان في أمر شركات تجار محليين ، كانا قد تمّ تجاوزهما كثيراً عبر الدراسات الأخيرة وأعمال تركزت على مصادر شرقية مثل:

Machands et homes d'affaires asiatiques dans l'ocean Indein et la Mer de Chine,

وهما من تأليف:

13e - 20e "Jean Aubin & Eenys Lombard siecles, paris, 1988 .

أما عن الطرق البحرية والتجارة الشرق أوسطية فطالع : الملاحة العربية في المحيط الهندي "قبل قدوم البرتغاليين ، وهي ترجمة لـ "كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد "لأحمد بن ماجد النجدي ، لندن ، العام ١٩٧١م ،

Fischel – "تجارة التوابل في مصر المملوكية" في مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق (عام١٩٨٥م)

– م . س . لبيب : الصفحات ٢٠٩–٢١٤ وباريس (عام١٩٥٨م)

Les marchands Karimis en Orient et sur I'ocean Inien

دراسات في التاريخ العربية والثقافة ، "آر . بي . سيرجنت" ، لندن عام ١٩٨١م ، "دراسات في تجارة الشرق في العصور الوسطى ، "ئي . اشتور" ، لندن عام ١٩٧٨م .

– عن تنظيم شركات التجار الهندية طالع:

"Marchands et homes d'affaires asiatiques" كما جاء أعلاه ،

– أيضاً "المشاريع والسلع في تجارة آسيا البحرية ، القرن ١٥–١٧ ،

بواسطة "آر بتاك" و"د . روثرموند" ، هيديلبيرج عام ١٩٩٠م (في الصحف) ،

- أيضاً بواسطة "سي . سوبرهمانيام" "التجارة في كروماندِيل - "ملقة" في القرن السادس عشر . "دراسة عن هيكلها المتطور .

سيلان في تجارة المحيط الهندي" في المحيط الهندي ١٥٠٠- ١٨٠٠م ، تحرير "اسين داس جوبتا" و"م . ن . بيروسون" ، "كلكتا" عام ١٩٨٧م الصفحات ٢٢٤- ٢٣٩ .

"آرون داس جوبتا" : "عوامل ظهور تجارة البنغال البحرية في الفترة السابقة للأوربيين" في المؤتمر الثالث التاريخ الهندي (عام١٩٧٩م) ، ١٣٩-١٥٤

"جي . بوشون":

Les Musulmans du Kerala a' lepoque de la d'ecouverte portugaise"

طالع أيضاً لنفس المؤلف Mamale de Conanor (عام١٥٢٨- ١٥٠٧م) جنيف - باريس عام ١٩٧٥م ، طباعة إنجليزية .

الوصي على البحر" نيودلهي" عام ١٩٨٨م "م . ن . بيرسون "تجار وحكام "غوجارات" .

رد الفعل تجاه البرتغاليين في القرن السادس عشر ، "بيركلي" عام ١٩٧٦م عن فترة متأخرة قليلاً .

- "نيقيل شيتيك" : "كلوة" ، مدينة تجارية مسلمة على الساحل الشرقي من إفريقيا ، نيروبي عام ١٩٧٤م ، في مجلدين ، تتضمن مادة أساسية لدراسة موانئ شرق إفريقيا .

- نسختان طبعتا من قبل "لويس فيلبي توماس" تقدمان وضعاً دقيقاً عن التنظيم التبادلي في البحارة والأموال مع البلاد التي تقع في اتجاه الرياح "ليوارد" . "دي ملقة" ، "بيجو"

viagens de um feitor portugue's Lisbon 1966 .

A viagem de Ant'onio Correia a Pegu em 1519, Lisbon 1976 .

تمت مناقشة وتحليل هذه النقطة في ضوء التاريخ الإقليمي بواسطة "يوشون" في : الرحلات الباكرة البرتغالية إلى "باساي وبيجو" عام ١٥١٢م - ١٥٢٠م ، وأيضاً من كاتبين آخرين :

Voyage dans les deltas du Gange et de l'lrraouddy .

Relation Portugaise anonyme (1521), Paris, 1989 .

عن كل المواضيع التي تتعلق بـ"ملقة" يمكنك مطالعة العديد من المقالات كتبها "لويس فيليبي توماس" خاصة :

Les Portugais dans les mers de I'archipel in Archipel 18 (1979)

المسح البحثي الرائع أيضاً الذي قام به "م . ايه . ميلينك رولوفر" : تجارة

آسيا والنفوذ الأوروبي في "الأرخبيل" الأندونيسي (عام١٥٠٠م-١٦٣٠م) ، "لاهاي" ، عام ١٩٦٢م .

إن المؤتمرات العالمية للتاريخ البحري للقرنين السادس والثامن قد تم التكرس لهما في المحيط الهندي (البحر الأحمر والمحيط الهندي) (البندقية عام ١٩٦٢م) ، باريس عام١٩٧٠م الذي قدمه "مايكل مولات" .

حديثاً جداً عقد مؤتمر آخر في باريس تحت عنوان "التجار والشركات التجارية في المحيط الهندي" بين القرنين (١٥-١٨) وكان ذلك في (٣٠ مايو - ٢ يونيو عام ١٩٩٠م) والذي نتائجه تحت الطبع .

المنشورات والدوريات المتخصصة أيضاً : (باريس) Archipel مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عن الشرق (Leyden) التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الهندي ، مراجعة (نيودلهي) Studia (لشبونه) ، نظرة عامة على المحيط الهندي (بيرث ، استراليا) .

(١) "بانيان" = Bania (تاجر في لغة "السانسكريت") . كان لفظاً عاماً استخدم للإشارة إلى التجار الهندوس رفيعي المقام ، خاصة في "غوجارات" .

(Jain) / بمعنى عضو لغير المتدينين من "البراهما" الذين كونهم "Jina" في القرن السادس قبل الميلاد . معلومات البرتغاليين الأولى كانت تخلط بين المجموعتين .

(٢) في المصادر البرتغالية يشير هذان المكانان إلى "باتيكالا" و"أونور" على التوالي .

(٣) هذه هي الكلمة البرتغالية "كولاو" "Coulao" وفي المصادر الإنجليزية "كيلون" "Quilon" .

(٤) "كلينج" "Kling" هو الاسم الذي منحه أهل "الملايو" لسكان ساحل "كوروманديل" .

أحداث عام ١٥٠٠م

في هذا العام أصدر الملك قانوناً ، متعلقاً بالهند ، بتاريخ التاسع والعشرين من شهر يونيو ، عام ١٥٠٠م : (٥)

نحن الملك ، ليكن معلوماً لكل من يطلع على هذا الدستور أن يضع في اعتباره الترتيبات التي متعلقة بالهند وبنعمة من الرب اكتشفناها وأصبحت تحت سيطرتنا ، حتى ، وبفضل من عونه ترسم وتخطط لمصالحنا بالطريقة التي ترفع من شهرة ممالكنا ، وتزيد من أرباحنا ، ونحن نقوم بذلك حتى يحس مواطنونا بالفائدة والمكسب من بضائعهم والاستفادة منها .

حيث نحن ملزمون حتى تظهر لهم محبتنا وحناننا ، ونتيجة للرغبة العظيمة والرائعة التي علينا إظهار الفضل لهم ، فإنه يسعدنا أن نمنح الفرصة وأن نسمح لكل مواطنينا ، وبالمثل للأجانب الذين

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

في ممالكنا والذين يحملون أوراق الجنسية ، أنه وبناء على رغبتهم في إرسال سفن محملة بالبضائع لجزر الهند المذكورة وما نراه ونحكم بجودة وسيلة إبحاره لتلك الأنحاء .

سرعة إنجاز ذلك حيث تكون معده جيداً ومسلحه تماماً من أجل سلامتهم وأمنهم .

إن البضائع في حالة جيدة تسمح بنقلها بحراً ، إنهم سيتمكنون القيام بذلك والاستفادة منها من تاريخ هذا القانون ، وحتى شهر يناير القادم من العام ١٥٠٢م يؤدون لنا فقط في الوقت المناسب ما يحصلون عليه مقابل ذلك .

هو رُبع بدون إضافة عُشر فيما بعد ولا حتى عُشر العشر أو رسوم الدخول ، لأن ذلك يسعدنا مما يجعلنا نعفي أولئك الذين وحتى يناير المذكور من مبلغ الخمسمائة واثنين ، لذلك نخطر الجميع بذلك بهذه الطريقة حتى يعلم الجميع والاستفادة من ذلك .

هذا التخويل من قبلنا على هذا النحو ونود أن يتم إخطارنا من قبل الذين يرغبون في الشحن وفي أي السفن سيتم ذلك وما هي الكمية التي ستحملها كل سفينة وما هو عدد السفن التي ستحمل من قبل الذين سيقومون بذلك . من يرغبون بذلك سيكونون ملزمين بتقديم ذلك كتابة وتدوينه في رسالة لذلك الغرض تبعث لطرفنا في هذه المدينة عند المحطة التجارية اعتباراً من هذا التاريخ وحتى مدة قدرها شهر واحد حتى نحاط علماً بذلك .

نتحرى عما جاء في الإخطار . كل ذلك مع معرفة السفن التي يرغب في تحميلها والتي قد تصدق لها حسب الإجراء أعلاه ، ستمنح بعد أن نشهد بصحة أوراقهم الخاصة بذلك الإذن الذي منحناه لهم والذي سيستخدمونه بناء على المرسوم الذي قدمناه ، وكل من لم يلتزم بما جاء في هذا الشرط المكتوب لن يتمكن من شحن البضائع خلال هذه السنة حتى تاريخ هذا اليوم من السنة القادمة .

حتى نقدم أيضاً معروفاً أكثر لمواطنينا المذكورين والمقيمين الأجانب الذي بحوزتهم أوراق الجنسية بمقتضى تلك القوانين الحالية ، يسرنا أن نمنح أولئك من اليوم المذكور من يناير للسنة القادمة من العام (١٥٠٢م) ، وحتى العامين القادمين لمن يستخدمون سفناً بحمولة قدرها مئتي طن وأكثر في رحلاتهم إلى جزر الهند ، بأي وكل البضائع التي يريدون والتي يرى جني الفائدة منها .

من خلال ذلك الشرط لهم إرسال ما عندهم ، وتحصيل المكاسب والأرباح التي ذات فائدة جيدة لهم ، وأيضاً ما يأتون به إلى هنا دون أداء أي رسوم إضافية سوى الربع المذكور ودون العُشر عن رسم دخول ، لأننا قد عفونا عن كل تلك الرسوم الأخرى كما جاء بأعلاه ، لهذا ليكن معلوماً للجميع بذلك نأمر بتمرير هذا القانون الموقع من قبلنا .

أولئك الذين يرغبون بتحميل تلك السفن والالتزام بالحمولة

على هذا الأساس ، وإرسالهم لجزر الهند كما جاء ذكره ، عليهم إعلان ذلك لنا حتى نبعث لهم الإذن والتصريح المذكور حتى يتمكنوا من استخدامه ، وفي هذا الخصوص سنقدم لهم كل الأوامر الأخرى المتعلقة بالتجارة للاحتفاظ بها من أجل خدمتنا ولمصلحة كل من يواصل ذلك العمل في هذه السنة والعامين القادمين .

كما أعلنا ذلك ، وسيكون ملزماً بأخذ أوامرنا الرسمية التي سنأمر بتسليمها لهم ، والتي ستكون مطابقة لما قدمناه لهم في السنة الماضية حتى يواصلوا رحلاتهم لجزر الهند ، وبنفس الطريقة يأخذون كتابنا الذي وصفناه طبقاً للأوامر التي أعطيناها لهم .

صدر ... إلخ .

مرسوم تصريح إلى الهند .

على الظهر : ملاحظات عن مرسوم تصريح رخصة الهند .

التاسع والعشرون من شهر يونيو ، عام ١٥٠٠م[أ] .

(أ) ملاحظة من الناسخ : نهاية هذا المحضر مليئة بالمواد الممحية (ممسوحة) ، الملاحظات والتي تحتها خط على الهامش ، بحيث من الصعوبة قراءتها وترجمة الوثيقة وتفسيرها .

وفي العام نفسه (١٥٠٠م)

صدرت أوامر متعلقة برحلة الهند . جزءان جديدان من أوامر "كابرال" "Cabral" المحلية المتعلقة برحلة الهند في العام ١٥٠٠م ، "أ . لوباتو" "A . Lobato" : (٦)

الرسالة التي يشرفني أن أقدمها تتعلق بجزئين لقطعتين سابقتين غير معروفتين من الأوامر المحلية التي وضعت للرحلة البحرية إلى الهند ، والتي قام بها "بيدرو ألفاريز كابرال" "Pedro Alvarez Cabral" في العام ١٥٠٠م .

في مناسبة عادية ، قد يكون رابط مجرد وثيقتين لا أكثر ولا أقل ، يشكل رابطين جديدين في حلقة صلبة من المصادر التي تتوفر كل يوم للمؤرخين ، ولهذا السبب قمت بأخذهما بشكل طبيعي عندما قرأتهما بصورة عابرة في العام ١٩٥٠م ، من بين أجزاء من سرد تاريخي ، في "توري دو توميو" "Tori de Tomio" : إحداهما في النشرة رقم (١٩) ، والأخرى في النشرة رقم (٢٤) .

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

الوثيقتان تدعمان حقيقة مقبولة ، سأشير إليها فيما بعد ، لكن عليّ أن أوضح في الحال بأن السبب الذي جعلني ألفت نظركم إليهما اليوم هو بالطبع ، بسبب ملاءمتهما للاحتفاليات الجوهرية والمثالية لمولد مكتشف البرازيل .

أتمنى أن يتقبل المستمعون والقراء هذا الاكتشاف الوثائقي المتواضع كمساهمة لدراسات "كابرال" ، فمن الممكن أن يظهر دليل آخر مشابه فيما بعد ، لأن الشخص لا يعلم أبداً ما للتاريخ من أمور مدهشة مخزونة في باطنه ، ليجدها أولئك الذين يبحثون عن المصادر الخفية ذلك أن قطع البلاط الصغيرة تؤسس لمبانٍ مهيبة ، هنا اثنتان إضافيتان منها وجدتا بين قطع الحجارة الأثرية المحتفظ به داخل "توري دو تومبو" .

في العام ١٩٥١م كنت في "التوري" أبحث عن مصادر جديدة لدراسة عن مصنع "سوفالا" ، عندما وجدت الجزأين وعند قراءتهما تأكدت من أنهما نصوص تتعلق برحلة "بيدرو ألفاريز كابرال" إلى الهند في العام ١٥٠٠م ،

وقد استحوذ عليّ ذلك بسبب الانطباع الحي والمتقد الذي تملكني لقراءة "الرسالة" الشهيرة للملك "مانويل" "Manuel" إلى سامورين "كلكتا" "the Samorin of Calicut" ، وهو نص اعتبره ، أكثر من أي نص آخر ، شرحاً نبوياً لسياسة برتغالية محددة تجاه الهند ، والذي كان نتيجة لأحداث متتالية لم تكن محببة للبرتغاليين ، وكان يجب وضعها موضع التنفيذ في الحال .

في العام ١٩٥٥م بعد مرور أربعة قرون ونصف ، منذ أن وجدت دولة الهند في العام ١٥٠٥م ، سنحت لي الفرصة للفت الانتباه لتلك الخطوة الحاسمة في تاريخ البرتغال ، في كتيب تذكيري صغير للأحداث ، تم نشره مع الشكر للأميرال "سارمينتو رودريجونز" ، وثم وزير المستعمرات . في الحقيقة فإن "الرسالة" هي التعبير والتبرير الكامل لقرار جريء وصلب .

قراءة أولى لتلك الأجزاء ذكرتني بالشروط والأحكام التي عبر عنها في ذلك القرار ، ويتم تبريرها في "الرسالة" . كلا النصين ينقلان نفس الأيديولوجية المذهبية ، وقراءة أولى لتلك الأجزاء أظهرت نفس الأفكار التي عبر عنها هناك . كانت تلك وجهة نظري التي انطلقت منها ، ثم بعدها قارنت الأجزاء التي وجدت حديثاً مع الأخرى التي عرفت في السابق .

نشرت من قبل "فنتورا دا كوستا" "Ventora da Costa" في العام ١٩٤٠م ، في المجلد الذي يجمع بين الوثائق السبع غير المنشورة والمحفوظة في "لشبونه" ، وتشير إلى الرحلة البحرية لـ "بيدرو ألفاريز كابرال" ، طبعة جديدة تم نشرها بواسطة الوكالة العامة "دو الترامار" . أظهرت المقارنة أن الجزء من القطعة (١٩) هي نسخة أخرى ، مع بعض المتغيرات من الوثيقة الثالثة لـ "فنتورا دا كوستا" ، وهنا النصان على خطين متوازيين .

الوثيقة الثالثة:

فقرة : حالما ، بإذن الله ، تغادر "أنجاديفان" ستستمر في رحلتك

وترسو خارج "كلكتا" مع سفنك مجتمعة وفي تشكيل جيد تزينها أعلامك وشعاراتك وكثير من الزخارف التي تستطيع توفيرها .

القطعة ١٩ :

إن منحك الرب عونه ، فستواصل طريقك إلى "كلكتا" ، وستواصل طريقك لترسو خارج تلك المدينة مع سفنك مجتمعة ، في تشكيل جيد ، وفي زينة جميلة عليها شعاراتك وأعلامك وأكبر عدد من الزخارف والزينة .

السطور الثمانية الأولى من القطعة (١٩) تظهر أن نصفها تنويعة من (٧) سبعة سطور من الوثيقة الثالثة ، ولاستكمال المقارنة:

الوثيقة الثالثة:

ستتمركز حيث تعلم أنه أفضل مكان للرسو ، وأكثر أمناً للسفن ، لن تتسبب في أي ضرر لأي سفن تجدها هناك ، حتى وإن كنت تعلم أنها من مكة (المخا) أو بين "انجاديف" و"كلكتا" ، لكنك ستقوم بتحيتهم وتبدي لهم وجهاً صديقاً وإشارات بالسلام وحسن النية .

القطعة (١٩):

ستتمركز حيث تعلم أنه أفضل مرسى وأكثر أمناً للسفن ، وعندما ترسو .

نحو السبعة سطور التالية من الوثيقة الثالثة ، مع ثلاثة أخرى مضافة أدخلت في الهامش ، فإن سطرين فقط من القطعة (١٩) تتوافق معها .

بدأ يتضح أن القطعة (١٩) هي أقدم نسخة .

مستمراً في التحليل ، فإن الإضافة الثالثة من الوثيقة الثالثة تُقرأ كما يلي ، وليس لها مساوٍ ومكافئ في القطعة (١٩) .

الوثيقة الثالثة:

مقدماً الطعام والشراب ، والقيام بأعمال جيدة أخرى ، لكل الذين صادفتهم سفننا ، واهتمت بهم ، بحيث لم يأت الكثيرون يطلبون المزيد ، أو حتى محاولة الاستيلاء على السفن .

القطعة التالية مشتركة بين كلا الوثيقتين:

الوثيقة الثالثة :

بعد أن رسوت ، وربطت السفن في المراسي ، ستقوم بإنزال مركب لأجل "بالتازار" "Balthasar" والهنود الآخرين الذين ستأخذهم معك .

القطعة (١٩):

بعد أن رسوت وربطت السفن ، ستقوم بإنزال مركب لأجل "بالتازار" والهنود الذين ستأخذهم معك .

لكن ظهرت مشكلة الآن عن أي من النصين يسبق الآخر ، لأن بعض السطور أضيفت في الوثيقة الثالثة ، والتي تشكل جزءاً من النص في القطعة (١٩) ، وهذا بصورة غير متوقعة جعله يبدو النص الأخير ، وهما كما يلي:

الوثيقة الثالثة :

معهم زوج من الرجال ، ترى أنت أنهم مناسبون في شخصياتهم ومظهرهم ، تأمرهم بالذهاب مع الهنود المذكورين إلى "سامورين" ، ملك "كلكتا" ويخبرونه .

القطعة (١٩):

معهم زوج من الرجال ، ترى أنت أنهم مناسبون في شخصياتهم ، تأمرهم بالذهاب مع الهنود المذكورين إلى "سامورين" ، ملك "كلكتا" ويخبرونه .

من الآن فصاعداً ، فإن المقارنة تكشف اختلافات أساسية حتى من حيث المبدأ .

قارن بين الآتي:

الوثيقة الثالثة:

كما كان دائماً في الأوقات السابقة برغبة عظيمة لتعلم الأشياء عن بلاد وشعب الهند ، أساساً عن خدمة الرب ، لأن معنا معلومات أنه ورعاياه وأولئك المقيمون هناك هم مسيحيون ومن عقيدتنا ، وبما أننا سعيدون لوجود تجارة وصداقة وعون ، فنحن مستعدون لأن نرسل سفننا من حين لآخر إلى الهند ، ورجالاً مؤمنين وصادقين ، ولهم مهنة وتجارة ، يجب البحث عنهم حتى يتمكنوا من نيل المزيد من المعرفة لديننا ، ويتم تعليمهم ، وإرشادهم في مثل تلك الأمور

بما يتناسب وخدمة الرب ، ولإنقاذ أرواحهم ، ومن ثم نستعد نحن للتعامل معهم وهم معنا ، نأتي لهم بالبضائع التي يطلبونها ونأخذ البعض منهم .

القطعة (١٩):

إننا ذاهبون إلى هناك للتعامل معهم ، وبُعثت أنت إلى هناك لتأكيد الأمن والصداقة والاتفاق ، الذي كنا نبحث عنه طويلاً ، والتجارة أيضاً . . . وإننا نبعث له . . . قبل أي جهة أخرى . . . قد تعلم بذلك . . . وتتعرف على . . . أنها أحضرت من طرفنا . . . بلا مكاسب . . . قد تكون في . . . أمور تتعلق بنا . . . نحن نرغب في أن يكون لنا . . . تجارة نحصل منها . . . كافي حالياً . . . قد يصبح مؤكداً . . . وسوف .

أهمية مقارنة القطعتين حتى وإن كانت هناك صعوبة في قراءة القطعة (١٩) ، إلا أنها تبين وتشير إلى التطور في الاهتمام من أمر تجاري إلى أمر سياسي ، وما يطغى في الفقرة (١٩) هو العامل الاقتصادي ، أي أن الرجال الذاهبين إلى "سامورين" مع الهنود الذين جاء بهم إلى البرتغال "فاسكو دا غاما" مهمتهم أن يخبروه بأنكم جئتم للتجارة وأننا نبعث بكم لطرفه للاتفاق على السلم والأمن والصداقة . . . التي كنا نرغب في إرسائها منذ مدة طويلة ، وأيضاً التجارة بيننا .

في الوثيقة الثالثة ، فإن الدافع الديني يرتقي للمركز الأول من

الرحلـة إلـى الهـند ، بينما يبقى السبب الاقتصادي في المرتبة الثانية ، وطبقاً لأخلاقيات العصر ، فإنني أميز الأول منها كدافع سياسي .

في القطعة (١٩) ، أيضاً ، فإن التأكيد بأن "ساموربن" يستحق البحث عنه لأنه ملك مسيحي هي مسألة محدودة ، فقد وضح أن هناك بحثاً ونقاشاً مستفيضاً بين رواية والأخرى عن الموضوع والطريقة التي قدمت بها ، لأن نصوص الوثيقة الثالثة عُدلت بصورة جوهرية عند هذه النقطة فيما يتعلق بالقطعة (١٩) .

أعتقد بأن الافتراض بوجود قاعدة اقتصادية للتوسع قد توافر لها دعم قوي في النص بالقطعة (١٩) ، النص الرسمي ، والتوثيقي ، الذي يبرز مباشرة ويركز على الحقيقة الملموسة لمشاكل العصر .

في الحقيقة ، فإن الأهداف الأيديولوجية للتوسع لم يتم التعبير عنـها في القطعـة (١٩) ، أو بالأحرى في الغالب لـُمِّح لها بطريقة مبهمة ، على أنها لم يتم التركيز عليها أو التشدد بشأنها ، وإن الرحلة إلى الهند هي في الأصل شأن يتعلق بالأعمال .

في الوثيقة الثالثة ، على النقيض ، فإن ما يبدو بوضوح هو بيان الأهداف المثالية للرحلة والإعلان ، إنه وطبقاً لأخلاقيات الدولة التي لا تستبعد العامل التجاري وإنما تضع كل المشروع في موضع عال مع شرعية أخلاقية أكثر قوة .

لذلك فإن الحقيقة الواضحة تقع في القطعة (١٩) ، والتي لا

تستثني العامل الديني ومظاهر سبب الانقلاب في الوثيقة الثالثة ، والتي بدورها لا تستثني الأهمية الاقتصادية . إنها محاولة لاستثمار المشروع بنقاء أخلاقي ، ومن جانب التاج لتلبس بكرامة روحية حيث تبدو الأهداف العليا في الدولة واضحة ،

يحدث ذلك ، كما تم ، فعلى الوكالات العليا بالدولة أن تجتمع معاً في حضور الملك ، أي أن يكون هناك تيار فكري نافذ وسلطة وقوة فعلية قادرة على التدخل لتجعل وجهة النظر تلك مسموعة وذات تأثير هام .

من المحزن حقاً ألا يكون لنا إثبات مباشر عن مداولات وحوارات لمالكي السفن تعبر عن تيارات فكرية مختلفة ، حوار ما كان ليغيب عن النشاطات البرتغالية لما وراء البحار وحتى يومنا هذا ، وكانت ستصبح إحدى العوامل الهامة والأساسية للقومية البرتغالية في منظورها ومفهومها الإنساني ،

يبدو لي أنه ، وخلال النقاش الرسمي عن الموقف المزعوم الذي يجب تبنيه تجاه "الساموين" ، فإن العامل السياسي هو الذي ساد ، والذي كان حينها ، وبدعم من الملك ، كان قد اجتمع معه العامل الديني .

في القطعة (١٩) يبدو لي أنها كانت مجرد أمر عرضي للدافع لجعلها الفكرة الرئيسة التي تمثل تبني موقف حاسم . لا يمكن معرفة إن كان اتخاذ مثل هذا الموقف ممكن من وزن قدر المحترفين ورجال "الكونترا" ، حتى لصلتها بالاتصالات المباشرة الممنوعة مع الهند ، إلا فقط تلك الخاصة بـ "فاسكو دا غاما" ، المليئة بالأحداث

والطوالع المثيرة . يجب ألا ننسى ، كما يشير "ماجلهاس جودينهو" "Maguilhas Godenho" ، أنه إن كانت مجرد الرغبة هي أخذ موقفهم التجاري في تجارة البهارات من العرب ، وأن ذلك لن يطلق مقاومة منظمة .

إن تأكيد موقف ديني لا يمكن أن يفشل في هذا الوقت ليحرك عقول الرجال ، ويهيئ كل شيء لما هو أسوأ ، لكن يمكننا الافتراض أيضاً أنه بأي حال ، فإن العداء العربي سيظل دائماً أحد العوامل ، ولهذا السبب فإن الميل "السائد سيكون" مؤيداً لمفهوم الموقف الأخلاقي للدولة في الأوامر المحلية ، المشكلة أيضاً مثيرة للاهتمام لأنها تكشف أن رسالة الملك "مانويل" المفصّلة إلى "سامورين" سابقة لهذا القرار وأيضاً لأوامره المحلية ، لمواصلة المقارنة للنصين :

يأتي تالياً ثلاثون سطراً من النص وسبعة عشر سطراً هامشية في الوثيقة رقم ثلاثة التي ليس لها نص موازٍ في القطعة (١٩) ، كلها تشير لرحلة "فاسكو دا غاما" ، وإحضار الهنود إلى البرتغال ، وعودتهم مع "كابرال" ، وشحن البضائع في "كلكتا" ورحلة "كابرال" مع بضائع جديدة لبدء التجارة وبداية العمل التبشيري ، وهي قطعة مهمة لا تظهر في القطعة (١٩) .

الوثيقة الثالثة:

إن الرب ، وهو يرى مقاصدنا الطيبة ، منح ، لفترة قصيرة ماضية ، "فاسكو دا غاما" ، قبطاننا ، الذهاب مع ثلاث سفن صغيرة ، دخلت

المحيط الهندي ، لترسو في مدينة "كلكتا" ، حيث وجد الهنود المذكورين وتحدث وتعامل معهم ، أمرناه بإحضارهم مرة أخرى حتى نتمكن عبرهم من أن يعرفوا ما يوجد في بلادنا ، وعندما أمر بإعادتهم ، عليه أن يأمر بأن البضائع التي لم تفرغ من قبل "فاسكو دا غاما" والتي تحت إمرته وما تم الاستيلاء عليه منهم ، أن يدفع ثمنها ،

كما قدم لنا معلومات ، خاصة عنه وعن مسيحيته ومقاصده النبيلة في خدمة الرب ، ثم أمانته وحسن إدارته لبلاده ، التي أسعدتنا كثيراً ، وقررنا أن نبعثك مع تلك السفن القليلة المحملة بالسلع والتي علمنا الحاجة لها ، وأنها مربحة في بلادكم ، حتى تتمكن من إبرام معاهدة سلام وصداقة معه باسمنا ،

إن رضي بالاتفاق معنا ونحن على ثقة من حيث ما أطلعنا به "فاسكو دا غاما" . نعتقد أنه سيسر كثيراً ، وأنه حقاً ملك مسيحي ، لأنه من السلام والتجارة معنا في بلاده سيجني ربحاً عظيماً ، خاصة إذا كان متيقناً ومستنيراً في إيمانه ، ومن الأرباح العظيمة التي يجنيها من بضائعنا التي ترد من أراضينا وممالكنا التي سنرسلها له والرجال الذين يحملونها ، ما يجري الآن هو عينة ، ونموذج فقط ، لأننا لا ندري إن كانت تلك البضائع أو غيرها هي ما يرغب فيها .

القطعة (١٩):

أحد جوانب القطعة (١٩) أصيب بالتلف ، حتى إن السطور في أحد الجوانب لم تكن مكتملة في نهاياتها ، ومن بعضها ضاعت

البدايات ، رغماً عن ذلك من الممكن تأسيس بعض التوافقات فيما يلي بين النصوص:

الوثيقة الثالثة:

لأنك ستسر برفقته وتتمكن بالتحدث بحرية أكثر عن موضوعات نأمرك نحن بالتباحث حولها نيابة عنا . ستسلمه رسائلنا وبعض الأشياء التي نبعث بها له الآن كبداية وإيماءة للصداقة ، سواء كنت تعتقد أم لا أنه وإيمانه الجيد يجب الثقة فيهما تماماً ، فليس عليك النزول على الشاطئ دون أن يقدم لك ضمانات بسبب ما حدث لـ "فاسكو دا غاما" الذي اعتقل في "بانتا لايينى" ،

أيضاً لأن بعضاً من بضائعنا التي سيأخذها كعينات ، والتي أمر أن توضع على الشاطئ قد أخذت منه دون خطأ منه كما نعتقد ، لكن بطلب وأيضاً عن طريق حيلة من بعض الكفار الذين لم يكونوا يرغبون في نجاحه ، لذلك عليك طلب تلك الضمانات منه لتبقى داخل سفنك حتى تعود إليهم ، وتخبره بأنك وحسب علمك بهم سيسعدك إن كانت المسائل كذا وكذا ،

ستقوم بكل شيء ترى أنه جيد لضمان أن بعضاً من قومنا يرون ، ويمكنهم معرفة الهنود الذين بعثت بهم حتى عندما يبعث بهم الملك مرة أخرى يتم التعرف عليهم ، ولن يرسل لك آخرين بدلاً عنهم ليسوا من نفس النوعية والمكانة ، وهو الأمر الذي ستنتبه له جيداً .

القطعة (١٩):

لذلك ستسلمه أشياءنا .. ستسلمه الرسائل وستتحدث عن السلام والصداقة والتجارة مع بلاده .. بضائع من هناك كما سنعطيه بعض الأشياء التي نبعث بها نحن كدليل على الحب والمودة والصداقة والسلام التي نرغب في أن تكون بيننا وبينه .

حتى ... إن رأوا إعاقتك بسبب المشاكل الكثيرة والمصاعب ... نفقات كثيرة مرتبطة بذلك أسلافه يعلمون أنه كان ملكاً مسيحياً ... وأنه كان سيحاول ... بسبب البضاعة التي من هنا ... الربح إن كانت بسفننا ... ليتسلم إنها كانت أكثر من الآن ... نتمنى من ربنا ... أنه سيأمر بضمانات تقدم لك ... حتى نتمكن من الذهاب معهم كضمانة ...

... وإعطائنا تلك ... فإنها ستأتي ... ومعروفه حتى عندما يرسل ملك "كلكتا" بهم إليك يمكن التعرف عليهم ، ولن يبعث بآخرين بدلاً عنهم ليسوا من عينتهم ومكانتهم ، الأمر الذي ستوليه اهتماماً كبيراً .

كل من تلك القطعتين الصغيرتين تتمركزان على نفس الفكرة . القطعة (١٩) لها أيضاً على الهامش الإضافات التالية:

القطعة (١٩):

عندها سيعلم منك بالتفصيل كل ما نرغب فيه ، وأننا أمرناك أن

تطلعه من طرفنا أنه لن يتلقى الربح فقط من خلالنا ، لكن أيضاً مما نعرفه عن فضائله سيقدم الشكر للرب أنه في عمره وعصره ، أننا بينا له هذا الطريق مثل ما كان من جانبنا عندما جاء قبطاننا لطرفنا .

يوجد القليل الذي يقال عن القطعة (٢٤) ، فهي تشتمل على النص الذي يبدأ من صفحة ٢٨ السطر الثالث (٣) وحتى صفحة (٣١) السطر (٢٧) من الطبعة الأولى لـ "فنتورا دا كوستا" ، وتلك حوالي أربع صفحات من الوثيقة (٣) مع الاختلاف بأن النص عبارة عن نسخة واضحة ومدرج ما بها في الأماكن الصحيحة ، كل الإضافات التي على صفحات "فنتورا دا كوستا" والنسخ مبين على الهامش .

القطعة (٢٤) هذه هي لهذا الجزء من الأوامر المحلية وتتعلق بالوثيقة الثالثة ، الرواية المحددة مع واحدة أو اثنتين من التعديلات غير المهمة من النوعية التي عادة ما تحدث في عمل نسخة واضحة . لسوء الحظ فإن هذه القطعة عانت أيضاً من الخراب في جانب واحد بطول الصفحات .

ما استنتجه هو أن القطعة (١٩) هي ما بقي من المسودة الأولى التي استخدمت كأساس للتدقيق والبحث ، ومن الطبيعي لمناقشات خلافية بخصوص تعليمات الرحلة ، فإن القطعة (٢٤) هي ما ظل موجوداً من نص محدد ، والذي كان معروضاً أن يتم حفظه في الأرشيف كمحضر نهائي نسخت منه الأوامر الأصلية للقائد .

مع ذلك ، فإن القطعة (١٨) تطرح سؤالاً مهماً ، ومن الواضح لي عدم إنكار أنها فعلاً تتضمن نصاً قصيراً وأكثر تنظيماً عن الجزء المقابل من الوثيقة (٣) ، وعليه ، فلابد أن تكون صيغة مبكرة ، طالما أننا في الوثيقة (٣) نجد روح رسالة الملك "مانويل" لـ"سامورين" ، التي يمكن قراءتها في "كاستانهيدا" "Castanheda" التي نسختها منها في كتابي عن تأسيس دولة الهند ، وفي "فنتورا دا كوستا" و"جرينلي" "Grenlee" .

ما هو إذن التفسير عن : لماذا تعتبر رواية ما صيغت قبل غيرها وتحتوي في النص عبارات في رواية اعتبرت متأخرة وضعت على الهامش حتى تضاف لنسخة واضحة ومتقنة ، وأيضاً في تلك الرواية الأخيرة هناك سطور مُسحت بالكامل ؟

يحدث هذا في قطعتين فقط ، إحداهما التي تشير "لزوج من الرجال" اللذين عليهما مغادرة السفينة مع الهنود الذين ذهبوا للشاطئ مع "بالتازار" في "كلكتا" ، والأخرى هي التي طلب فيها أخذ الحيطة والحذر بعدم قبول رهائن من أصحاب المكانة الدنيا .

في حقيقة الأمر فإن تلكما القطعتين الموجودتين على الهامش في الوثيقة (٣) واللتين أضيفتا ، تظهران في نص القطعة (١٩) ، وهو ما اعتبره أكثر تبكيراً طالما أنني على قناعة بأسبقية القطعة (١٩) بسبب حاجتها للتفاصيل والاستقراء للأوضاع والعناصر التي توافرت بصورة جيدة في الوثيقة (٣) ،

التفسير الوحيد هو أنه في حالة واحدة فإن المسألة تتعلق بالتعليمات وفي الحالة الأخرى هي الفرضيات عبر المناقشات قد أدخلت وأبعدت من الأوراق ، ثم استبدلت فيما بعد .

كان على الهنود النزول من السفينة ، بناء على العبارة التي شطبت في الوثيقة (٣) وأنا أنقل ما يلي : "حتى يمكن القول إن هذا الأسطول لنا وإننا نبعث به إلى هناك مع الكثير من السلع والبضائع ولنبيع ونشتري أخرى تحملها السفن فيما بعد" .

إن سيطرة البعثة التجارية هي الخط العام الذي اتبعته القطعة (١٩) ، ولهذا السبب فهي وثيقة هامة ، لكن لعلها اعتبرت غير مناسبة في إعطاء هذه المهمة للهنود ، طالما كان من الواضح أن هناك عودة لفكرة أن يرافقهم اثنان من البرتغاليين ، اللذان كان عليهما الذهاب فقط لتأييد بيان "المالاباريين" عن الدافع التجاري الذي عبر عنه في القطعة (١٩) في العبارة "الذهاب مع الهنود المذكورين إلى "سامورين" ، ملك "كلكتا" ، وإخباره بأننا جئنا إلى هنا للتجارة" . . .

لكن أيضاً بغرض أن ننقل للملك تاريخ إصرار وتصميم ومحاولات البرتغاليين في الوصول إلى الهند "في الأساس لخدمة الرب" . . طالما عُلم أن الهنود كانوا مسحيين .

في مسألة الرهائن ، فقد ذكرت سابقاً في القطعة (١٩) بأن أشخاصاً ذوي مكانة رفيعة يمكن قبولهم وأنه على البرتغاليين البحث لضمان توفير ذلك عند النزول من السفينة حتى إن الأشخاص من غير

ذوي الاعتبار لن يتم تقديمهم كبديل عن الأشخاص أصحاب المقام الرفيع ، لكن في الوثيقة (٣) تم التوجيه بأن على "كابرال" شخصياً تحديد الرهائن وتسميتهم ، كذا وكذا ... وهذا تم شطبه لأن تسمية الأفراد تطلبت التعريف .

بعد البحث والنقاش ، أعتبر أن من المناسب أن يصدر الأمر بأن يقوم البحارة الذين يذهبون إلى الشاطئ مع الهنود أن يختاروا أصحاب المكانة الرفيعة بالبلاد . القطعة المقابلة في النص الخاص بالوثيقة الأولى تم إحلالها على الهامش في الوثيقة الأخيرة . هذا هو التفسير الذي حدث لي من حيث مناسبته لأسبقية القطعة (١٩) الواضحة ،

حيث إن مشكلة الهند طرحت بحيث أعطت سيطرة لمفهوم العامل الاقتصادي ، حتى وإن كانت تلك هي القضية ، فالحقيقي في الأمر أنه ضخم كثيراً ، كما يبرز من رسالة الملك لـ "ساموين" ملك "كلكتا" ، وهذا الأمر المحلي - الذي هو واحد من بين العديد - كان يجب تحويره لهذا المدى .

أعتقد أن بحثاً أكثر تفرغاً وعناية بين القطع المنشورة "الكوربو كرونولوجيكو" من قبل باحثين على علم بتلك الحقبة ، فإن الشخصيات والمشاكل والمحاضر ومحاور الحياة اليومية قادرة على التدقيق والفحص بكل ثقة عن مشكلة السجلات الممزقة وغير المكتملة وتحديد الصفحات الضائعة وغير الثابتة وأنصاف

الصفحات والقصاصات ، والتي تمثل وثائق منفصلة بحيث يمكن استعادة نصوص أخرى تتعلق بـ "كابرال" غير معروفة حتى الآن .

ليس من السهـل ، لكن من الممكن وأنا أدرك أن المديـر المشهـور لـ "تورو دو تومبو" "Torre do Tombo" مع مساعديه الفنيين ، يحاول القيام بذلك . دعونا نأمل أن ينجح هذا المشروع ، لأن أهميته واضحة ، ولا يمكن نكرانها .

أسرار تأسيس الهند تعتمد على تخطيط الرحلات التي تمت قبل العام ١٥٠٤م ، وعلى وجه الخصوص تلك التي قام بها "كابرال" ، والتي كانت أول حملة تجارية ، والثانية بعد "فاسكو دا غاما" ، الذي تباحث في أمر المعاهدات التجارية في العام ١٥٠٣م .

لابد أن يكون هناك قدر كبير يقال عن تلك الأحداث ، لكن لا توجد وثائق واضحة عن ذلك . في رسالة غير مؤرخة من "جاسبار دا غاما" إلى الملك ، والتي أعتقد أنها لم تنشر وليس صعباً تحديد تاريخها ، تلقي بعض الضوء على مشهد وشكل الاهتمامات التجارية البرتغالية في الشرق ، وتشير بصورة محددة للتجارة مع "ملقة" والعلاقات بين "المخا" وهرمز و"كلكتا" . تضمنت أيضاً الحاجة لسياسة حرب ، وهذا ما ضغط به على الملك . المهم أن ذلك لم يكن المعيار المعلن لرحلة "كابرال" .

القطعة (١٩) لم تذكر شيئاً في هذا الخصوص ، لكن الوثيقة (٣) تأمر بمعاملـة ودية لكل السفن ، قبل إضافة هامشية توصي

بهذا الموقف تجاه ذلك الذي بين "المخا" و"انجيديفا" "Anqediva" حتى "كلكتا" . إذاً السياسة التي يجب اتباعها في الشرق تبرز بالتدريج ، وبدأت حالاً في التضخم .

من المهم ، لهذا السبب ، أن نقارن سياسة السلام والصداقة التي أوصى بها "كابرال" في الوثيقة (٣) من الأوامر المحلية للعام ١٥٠٠م ، مع الحقائق التي برزت ، على سبيل المثال ، من رواية رحـــلة "دا غامـــــا" الثانية التي نشرها "كريستين فون رومر" "Christine Von Romer" في العام ١٩٣٩م .

مواقف "غاما" العدائية بعد سنتين آثرت على النجاح الضعيف لمحاولات البرتغاليين لتأسيس تجارة مع الهند تكون آمنة ، والاتجاه الجديد لسياسة قوة لا مفر منها ، والتي كان من شأنها أن تساهم في تأسيس دولة الهند في العام ١٥٠٥م . في هذا الخصوص ، إن كانت رسالة "جاسبار" "Gaspar" من الهند ، والتي هي متضمنة في اثنين وعشرين رزمة من القطع المنشورة هي أيضاً جزء من التوثيق الذي ساهم في تعليمات رحلة "كابرال" ،

يجب استنتاج أن برنامج حملة ألف وخمسمائة كان تجربة عمت على ضوء معلومة سابقة عن الوضع التجاري في الشرق ، الذي كان معروفاً تماماً في البرتغال في العام ١٥٠٠م .

إذاً لا شك أن "جاسبار" كالنجيدي مكسباً عظيماً ، وقد وفر معلومات مفيدة . في الحقيقة ، إن رسالة "جاسبار" تفسر في العام ١٥٠٠م (إن

كان ذلك هو تاريخها) ما بدأ "البوكيرك" "Albuquerque" بوضعه موضع التنفيذ في الهند في العام ١٥٠٧م ، وهذا كان عنواناً وموضوعاً للدراسة . على أي حال ، إن ظهور رواية مختلفة لجزء من الوثيقة (٣) يفتح منظوراً جديداً وأكثر صلابة عن مشكلة سياسة البرتغاليين التي خططت في "لشبونه" من أجل الهند .

من الواضح أنها ستكون ذات قيمة لا يمكن تقديرها في الحصول على كل تعليمات "كابرال" ، لكن لها نفس القيمة ، حسب اعتقادي ، في معرفة كيفية تأطير الوثيقة المطورة ، وماذا كانت نقطة الانحراف فيها للنقطة النهائية في تخطيط ووضع أخلاقيات برتغالية ، وهو المسار الذي اتبع .

ملحق

القطعة (٢٤):

ستقدم له الأشياء التي نبعث بها معك ، وستخبره نيابة عنا بأننا نرغب في صداقته وحسن النية والعون والتجارة في بلاده ، لهذا السبب نبعث لك بهذه السفن التي تحتوي على السلع والبضائع ، ونحن نرجو منه أن يأمر بأن تُباع بضاعتنا في يسر وأمن ، وقد طلبنا من تلك السفن تجهيز حمولات لتلك السفن من البهارات ومنتوجات أخرى من بلاده تكون ذات عائد ربحي هنا ،

يمكننا الحصول عليها بالأسعار السارية في البلاد ، والتي تباع بها عادة ، حتى إن لم يوافق بعض التجار على إحضار بضائعنا إلى هناك ، فقد لا يرغبون في بعض الأنواع المحلية ويرفعون الأسعار أكثر مما دفع عنها .

إذاً ، عند وصولك منعت مثل تلك السلع من قبل التجار هناك ، يجب عليه تأمين أن تلك التي تحتاج إليها ستحمل على سفنك وقدمت لك بتلك الأسعار . أو إن كان يفضل الالتزام أن يقدم وكيله فقط كل الحمولة التي تحتاجها سفنك ، ثم بتقسيم الأنصبة ونوع السلع التي تختارها ، محدداً الأسعار لبضائعه ، وأنهم سيأخذون بضاعتنا ، ونحن نأمل أن يحدث ذلك ،

حيث إنه أسرع بالنسبة لك ومقدمة مبكرة أولية عن حسن نيته و..... على أي منها توافق عليه وتقرره سنقوم بطلب السلع التي ستأخذها لتباع وتلك التي نود إحضارها معك للشراء . عندما تبدأ البيع والتجارة فسيعلم هو مَنْ تكون أنت والميناء التي سترسو عليها سفننا الآن وفي المستقبل .

مادة : إن كان ممكناً قبل ذهابنا إلى الملك ، حاول أن تعرف إن كانت الرسوم التي تدفع هناك على البضائع التي تدخل وتلك التي تؤدي عند المغادرة إن كانت هي نفسها كما أخبرنا "جاسبار" ، الذي تتلقى منه تقريراً .

إن كان الأمر كذلك ، فستخبر الملك بأنك على علم مسبقاً أن هناك رسوماً تقبلها في مملكته وأنك ترى ألا تكون بهذه القيمة العالية بالنسبة لنا ، لأننا لأول مرة نبعث لبلاده ببضائع وأنه عندما تبدأ وتتواصل التجارة فعادة ما يعطي الآخر دخولاً مجانياً لمن يأتي حاملاً بضائع معه ، وهذه هي عادتنا في مملكتنا .

عليه ، يمكنك الاعتقاد بأنه سيتصرف بهذه الطريقة معنا ومع تجارتنا ، أشر إليه على سلعة معينة مناسبة تود الشراء والبيع فيها ، وأخبر أن تكون أقل سعراً مما يدفع له .

نسألك يا رب أن أعداد السفن وكمية البضائع ستكون بحيث تؤمن له هذه الرسوم عائداً أكثر مما يتلقاه حالياً . إذا اعتقدت أن ملك "كلكتا" غير راغب نوعاً ما في القيام بذلك ، وتعتقد أنت أن ذلك لن يأتي بالنتائج المرجوة ، فلا تصر على ذلك ولن تتحدث أكثر معه في هذا الموضوع ، لأن ما قلته كاف ، ولا يجب أن يعتقد بأنك مصمم على ذلك ، وأنه سيفقد بعضاً من مستحقاته من الرسوم التي يتلقاها من المسلمين .

إن حدث ، ورفض إعطاءك أسماء الرهائن المذكورين هنا أو آخرين بنفس القدر من المكانة ، والذين معك معلومات يوثق بها عنهم كضمانات موثوق بها ، قدموا لك حتى تذهب إلى الشاطئ ، فإنك لن تنزل من على ظهر السفينة .

عندها ستبعث له برسالة بأنك تعتقد أنه لا يود التحدث إليك وأن يستمع لما سنعرضه عليه نحن ، كما توقعنا ، وعليه فليس مسموحاً لك بالنزول من السفينة دون ضمانات بهذا القدر ، لكن من أجل أن تتاجر في السلع وتتباحث بشأنها ، وتأخذ له ما بعثنا به معك ، فستطلب منه أن يبعث لك ثلاثة أو أربعة من التجار والعناصر لهذا الغرض .

ستبعث أنت بنفس العدد لذلك الغرض ، الذين سيتباحثون معه نيابة عنك ... ستبعث بـ "آيريس كوريا" "Aires Correia" واثنين من كتبته معه ، أحدهما للقادمين والآخر للخارجين . سترسل له ما بعثنا به معك ، وستتم مناقشة مسائل التجارة معه والترتيبات عن البضائع ، وستقوم بتحميل بضائع من هناك ،

بنفس الطريقة التي أشرنا إليها بأعلى ، والتي ستذكرها له عندما تقابله . ستطلعونه أنه من الخطأ كما وليس في مصلحته أن تقدم الضمانات التي طلبتموها حتى يتم النزول من السفن ، لأنكم إن كنتم ستقابلونه فستطلعونه على أشياء ذات أهمية كبرى له .

ستقومون بترتيب منزل هناك لنا ، حيث يمكن أن يقيم القسيس والرهبان الذين نبعث بهم لتعليمه في أمور الدين وأنها دروس لخلاص النفس من العذاب ، وستترك البضاعة ، وسيأتي غيرها باستمرار ، والتي سيحصل منها على أرباح كثيرة وشرف كبير من ممالكنا لبلاده ، وستدر عليه الأرباح ، وتوفر لشعبه الأشياء الضرورية التي تنعش البلاد .

إن كان لا يزال كارهاً على أن يعطيك ضمانات تؤمن لك النزول من السفينة بسلام ، عندها عليك أن تطلب منه أن يسمح لأولئك الذين بعث بهم للسفينة بأن يبقوا معك في السفن حتى يتم تفريغها .

عندما يتم الاتفاق على ذلك مع الملك ، كما نأمل ، ولا نشك

في ذلك ، سيبدأ "أيريس كوريا" في أخذ بضائعه إلى الشاطئ وبيعها ، وشراء ما يرى أنها ذات فائدة لمصالحنا . ليس عليه أن يأخذ كل البضاعة للشاطئ في الحال ، إنما فقط ما يرى ضرورة بيعه للحصول على أموال ليشتري بضائع أخرى يتم نقلها في الحال إلى السفن وحتى نتجنب أي مخاطر أياً كانت على اليابسة .

إذا رفض الملك إعطاء أي ضمانات لأنه غير معتاد لتوفيرها ، وقال إن كل من يذهب في بلاده للتجارة هناك فهو آمن ، وستكون أنت كذلك إن غادرت سفينتك للتجارة والبيع وكل ما له صلة بذلك ، عليه إن استمر في الرفض على إعطاء أي ضمانات لك لتغادر السفينة .....

أحداث عام ١٥٠١م

في عام ١٥٠١م تم توقيع معاهدة السلام بين ملك "كانانور" و"دوم فاسكـو دا غامـا" ، جـاء ذلك فـي رسالة من حاكـم "كـانـانـور" "Cananor" إلـى "د . مانـويـل الأول" "D . Manuel I"[٧]:

كان "كوتليري" "Cotereli" ملكاً "لكانانور" ، وهو الذي وقع معه "دوم فاسكو دا غاما" معاهدة للسلام في العام ١٥٠٢م ، والذي بعث له سفيره الذي جاء به "بيدرو ألفاريز كابرال" على ظهر سفينته من البرتغال في العام ١٥٠١م .

"دوم فاسكو دا غاما" تـرك "جـونزالـو جيل باربوسـا" "Goncalo Jill Barbosa" كوكيل للمحطة التجارية في "كانانور" ، و"سباستياو ألفاريز" "Sebastiao Alvarez" كاتباً للعدل .

---

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

طالع : وقائع الملك "دوم مانويل" ، الجزء الأول ، الصفحات ٦٧ و٦٨ .

كان "جنجير كروب" "Jangir Crob" حاكماً "لكانانور" ، وقد عينه "كوتليري" ، واحتفظ به "دوم فاسكو دا غاما" مع لقب "جوازيل" – "Guazil" (وزير) .

أحداث عام ١٥٠٣م

في تلك السنة كتب الوزير "جنجير كرب" رسالة إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" ، "كانانور" ، مقدماً الولاء والطاعة ، بتاريخ الثامن من شهر نوفمبر ، عام ١٥٠٣م :[٨]

إلى حضرة الملك الأفخم والمولى الأعظم ، سلطان "دوم مانويل" والي البر والبحر معطي الإحسان في كل مكان ، مالك ممالك الدنيا ، مظفر الأعداء ، ومملكته من الشرق إلى الغرب ، عظيم السياسة وقديم الفراسة ، ذي الجود ، صاحب السيف والقلم وباسط اللطف وأتم العدالة ، خلد الله سلطنته وأبَّد ملكه ، دائما أبداً .

ثم نعرض على حضرتك الشريفة بأن عام الأول أتانا كتابكم الشريف ، وفرحنا به غاية الفرح والابتهاج ، ونعلمك يا سيدي بأن أنفارك كلهم جالسون معنا بوجه أحسن ، وأنه الآن محسوب من

---

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

أقل خدامك وقائم لقضاء حوائج رعيتك في التجارة وكل ما يكون لخدمتهم في بندر .... وينبغي أن حضرتك تأمر أن باتون المراكب والأقمشة اللائقة إلى هذا البندر ، ليأتي التجار من كل جهة ويبيعوا ويشترو ، ويكونوا السبب الجاري والمتواصل ويكون نفع لحضرتك وللبندر وللرعية ،

نطلب أيضاً أن تأمر لترسل من عمولة "كانانور" عشرة مراكب كل سنة إلى بندر هرمز أو إلى كوزرات ليحضروا الخيول من هرمز .

هذه الطلبة أمرني بها "كوتيلري" ، لأجل ذلك كتبت هذه بخطي والجواب والأمر الذي يأتي من حضرتك هذا نفعله ، ولا نزيد ولا ننقص منه شيئاً والخديم يطلب من مولاه أن يحلم عليه بالمطلوب ، وأيضاً يأمر إلى أنفاره بأن يشوشوا إلى أهل "مالابار" يعني الجزر الصغار لأن سكانها فقراء ومساكين ، وعلى هذا الأمر كتب لي صاحبي "كوتيلري" للعرضة على حضرتك وكذلك باقي المرسوم ، والسلام .

حرر في بندر " كانانور" في سادس محرم سنة ٩٠٩ للهجرة .

من خديم الصغير وأقل الوزراء "جنجير كرب" .

أحداث عام ١٥٠٤م

فـي تلك السنة والتي تليها كانت رحلة "لوبـو سواريز" "Lopo Soares" الأولـى إلـى الهند ، (عـام ١٥٠٤م – ١٥٠٥م) ، "جنفييف بوشون" "Genevieve Bouchon" ، البحر الأحمر والهند ، المجلد الثالث ، "مار لوزو – إنديكوم" "Mare Luso–Indicum" :[٩]

إن رحلات الاستكشاف الأولى ذات أهمية عظيمة للغاية بالنسبة لتاريخ الشرق وتاريخ البرتغال ، وكان أولئك الذين شاركوا في هذه الحملات آخر شهود على عالم سرعان ما ستتسبب تلك المغامرات ذاتها في زواله ، وبتوسيع مجال النشاطات التقليدية لعالم القرون الوسطى ، أدركوا كل أسس البنيات الاقتصادية والاجتماعية لبلدان المحيط الهندي ، في الوقت ذاته الذي كانت

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

المجتمعات الإسلامية خلاله تتمتع بسيطرة مطلقة على الخطوط البحرية[أ] .

من غير المرجح أن يكون أولئك الملاحون قد تجشموا في أي وقت من الأوقات عناء إنتاج أعمال إنسانية ، والتحقق من الحضارات التي بدت لهم مشتبهاً بها ، ولكن تقارير رحلاتهم ووصفهم للمعارك ومخزوناتهم و"بوالص" شحنهم وطلبياتهم الخطية التي سجلت فيها - كل تعاملاتهم تكشف جوانب كانت المعرفة بها قليلة عموماً تعلقت بحياة الناس الذين قابلوهم ، وقد تجاهل مؤرخو عصر النهضة نسبياً الرحلات البرتغالية الأولى .

بينما يلم الجمهور ذو الاطلاع الحسن إلماماً جيداً باكتشاف الأمريكيتين ، فإنه لا يعرف إلا القليل للغاية عن اكتشاف آسيا ، وإذا كانت أعمال كثيرة تتناول الأعمال البحرية البطولية التي قام بها الملاحون البرتغاليون ، فإن الدراسات المخصصة للظروف التي تواصلوا فيها مع الشعوب الشرقية قليلة للغاية ومتباعدة .

بيد أن تجربة الحملات الأولى أملت قوانين أقدم أنواع السيطرة الأوروبية في آسيا ، وربما تعين علينا أيضاً أن نسأل أنفسنا عن ردود أفعال الرجال الذين عاشوا هذه التجربة وما يكشفونه عن المجتمعات التي جاؤوا منها والمُثُلْ والمصالح التي ألهمتهم .

(أ) "جي بوشون" ، مسلمو "كيرالا" في عهد الاكتشاف البرتغالي ، في "ماير لوزو - إنديكوم" ، ٢ (عام١٩٧٣م) الصفحات ٣ - ٥٩ . انظر خريطتنا الخاصة "بمالابار" ، في نفس المكان .

من خلال محاولة الإجابة على هذه الأسئلة يمكن اكتشاف الوسط الاجتماعي للقباطنة ورجال الأعمال وأفراد طاقم السفن ، وتسلسل المسؤوليات الهرمي ، ونظام اقتسام الأرباح وسلوك وأعراف الحياة اليومية ، وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت ذكريات هذه الرحلات ترد عبر تقارير مؤرخي الأحداث البرتغاليين ، وفقاً لتسلسلها الزمني ، ومن خلال بعض التقارير القصيرة ، وكان "جان باتيستا راموزيو" قد تولى جمع أشهر هذه التقارير في مجموعة .

برز الاهتمام بالبحث وبنشر المخطوطات ومواد الأرشيف خلال المائة وخمسين عاماً الماضية فقط ، وبهذه الطريقة تم نشر إفادات مصادر حملات عام ١٤٩٨م و١٥٠٠م و١٥٠٢م[أ] التي قادها "فاسكو دا غاما" و"بيدرو ألفاريس كابرال" .

تمكننا إفادات شهود كهذه من أن نضع بشكل تقريبي دراسة سجلات لأحداث على أساس التسلسل الزمني ، ويصح القول إنها دراسة مبعثرة لا يمكن أن تعيد تحديد استمرارية تاريخ استكشاف الهند ، إذ لا توجد حتى الآن معلومات عن مشروع "جواو دا نوفا" "Joao da Nova" (عام١٥٠١م) ، وتوجد فقط بعض الرسائل الأصلية من حملة "البوكيرك" (عام١٥٠٣م) .

(أ) أجرى جرد المصادر المطبوعة:

M . A . A . Banha de Andrade in Mundos novos do mundo, panorama da difusao, pela Europa, de noticias dos Descobrimentos geograficos portugueses .

"لشبونه" ، عام١٩٧٢م ، المجلد "٢" .

حيث إن وثائق رحلة "لوبو سوريز" لم تنشر بعد ، فقد جمعنا ست عشرة قطعة من مواد الأرشيف التي عثر عليها في "توري دي تومبو"(أ) ، ويبرز من بينها بيان قائمة الشحنة في رحلة العودة ، والذي يتضمن قائمة بأول شحنة فلفل نلم بها ، ومن المرجح أن يكون الجرد قد تم في نهاية عام ١٥٠٥م ، أي في اللحظة المحددة التي خضعت فيها لوائح التجارة الخارجية إلى تعديلات هامة(ب) ، وبتخصيصه لحسابات

(أ) (أ) قائمة البهارات ، الخاصة بالملك ، جلبها "لوبو سواريز" من الهند ، وقائمة للبهارات العائدة لعدة أشخاص يعملون في سفن القرقور بالهند ، على الرغم من أنها موسومة بملاحظات وعلى الجوانب المختلفة ، إلا أن هاتين الـ "relacoes" هما الجزءان الوحيدان للوثيقة الوحيدة التي سنضع لها العنوان الاصطناعي " قائمة جرد عام ١٥٠٥م" لكي نجعل الأشياء أكثر سهولة .

(ب) "دوم مانويل" إلى ملك "كوتشين" .

(ج) "ماندادو" (الطلبيات الخطية) ، "كانانور" .

(د) "ماندادو" ، "كانانور" .

(هـ) "ماندادو" ، "كانانور" .

(و) "ماندادو" ، "كانانور" .

(ز) بوالص شحن ، "كانانور" .

(ح) "ماندادو" ، "كانانور" .

(ط) "ماندادو" ، "كانانور" .

(ي) بوالص شحن ، "كانانور" .

(ك) "ماندادو" ، "كانانور" .

(ل) بوليصة شحن ، "كانانور" .

(م) "دوم مانويـل" إلى القسيس الإقليمي لجمعية "سانت دومينيـك" ، من "لشبونه" ، يتم نشر كل هـذه القطع فيما بعد على الصفحتين ١٠١ و١٣٦ (وهاتان الصفحتان غير مضمنتين في هذه الترجمة) .

(ب) مقدمتنا إلى قائمة جرد عام ١٥٠٥م ، المنشورة فيما بعد ، وثيقة "١" ، الصفحة ١٠١ (غير مضمنة في هذه الترجمة) .

الملك وحصة المساهمين الآخرين من الأرباح ، لتسهم هذه القائمة بشكل لافت في التاريخ الاقتصادي والمالي للإمبراطورية البرتغالية .

قد مكننا نصان تم إعدادهما مؤخراً من أن نعطي ثقة سردية بعينها إلى رحلة "لوبو سوريز":

يقدم الأول – وهو محفوظ في المتحف البريطاني .

نشره السيد "لويس دي البوكيرك" "Luis de Albuquerque" – نسخة من الأحداث التي تختلف قليلاً عن النسخة الموجودة في النصوص الكلاسيكية[أ] .

النص الثاني – والذي اكتشفه السيد "أفيلينو تيكسيرا دا موتا" "Avelino Texiera da Mota" في المكتبة الوطنية بفلورنسا – يقدم تقريراً لرحلة "أنطونيو دي سالدانها" الذي انضم إلى "لوبو سوريز" في البحار الهندية[ب] .

(أ) Cronica do descobrimento e conquista da India pelos Portugueses ،
مقدمة وملاحظات بقلم "لويس دي ألبوكيرك" ، قراءة بواسطة "أديليا لوباتو" ، طبعة "أغروبامنتو دي إيستودوس دي كارتوغرافيا أنتيغا" ، ٨٦ ، كويمبرا ، عام ١٩٧٤م ، منشورة في الوقت ذاته في "ريفيزتا دي سينسياس دوم هوميم سيداد دا يونيفيرس دي لورنسو ماركيز" ، المجلد الخامس ، المجموعة ب ، عام١٩٧٤م ، أعطينا هذا النص العنوان "لا مسميات المتحف البريطاني التقرير التالي ، الصفحات ١٨٣ – ١٨٨ . (غير مضمنة في هذه الترجمة) .

(ب) A Texeira da Mota, A viagem de Antonio de Saldanha em 1503 e a rota de Vasco de Gama no Atlantico Sul, ed . Agrupamento de Estudos de Cartografia antiga, 64, Lisbon, 1971 .

وقد أعطينا هذا النص العنوان : "تقرير مجهول من فلورنسا" .

تدعونا الدراسة المقارنة لهذه المصادر العديدة إلى أن نفحص بعناية أكثر تقلبات رحلة أسيء فهم أهميتها عموماً ، حيث حجبتها شهرة الأحداث التي سبقتها والتي أعقبتها : أي معارك "دوارتي باتشيكو" "Duarte Pacheco" وتأسيس دولة الهند .

١- من "لشبونه" إلى "كانانور":

في إبريل عام ١٥٠٤م ، كان أسطول "لوبو سوريز" ينتظر الأوامر للإبحار ، وكتب "جيان فرانسيسكو أفايتاتو" "Jian Francisco Avayato" من "لشبونه" في السابع من شهر إبريل إلى سفير البندقية في "إسبانيا" يقول إن إبحار الأسطول تأخر بسبب حريق شب في بارجة الأميرال .

بسبب إهمال أفراد الطاقم ، الذين تركوا مرجل زفت على النار ، تعرضت السفينة "نونسيادا" "Nunciada" للتدمير كلياً بما فيها شحنتها من المواد الغذائية وتتكون من : أربعمائة قربة نبيذ وألف وخمسمائة قنطار من البسكويت .

(ملاحظة : يتراوح وزن القنطار بين ٢ - ٢٥ كيلوجرام) ، وبلغت قيمة الخسائر عشرين ألف دوكات ، دون حساب خسائر السفينة - وهي الأضخم في الأسطول البرتغالي - والتي يمكن أن تحمل ثمانية آلاف قنطار من البهارات ، وتراوح كل الذي أمكن إنقاذه بين سبعمائة وثمانمائة قنطار من النحاس وثلاثمائة قنطار من الرصاص كانت ستستخدم في مقايضة ببضائع هندية[أ] .

(أ) In Sanuto, Diarii, VI, p . 26-27 . The burning of the "Nunciada" is also

لم يعرف مسجلو الأحـداث التاريخية حسب التسلسل الزمني بالكارثة التي وقعت لـ "نونسيادا" ، وتفسير هذه الثغرة التشويش في بياناتهم التي لا تتفق على عدد السفن التي يتألف منها الأسطول ، كان التأخير الذي سبق الإبحار من نوع يعطي الفرصة لانتشار أنباء كاذبة ،

قد شاهد "جيان فرانسيسكو أفايتاتو" إحدى عشرة سفينة راسية في "ريستيلو" ، وقيل إن السفينة "نونسيادا" كانت سوف تستبدل بسفينتين مقاس كل واحدة أربعمائة طن ، ولكن أمراً صدر بشأن إحداهما في "بسكاي" ولن تكون جاهزة قبل نهاية شهر إبريل ، وقد قرر الملك ، "دوم مانويل" ، وقباطنته عدم انتظارها وأن يرسلوا السفن التي كانت جاهزة التسلح متى أصبح الطقس مواتياً .

في الثاني والعشرين من شهر إبريل عبرت السفن الإحدى عشرة المشار إليها حاجز "تاغوس" "Tagus" ، وكان يعمل على متنها ألف ومئتا رجل ونبلاء مختارون من أفضل العائلات في البرتغال ، وبالنسبة

---

mentioned by Ca'Masser in Relazione di Lunardo da Cha Masser (Centenario do descobrimento da America . Memorias da comissao portuguesa, Lisbon, 1892, appendix, p . 73) .

ويعدد هذا المؤلف ذاته البضائع التي يحملها الأسطول على النحو التالي : ٢٨٠٠ قنطار نحاس على أساس ١٢ دوكات للقنطار و٦٥٠٠ أوقية مرجان على أساس سعر ١ دوكات للأوقية ، و٥٠٠ قنطار رصاص بسعر ٦ دوكات للقنطار و٣٠٠ قنطار سينابار (cinnabar) وكمية مماثلة من الزئبق بسعر ٢٠ و١٨ دوكات على التوالي للقنطار ، (Loc . Cit . , p . 74 - 75) .

إلى "لوبو سوريز" - القائد العام - فهو نجل مستشار الملكة الكبير(أ) ويمت بصلة القرابة إلى آل "كابرال" وآل "الميدا" وآل "البوكيرك" .

من عام ١٤٩٥م إلى عام ١٤٩٩م كان القائد على قلعة "ساو جورج دا مينا" "Sao George da Mina"(ب) ، وعند تعيينه لقيادة الأسطول إلى الهند في عام ١٥٠٤م . رافقه "بيرو دي مندونسا" "Pero de Mindonca" و"ليونيل كوتينهو" "Leonel Coutinho" و"تريستاو دا سيلفا" "Tristao da Silva" و"لوبو مينديز دي فاسكونسيلوس" "Lopo Menedes de Vasconcilos" و"لوبو دي أبريو" "Lopo de Abrio" و"فيليب دي كاسترو" "Philip de Castro" و"أفونسو لوبيز دا كوستا" "Afonso Lopez da Costa" و"بيرو أفونسو

(أ) بشأن هذه العائلة ، كان "روي غوميز دي الفارينغا" ، والد "لوبو سواريز" ، مستشاراً "لدوم ألفونسو" الخامس من عام ١٤٦٣م حتى وفاته .

(ب) وتم ترشيحه في نهاية عام ١٤٩٤م . منحه "دوم جواو الثاني" المقدمة في إيفورا في العشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٩٤م إلى "لوبو سواريز" ، نبيل من أسرتنا ، الذي يتجه الآن كقائد إلى مدينة "ساو جورج دا مينا" بمباركة وموافقة مدينة "لشبونه" ، قد كتبنا إلى المدينة عن هذا وأرسلوا يبلغوننا بأنهم مسرورون بذلك ، لكن يجب علينا أن نجعله مواطناً بتلك المدينة ، ونأمل أن يحوز ويتمتع من الآن فصاعداً بجميع الألقاب والامتيازات والحريات والحقوق التي يمتلكها ويتمتع بها مواطنو المدينة والمقيمون فيها ، على الرغم من أنه لا يقيم هناك ولا يملك منازل أو أشياء أخرى يمكن أن تجعله مواطناً بالمدينة .

وسيأمر بإعداد خطاب مواطنة بتلك المدينة في كل سنة بالطريقة المعتادة لمواطنيها والمقيمين فيها . (تم نسخ وثيقة المنحة في تأكيد "دوم مانويل" ، "إيفورا" ، الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٤٩٧م في أمانة سر "دوم مانويل" 28, f . 98a) ، قد باشر "لوبو سواريز" مهام عمله في منتصف سبتمبر عام ١٤٩٥م ومارسها حتى نهاية يونيو عام ١٤٩٩م (بيان الثاني من شهر يوليو عام ١٤٩٩م الذي نشره "جواو مارتنز داس يلفا ماركيز" ، "لشبونه" ، عام ١٩٧١م ، على الصفحتين ٥٢١ - ٥٢٢) .

دي أغـويـار" "Pero Afonso de Aguiyar" و"فاسكو دا سيلفيرا" "Vasco da Silviera" و"فاسكو دي كارفالهو" "Vasco de Carvalho" و"مانويل تيليس دي فاسكونسيلوس" "Manuel Teles de Vasconcilos" ، وعلاوة على أسماء القباطنة المذكورين في الوثائق الأصلية للحملة ، يضيف بعض المؤلفين أسماء "ديني سدي سيتوبال" و"كريستوفاو دي تافورا" "Christofao de Tavora" و"ســيماو دي ألكـاسوفا" "Simao de Alcacova" الذي لم نعثر له على أي أثر ، وتكشف قطع الأرشيف هذه نفسها أسماء السفن المضمنة في الأسطول والتي يمكن تشكيلها ثانية هنا للمرة الأولى:

اسم السفينة	القبطان
"سيرن" "Cerne" (بارجة الأميرال)	
سفينة العلم	
"ليتوا نوفا" "Litua Nova" .	"بيرو دي مندوسا"
"باتيكابيلو" "Patikabello"	"بيرو أفونسو دي أغويار"
"راي غراندي" "Ray Grandi" "راي بيكوينو" "Ray Piquino"	"فيليب دي كاسترو"

القبطان	اسم السفينة
"أفونسو لوبيز دا كوستا"	"جيوليوا أو سانت إيسبريتو" "Jiolio O Saint Espreto"
"مانويل تيليس"	"نونسيادا"
	"فرانسيسا" "Francisa"
	"فيروس" "Ferros"
	"سانت انطونيو" "Saint Antonio" "نافي ردا "كاترينا دياز"

بمناسبة هذه الحملة تم وضع القواعد الملاحية للطريق البحري إلى الهند ، وقد تم وضعها في "ريمنتو" (تعليمات خطية) غير مؤرخة مقصود بها قبطان لم يتم تحديد هويته ، ولكن يمكن للمرء أن يتعرف عليه باعتباره "لوبو سوريز" عند قراءة سجلات عرض الأحداث وفق تسلسلها الزمني ، وعلاوة على ذلك ، فإن التعليمات المتضمنة في هذه الوثيقة تتحقق وتكمل تلك التي يمكن العثور عليها في نصوص "كاستانهيدا" و"بي إم انونيماس" (مجهول) .

في الثاني من مايو عام ١٥٠٤م ، أمر "لوبو سوريز" الأسطول بالتوجه إلى قبالة جزر الرأس الأخضر ، لتعريف قباطنته ومديري دفته ورؤساء طاقم البحارة بأمزجتهم ، لتفادي الصدامات ، ولإعادة

تجميع السفن التي ضلت الطريق ، وهكذا تبحر بارجة الأميرال في المقدمة ترافقها سفينتان أخريان ، وخلال الليل كان ضوءه الملاحي يقود كل الأسطول الذي كان يتبعه ،

لم تسمح لأي سفينة من السفن بأن تتجاوز الأخرى ، وفي حال إشعال نارين فإن ذلك كان يعني أن تنتشر ، وكان إشعال ثلاث نيران بمثابة أمر لها بإنزال الأشرعة الخفيفة ، وكان إشعال أربع نيران يعني ضم الأشرعة ، وعند إشعال عدة نيران على سطح المؤخرة فإن على السفن أن تحل حبال الأشرعة وصواريها .

ينبغي نقل جميع هذه الإشارات وتكرارها من سفينة لأخرى ، ولكن ، وبين كل مناورة يجب أن يشتعل الضوء الملاحي لبارجة الأميرال فقط ، وكانت بقية الأسطول تبحر في الظلام ولا يوجد بها إلا ضوء شمعة واحدة مسموح بإشعالها في مقصورة كل قبطان .

بالنسبة للإبحار نهاراً كان إطلاق المدفعية يحل محل النيران ، وكان يتعين على الذين لا يستجيبون للإشارات دفع غرامة قدرها عشرة "كروزادو" ، ويتم وضعهم في زنزانات دون الحصول على أجر حتى يصلوا إلى الهند ، وأما بعض الربابنة ومديري الدفة الذين تسبب إهمالهم في حدوث اصطدامات فكان يتم تحويلهم إلى سفن أخرى .

قد تم نسخ هذه التعليمات بترتيب وقع عليه جميع القباطنة ، ومن ثم أبحروا مجدداً ، إذ كان من المهم أن يبذلوا أقصى ما بوسعهم ليعوضوا تأخيرهم .

كل تلك الاحتياطات ما كانت لتحمي الأسطول من العواصف التي كانت سائدة حول رأس الرجاء الصالح ، الذي مر به في نهاية يونيو ، وكانت السفن المبعثرة تهيم لمدة يومين كاملين تحت عواصف ثلجية قارسة ، وتضيع وسط ظلام دامس إلى حد لا يتمكنون معه من التمييز بين الليل والنهار .

عندما بدأ الظلام ينجلي ، واستطاعوا أن يروا البر على الأقل ، حاول "لوبو سوريز" إعادة تجميع سفنه ، في كل مرة قلبوا فيها الساعة الرملية على بارجة الأميرال كانت طلقتا مدفع تطلقان كإشارات للتجمع ، ويتعين على كل سفينة أن ترد عليها بالطريقة ذاتها ، بهذه الطريقة أعيد تجميع كل السفن ما عدا سفينة "لوبو مينديز دي فاسكونسيلوس" التي فقدت .

كانت الأمواج الطويلة قد قذفت سفينتي "أفونسو لوبيز كوستا" و"بيرو أفونسو دي أغويار" على بعضهما ، ونظراً إلى أن سفينة الأخير كانت مهددة بالغرق فقد تلقت على الفور مساعدة من زورق شراعي صغير مجهز بتعزيزات لإنقاذها ، وعلى الرغم من هيجان البحر تمكن البحارة من سحب المياه منها خلال حوالي ثمان وأربعين ساعة ، وتمكنوا من سد الخروق بجلد ثبتوه عليها بالمسامير وطلوه بالقار .

في الخامس والعشرين من شهر يوليو توقف الأسطول في "موزمبيق" لفترة خمسة أيام ، وسلم شيخ المدينة إلى "لوبو سوريز"

رسالة كان "بيرو دي أتيد" "Pero de Ataide" قد أودعها لديه قبل وفاته ، وعرف القائد العام منها بغرق الأخوين "سودريه" "Soderi" قبالة ساحل جزيرة العرب(أ) .

لكن بيرو دي أتيد - ولحرصه على أن يروي مغامراته - أهمل ذكر النقطة الرئيسة وهي الأحداث التي وقعت في الهند في نهاية عام ١٥٠٣م ، وسيتلقى "لوبو سوريز" معلومات عنها بعد أيام قليلة في "ماليندي" من الستة عشر ناجياً من السفينة (الكرافيل) الخاصة بذلك القبطان .

على الرغم من التعليمات المستلمة . لا يبدو أن القائد العام اقتطع وقتاً ليقابل ملك "ماليندي" .

قد توجهوا إلى جزيرة "أنجيديفا" حيث وجد الأسطول "لوبو مينديز دي فاسكونسيلوس" و"أنطونيو دي سالدانها" و"روي لورنسو" الذين كانوا يقضون فصل الشتاء هناك في انتظار الإبحار

(أ) كان "فاسكو دا غاما" قد كلف الأخوين "فيسنتي" و"براس سودريه" بحراسة سواحل الهند خلال عام ١٥٠٣م ، لكن ، وبدلاً من إنجاز هذه المهمة تمركز هذان القبطانان بسفنهما عند مدخل البحر الأحمر من أجل الاستيلاء على الغنائم ، قد فقدت آثارهم خلال عاصفة قبالة جزيرتي "كوريا" و"موريا" ، أما "بيرو دي أتيد" - قبطان السفينة "ساو باولو" - التي كانت جزءاً من أسطول الأخوين "سودريه" - فقد عثر عليه "فرانسيسكو دي ألبوكيرك" في مياه "مالابار" في نهاية أغسطس عام ١٥٠٣م ، بعد تكليف "بيرو دي أتيد" بالتوجه إلى "لشبونه" لإبلاغ "دوم مانويل" بأنباء المهلة التي أبرمت مع "كلكتا" ، إلا أن سفينته جنحت عند ساحل "موزمبيق" في فبراير عام١٥٠٤م وتوفي متأثراً بمرض بعد وقت قصير من ذلك التاريخ (رسالة "بيرو دي أتيد" إلى "دوم مانويل" من "موزمبيق" ، العشرون من شهر يوليو عام ١٥٠٤م ، و"كاستانهيدا" ، ١/٥٤ ، ص ١١٤ - ١١٥ ، و"باروس" ١/٧-٢ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، و"غويس" ١/٧٤ ، ص ١٧٨ - ١٧٩) .

بطول سواحل "كامباي"(أ) ، وجمع "لوبو سوريز" كل هذه السفن المبحرة معاً تحت قيادته ودخل ميناء "كانانور" في أبهة عظيمة في بداية سبتمبر عام ١٥٠٤م ، وفور وصوله استقبل "ألفيتور غونسالو جيل باربوسا" "Elvitur Goncalo jill barbosa" الذي قدم له تقريراً تفصيلياً عن الموقف في "مالابار"(ب) .

٢- النزاعات في "مالابار" وتدمير أسطول مسلمي "كلكتا" تمثل تأثير وصول البرتغاليين إلى الهند في إعادة إضرام التنافس القائم منذ قرون بين ملوك "كيرالا"(ت) ، وقد كان "سامورين" "كلكتا"

(أ) قاد "أنطونيو دي سالدانها" أسطولاً من ثلاث سفن غادر "لشبونه" في ١٤ مارس عام ١٥٠٣م في مهمة لاستطلاع "رأس غاردافوي" ومضائق البحر الأحمر ، قد سافر على متن سفينة سماها مؤلف "التقرير المجهول" من فلورنسا "كافاغليو" ، وقائمة ١٥٠٥ "إيه دي دوم نونو" (الورقة ١٢) ، ولا شك أنه "دوم نونو مانويل" ، الحاكم العظيم باسم الملك . كان برفقة "أنطونيو دي سالدانها" "روي لونسو رافاسكو" ، قبطان "تافوريا" و"ديوغو فيرنانديس بيتيرا" ، قبطان سفينة "سيتوبال" .

(ب) وصل "لوبو سواريز" إلى "كانانور" في أول سبتمبر ، نحن نعرف أن "لوبو سواريز" غادر "كانور" في السابع تقريباً ، الآن ، إذا صدقنا "باروس" - الذي كتب يقول أن "لوبو سواريز" لم يتأخر أكثر من ثلاثة أيام في المدينة - يمكننا أن نحدد تاريخ وصول الأسطول في الرابع أو الخامس من سبتمبر ، وهو أول تاريخ يتوافق مع تاريخ أقدم وثيقة من هذه الحملة .

(ت) كانت "مالابار" آنذاك مقسمة إلى أربع ممالك ، أي من الشمال إلى الجنوب وهي : "كولانوناد" أو مملكة "إيلي" ، و"إرناد" و"بيرامبادابوناد" و"فيناد" التي أطلق عليها البرتغاليون أسماء مدنها الرئيسة وهي : "كانور" و"كلكتا" و"كوتشين" و"كولام" وبسبب النفوذ الذي تمتع به سامورين "كلكتا" بفضل الثروات التي جلبتها له التجارة الخارجية ، حاول توسيع سيطرته على جزء كبير من "كيرالا" ، قد مارس ضغطاً سياسياً متواصلاً على جيرانه الحكام الذين عانوا كثيراً من الفشل أمامه بسبب قوته الاقتصادية ، كان للعداء بين "كلكتا" و"كوتشين" والمعلن صراحة منذ القرن الخامس عشر ، ذريعة تمثلت في تنافس سلالات (انظر : أكيوتا مينون ، كتيب دولة "كوتشين" ، إيرناكولام ، ١٩١١ ، ص ٣٨ و٤٢ - ٤٤) .

على خلاف مع البرتغال منذ القصف الذي وجهه "بيرو ألفاريس كابرال" للمدينة في عام ١٥٠٠م كانتقام لنهب الوكالة التجارة وذبح رجاله ، وقد ساند ملكا "كوتشين" و"كانانور" "كابرال" بشكل مباشر ، وعرضا عليه أن يقيم في أراضيهما .

ازداد التوتر بعد عامين بسبب تدخل "فاسكو دا غاما" الذي قام بسلسلة من الأعمال الهجومية ضد الأسطول وأعيان "كلكتا" ، وعلى الرغم من الموقف المحفوف بالخطر والتهديد الذي سببته هذه الهجمات حصل "فاسكو دا غاما" على مزايا اقتصادية هامة للبرتغال ، هي تحديد سعر البهارات وقانون للوكالات التجارية في "كوتشين" و"كانانور" .

أعطي حسن الضيافة الذي لقيه الوفد البرتغالي من "راجا كوتشين" المبرر لإحياء الحرب وغزو مملكة خصمه في بداية عام ١٥٠٣م ، ولكن ، وبدلاً من أن يسلم ملك "كوتشين" إلى المنتصر عليه الأربعين برتغالياً الموجودين تحت حراسته ، فقد فر بهم إلى جزيـرة "فـايبين" المقدسـة ، وتحول الموقف إلى صالحه من سبتمبر مع وصـول "فرانسيسـكـو" و"أفـونسو دي ألبوكيرك" "Afonso de Albuquerque" اللذين طردا قوات "كلكتا" وأعادا لملك "كوتشين" أراضيه وحقوقه .

تعرضت هذه الاستعادة للخطر مجدداً في بداية عام ١٥٠٤م ، وذلك بعد أيام من إبحار أسطول الأخوين "البوكيرك" مرة ثانية

في الطريق إلى البرتغال ، وقد ترك هذان القبطانان في "كوتشين" قوة دفاع تتماشى مع إمكانياتهما المحدودة ، وضمت القوة سفينتي "كرافيل" وعدة مئات من الرجال يقودهم "دوارتي باتشيكو بيريرا" .

خلال الشهور الستة الأولى من عام ١٥٠٤م نجحت قوة الدفاع المذكورة في صد هجوم جيوش "كلكتا" خلال حرب كمائن ألهمت أحداثها أسطورة البرتغال الملحمية ، وقد احتفى بها "كاموز" الشاعر .

إذا كان ثبات "دوارتي باتشيكو" قد أنقذ المهمة ، فإن وضع البرتغاليين في الهند ظل محفوفاً بالمخاطر ، ففي "كانانور" ، تلقى "غونسالو جيل باربوزا" ورفاقه تهديدات بالقتل ، وتباهت المجتمعات الإسلامية في "مالابار" بحصولها على تحالف مع سلطان القاهرة الذي سلح أسطولاً مزوداً بمحاربيه الأتراك أو "المتتركين" الأشداء الذين يطلق عليهم اسم "رومز" (الروم) (Rumes) ، والذين كان سيؤدي وصولهم الوشيك إلى تدمير القوات البرتغالية ،

سرت الإشاعات عن هذا الأمر في جميع الموانئ على الساحل إلى حد أن "أنطونيو دي سالدانها" و"روي لورنسو" - بعد أن شاهدا مراكب "لوبو سوريز" قبالة "أنجيديفا" اصطحباها لمواجهة أسطول المماليك .

قد أدى الموقف الغامض من قبل ملك "كانانور" - الذي لم يمنع رعاياه المسلمين من إرسال تعزيزات إلى "ساموربن" - إلى تعزيز تصميم "لوبو سوريز" على أن يكسب تأييده ، وطلب "لوبو

سوريز" ترتيب لقاء معه وأصدر لجميع سفنه أمراً برفع أعلام السفن ولقباطنته أوامر بأن يرتدوا أثمن أزيائهم .

في اليوم التالي ، وعندما ذهب "الكولاثيري" إلى الشاطئ تتقدمه أفياله ويتبعه عدة مئات من "النارِيار" (Nayars) ، نزل "لوبو سوريز" وسط عزف أرغن مثبت على زورق شراعي صغير كان جزءاً من القطع المرافقة ، وأطلقت المدفعية معاً تحية لاجتماع المشاركين .

حيا "لوبو سوريز" الملك داخل مبنى مزين بالسيراميك ، مشيد على الشاطئ ، وأهداه - باسم "دوم مانويل" - محفة ذات ستائر من الساتان القرمزي ، جلس عليها "الكولاثيري" على الفور ، بينما اتخذ القائد العام مجلسه على منصة ، ورافق كل واحد من المسؤولين مترجموه .

لم يقدم مسجلو الأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني - الذين كانوا بطيئين في وصف الديكور الفخم لهذا الاجتماع - أي تلميح لفحوى الأمور التي نوقشت خلال أكثر من ساعتين[أ] ، ولكن تعليمات "لوبو سوريز" تسمح لنا بأن نفترض أن "لوبو سوريز" - بعد أن شكر "الكولاثيري" على ولائه - طلب منه أن يضمن أثمن البهارات عند السعر الذي سبق أن حدده "فاسكوا دا غاما" في مطلع عام ١٥٠٣م[ب] .

(أ) ثلاث ساعات .

(ب) طلب "لوبو سواريز" وحصل على تفويض لبناء قلعة ، ربما نوقش الموضوع ولكن لم يتم التوصل إلى اتفاق حاسم حول هذه النقطة قبل تدخل "دوم فرانسيسكو دي الميرا" .

بعد يومين من وصول "لوبو سوريز" ، أحضر زورق نهري من "كلكتا" رسولين إلى الوكالة التجارية ، وكان أحدهما مسلماً واصطحب معه غلام سفينة برتغالياً كان قد تم أسره في عام ١٥٠٣م خلال القتال في "كرانجانور" ، وروى غلام السفينة للقائد العام عن الوضع المتأزم السائد في "كلكتا" منذ الهزائم العسكرية التي ألحقها "دوارتي باتشيكو" بجيش الملك ، وقد لجأ "السامورين" إلى ملاذ منذ نهاية شهر يونيو ،

ملتزماً بالعرف الذي يقول إن الملوك ينسحبون إلى معتزل عندما يفقدون ثقة شعوبهم : وقد فوض سلطاته إلى شقيقه "نامبياداري" "Nambiadari" ، الذي كان يرغب دائماً في أن يتصالح مع السلطات البرتغالية ، وقد أقام حلفاء "السامورين" معسكراً وأقام البعض منهم تحالفاً مع "دوارتي باتشيكو" ، وتحت خطر المجاعة ، كان التجار الأجانب يفرون نحو "كولام" و"كانانور" .

وبينما تم إرسال بعض أعضاء الطائفة الإسلامية إلى ملاذ الملك للتوسل إليه ليعود ، قررت العائلة المالكة إبرام عقد مع القائد العام الجديد ، وتأكدت أيضاً من مشاركة الأسرى البرتغاليين الذين فروا من مذبحة عام ١٥٠٠م بالتعهد إليهم بإنهاء أسرهم إذا نجحوا في إقناع "لوبو سوريز" بعدم الاستمرار في العداوة معهم .

كان غلام السفينة الذي أرسلوه إلى "كانانور" يحمل رسالة جماعية توسل الأسرى فيها للقائد العام بأن يرحب بنية حسنة

بعروض السلام من "كلكتا" ، واكتفى "لوبو سوريز" بأن منح الرسول الشاب حريته فورياً والتي رفضها الأخير لعدم رغبته في خيانة الثقة التي أوليت له ، ولكيلا يعرض رفاقه للخطر ، وأقنع إصراره "لوبو سوريز" بالحضور والتفاوض على الفور .

في السابع من شهر سبتمبر[أ] أبحر الأسطول نحو "كلكتا" ، وجاء غلام السفينة للترحيب به مصحوباً هذه المرة بمبعوث من "كويا باكي" "koy Paki" ، زعيم "مابيا كلكتا" ، الذي لم يتوقف منذ عام ١٥٠٠م عن إظهار إخلاصه للقضية البرتغالية ، وعن تقديم المساعدة سراً للأسرى ليتحملوا محنتهم ، ورفض "لوبو سوريز" هدية الترحيب التي قدمت له ، لأنه لم يرغب في قبول أي شيء من مدينة يرتاب في حسن نيتها ، ولكن قيل لـ "كويا باكي" إنه يستطيع أن يصعد بحرية إلى متن السفينة دون الحاجة لتصريح مرور .

جاء "كويا باكي" في اليوم التالي يرافقه اثنان من الأسرى النصارى كانا في عهدته ، وقال إنه مرسل من محافظي المدينة ، وطلب

(أ) تتضمن سجلات الأحداث على سبيل الخطأ هذا التاريخ ذاته وهو ٧ سبتمبر للوصول في "كلكتا" . والذي أبطلته وثيقتان من الأرشيف وقع عليهما في "كانانور" في ذلك اليوم "لوبو سواريز" ("ماندادوس" ، "كانانور" ، السابع من شهر سبتمبر عام ١٥٠٤م ، TdT,CC . II-9-3 و CC . II-9-4) ، قد تم التوقيع على الوثيقة الأخيرة على متن السفينة "سيرن") أمام "كانانور" ، وتذكر شحنة من المواد البحرية ، وهذا يقودنا إلى أن نعتقد أن الأسكول كان يوشك على رفع المرساة استعداداً للإبحار ، نلاحظ أن "بي ام انونيماس" الذي يورد السابع من سبتمبر كتاريخ مغادرة من "كانانور" (ص ١١٩) يتفق مع هاتين الوثيقتين (المنشورتين أدناه – الوثيقة ٥ والوثيقة ٦) (وهما ليستا جزءاً من هذه الترجمة) .

من القائد العام التكرم بالانتظار لمدة أربعة أيام ليعطي "السامورين" الوقت للعودة من مكان المعتزل .

طبقاً "لجاسبار كوريا" "Gaspar Correia" ، "كويا باكي" برر هذا التأخير بحادث وقع "للسامورين" ، وهو ما عارضه غلام السفينة بقوله إن الملك قد عاد بالفعل إلى المدينة ، وزادت هذه التناقضات من نفاذ صبر "لوبو سوريز" الذي رد على مفاتحات "السامورين" الأولى بإعلان أن سلطات "كلكتا" في موقف سيئ للغاية بحديثهم عن السلام في حين أنهم تعمدوا في مناسبات كثيرة خرق السلام الذي عرضه عليهم البرتغاليون .

طلب كمقدمة لأي مفاوضات ، بعودة اثنين من الطليان الفارين من الجندية – واللذين يقول البعض عنهما إنهما "عبدان" – والعميلين للبندقية وقد غادرا إلى الهند مع واحد من أول الأساطيل لشراء أحجار كريمة ، وأثبتا سريعاً أنهما فنيّا مدفعية بارعان عندما وصلا إلى "كلكتا" ،

كشفت طلبات "لوبو سوريز" نيابة عنهما أهمية نشاطاتهما وهي أهمية أدركاها سريعاً ، إذ إنهما أمضيا وقتهما لإقناع سلطات "كلكتا" بعدم إطلاق سراحهما تحت أي ذريعة وبعدم حرمان نفسيهما بأي حال من الأحوال من مثل تلك القوات الأجنبية المتعاونة الثمينة .

أدى النقاش الذي أعقب بين المدافعين عنهما وأنصار السلام إلى تأجيل الرد الذي كان ينتظره "لوبو سوريز" لعدة أيام ، ولم

يمر أسبوع منذ الاتصالات الأولى عندما قرر إيقاف المحادثات ، ولم يبد مهتماً بمصير الأسرى البرتغاليين الذين تعهد سراً بترتيب هروبهم ، والذين خضعوا سريعاً لاحتجاز أشد قسوة ، وقد أصدر الأمر لأصغر ست سفن في الأسطول لتقترب من الشاطئ بينما وضع نفسه في واحد من الزوارق الشراعية المسلحة التي تسللت ليلاً إلى الشاطئ .

عند الفجر ، أطلقت السفينة "بيرسو" طلقة تحذيرية رد عليها حصن الميناء بطلقتين ، وعند ظهور هذه الإشارة أطلقت جميع مدافع الأسطول قذائفها على المدينة وواصلت القصف خلال اليوم ، وفي اليوم التالي ، ومع تفسير صمت سلطات "كلكتا" المستمر على أنه إساءة ،

واصلت المدفعية قذف المدينة حتى منتصف النهار ، وقد تعرض سيراميك قصر الملك وجدران المسجد للهدم ، وكان أكثر من ثلاثمائة قتيل ممدين على أرض الميناء المدمر عندما أصدر "لوبو سوريز" الأمر بالتوجه نحو "كوتشين" .

يتوافر تفسير لقسوة "لوبو سوريز" البالغة – التي توضحها قراءة لسجلات الأحداث حسب تسلسلها الزمني – في نص تعليماته ، فقد نتج تعنته فقط عن الطاعة المفرطة الممزوجة بالوساوس ، وقد أملى عليه "دوم مانويل" الشرط التالي : "في حال تصادف وأرسل ملك "كلكتا" ليقول إنه يسعى لصداقتنا ويرغب في إصلاح الضرر الذي تكبدناه ، أصغ إليه ، ولكن ردك يجب ألا يكون مختلفاً عما

يلي : إنك غير مفوض بالوصول إلى اتفاق ، وإنما بإلحاق كل الأذى الذي تستطيع إلحاقه بـ "السامورين" وبكل ما يمت إليه بصلة" .

أضاف الملك : "وحتى في حال أشعرك "السامورين" بالرضا– لأننا متأكدون من أن ذلك سيكون ذريعة لتكتيكات التأخير (...) ، فلا تضيع الوقت في ذلك ، وتوجه مباشرة إلى "كوتشين" ، وتمثلت مهمة "لوبو سوريز" في تعزيز التحالف مع "كوتشين" ، الذي كان لا يزال يعتبر مزعزعاً ، ولكن هل كانت الحاجة لطمأنة "الراجا" بشأن الأمن والأرباح هي التي بررت الوجود البرتغالي ؟

لقد تجاوز "دوارتي باتشيكو" رغبات "دوم مانويل" بما فاق كل التوقعات ، ولا شك أننا يتعين علينا أن نأخذ في الحسبان الإعجاب الذي شعر به تجاهه جميع مسجلي الأحداث حسب تسلسلها الزمني ، فقد استمرت العائلة المالكة في "كوتشين" في النظر إليه كبطل ، وانتشرت شهرة براعته العسكرية في أنحاء "مالابار" .

بوصول "لوبو سوريز" إلى "كوتشين" في الرابع عشر من شهر سبتمبر وصل الشعور بالنشاط ولا شك إلى الذروة ، فلو أنهم كانوا يعتمدون بالفعل على دقة الملاحين البرتغاليين – الملتزمين بلقاء نهاية موسم الرياح الموسمية ، لكانوا اندهشوا بدرجة أكبر في هذه السنوات المبكرة لكونهم انتصروا على عواصف محيطين ، وعلاوة على ذلك ، فإن التعزيزات التي جلبها كل أسطول جديد لم تعزز المواقع البرتغالية فقط بل عززت أيضاً دفاع حدود "كوتشين" .

قد ذهب الملك أيضاً للترحيب بـ "لوبو سوريز" عند بوابة القلعة البرتغالية ، وقد منحه الوسام ، واصطحبه ممسكاً بيده ليقوده لغرفة الاستقبال ، ورداً على مظاهر الصداقة التي أبداها الملك ، قدم "لوبو سوريز" الثناء والتقدير نيابة عن الأسطول الذي قاده ، وسلمه بعد ذلك رسالة من "دوم مانويل" ، وعشرين ألف "كروزادو" ذهبي ، تم جلبها داخل ست زبديات فضية ومعها أسلحة وأقمشة فاخرة .

بذل ملك "كوتشين" أقصى ما بوسعه ليضمن حصول البرتغاليين على شحنتهم من البهارات ، وقد عهد بترتيبات ذلك إلى "مامال" "Mamal" و"تشيريان ماراكار" "Chirian Marakar" ، وهما أبرز وأشهر تجار "مابيلا" "Mabela" في مدينة "كوتشين"[أ] .

لكن ، لأن الطرق غير المباشرة أصابها تشويش بسبب الحرب ، اتضح أن احتياطيات الفلفل لم تكن كافية لملء مخازن سفن الأسطول ، التي أصبحت سعتها أكبر من سعة مخازن سفن الأساطيل السابقة[ب] ،

(أ) يؤكد هذا إفادات "ألفارو فاز" الذي كتب يقول إن مساومة ومماحكة جرت حول البهارات ، لم تخل من صعوبة ، مع هذين التاجرين قبل وصول "لوبو سواريز" ، وإن البرتغاليين لم يحصلوا على ما يرضيهم إلى أن تدخل ملك "كوتشين" ("ألفارو فاز" إلى "دوم مانويل" ، من "كوتشين" ، الرابع عشر من شهر ديسمبر عام ١٥٠٤م ، وعن نشاطات هذين الشخصين انظر "جي . بوخون" ، "مسلمو كيرالا في فترة الاستكشافات البرتغالية" ، في مار ٢ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(ب) الحمولة الطنية الفائقة للسفن في هذه الحملة ، ونعرف من "جي . اف . أفايتاتو" - الذي لا يأخذ في الاعتبار أسطول "أنطونيو دي سالدانها" - أن أسطول "لوبو سواريز" ضم عند مغادرته "لشبونه" سفينة حمولتها ٣٠٠ طن وأربع سفن حمولة كل واحدة ٢٠٠ - ٢٥٠ طناً في حين تراوحت حمولات السفن الأخرى بين ١٠٠ و١٥٠ طناً (في "سانوتو" ، ٦/ ص ٢٦) .

وتأكدت لنا هذه الصعوبات المتعلقة بالحصول على الشحنات في تقرير إيطالي صعد إلى سفينة "سيتوبال"(أ) التي كان يقودها "ديوغو فيرنانديز بيتيرا" ، وكانت هذه السفينة - التي انفصلت عن أسطول "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" قبالة ساحل إفريقيا - وصلت إلى "كوتشين" قبل أسابيع من وصول "لوبو سوريز" .

حرصاً من القائد العام على أن يحجز لنفسه كل الإنتاج المحلي ، فقد أصدر تعليمات إلى "ديوغو فيرنانديز بيتيرا" "Diogo Ferdinand Petera" لكي يذهب ويحمل سفينته بالبهارات من مكان آخر ، ولهذا السبب ظهرت سفينة "سيتوبال" "Setupal" في "كولام" "Kulam" حيث لم تتمكن من الحصول على أي فلفل بسبب الخلاف الذي نشب آنذاك بين أمراء المدينة وملك "فيجاياناجار" ، ولكنهم وجدوا هناك القرفة والقرنفل وبعض البهارات العطرية الأخرى(ب) .

لكي يكمل شحنته ، اضطر "لوبو سوريز" إلى أن يرسل أسطولاً صغيراً إلى ميناءي "كولام"(ت) و"كايانكولام" "Kayankulam"(ث)

(أ) تقرير مجهول من "فلورنسا في إيه" . "تيكسيرا داموتا" . مذكور أعلاه ، رقم ٦ .

(ب) في المكان نفسه ، ص ٤٥ - ٤٦ . تضم قائمة أصناف حمولة شحنة سفينة "سيتوبال" ٢٣٣٤ قنطاراً من الفلفل لابد قد تم تجميعها في ميناء آخر . (قائمة عام ١٥٠٥م ، الرقم ١٤) .

(ت) يوضح "ألفارو فاز" أن هذا الأسطول الصغير تألف من "راي غراندي" و"ليتوان وفا" و"باتيكابيلو" و"جيوليوا" (ألياس "الهند") ، ١ . ج . ص ٢٥٧ ، ولا يتفق مسجلو الأحداث حسب تسلسلها الزمني على أسماء القباطنة الذين شاركوا في هذه المهمة باستثناء "بيرو أفونسو دي أغويار" الذي قاد السفينة "باتيكابيلو" .

(ث) كان الملك قد أوصى "لوبو سواريز" بإجراء اتصالات بـ"كايانكولام" وتولى التاجر النصراني

اللذين شجعت مآثر "دوارتي باتشيكو" العسكرية البطولية سكانهما على أن يرحبوا ترحيباً حاراً بالبرتغاليين .

بطرق أخرى ، كان "تريستا دا سيلفا" - الذي حارب ضد الـ "Paraos" المعادية متخفياً بفروع أنهار "كرانجانور" - قد نجح في الاستيلاء على مركب "سنبوق" ضخم محمل بالفلفل ، ويضيف "غاسبار كوريا" أن ملك "كوتشين" أضاف لهذه الغنيمة أربعمائة قنطار من احتياطياته الخاصة[أ] ، مساهماً بهذه الطريقة في أكبر شحنة حملها أسطول برتغالي في التاريخ .

قد تم تكليف "بيرو دي ميندونسا" و"فاسكو دي كارفالهو" بمهمة مراقبة الساحل حتى لا تسيطر سفينة معادية على المنطقة المكشوفة[ب] ، وشرع "لوبو" في تعزيز انتصارات "دوارتي باتشيكو" من خلال تدمير أسطول "كلكتا" التي كانت الدوريات البرتغالية تحاصرها في الخيران ، وعندما رجع "الساموري" من معتزله أعاد تجميع قواته البحرية في "كرانجانور" ، المدينة الحدودية ، التي كانت

"ماثياس" مسؤولية شحنة الفلفل من "راي غراندي" وجزء من شحنة "كاترينادياز" ("ماثياس" إلى "دوم مانويل" ، من "كايانكولام" ، الثامن عشر من شهر ديسمبر عام ١٥٠٤م) ، ونستطيع أن نوضح هنا أن "كوريا" و"كاماسر "(مذكور في الملاحظة ٧) هما الوحيدان اللذان لفتا الانتباه بشكل صحيح إلى الشحنة التي تم تحميلها في هذا الميناء ("كوريا" ١ /٢ ، ص ٥٠٦) ، ويضيف "كاَماسر" أن الأسطول واصل حتى "فيلينجام" ("بيلام") وإلى" كيب كامورين" ، ا . ج . (ص ٧٥) .

(أ) كان نصفها معفى من الرسوم .

(ب) ونعرف من أحد "الماندادو" أن "بيرو دي ميندونسا" - قائد عام هذه الحملة - واصل الإبحار حتى "كانانور" لتحميل المؤن ، في ١٣ أكتوبر عام ١٥٠٤م) أرز وسمك للسفينة "ليتوان وفا") .

سبب النزاع لقرون بين "كوتشين" و"كلكتا" ، وكان ذلك هو تحديداً موقع الخطر المباشر أكثر من غيره .

حيث تركزت قوات الغزو التي لن تتردد في الانقضاض على "كوتشين" مرة أخرى متى غادر الأسطول ، وبالاتفاق مع "دوارتي باتشيكو" ، قرر "لوبو سوريز" مهاجمة المكان ، وبهذه الطريقة حقق رغبات راجا "كوتشين"(أ) ، التي زادت خطط الحصافة كثيراً ، وكانت هناك إشاعة بأن "الساموريين" أرسل إلى "كرانجانور" خمس سفن كبيرة وثمانين من "الباراو" بقيادة الأميرال المسلم "ميمن ماراكار" الذي سينضم إليه "نامبياداري" وجيشه من "نايار" بواسطة طريق بري .

حاول "لوبو سوريز" الإفلات من رقابة جواسيس "الساموريين" ، الذين كانوا يخترقون أحياء المسلمين في "كوتشين" وأعد حملته بسرية بالغة ، وبما أن السفن البرتغالية أثقل من أن تناور في قنوات "بيريار" ، سلح القائد العام خمسة عشر زورقاً شراعياً صغيراً وعشرين "paraos" ترافقها سفينة "كرافيل" واحدة(ب) ، وقد تجمعت في "باليبات" قبل الفجر .

نجح أمير "كوتشين" وعدة مئات من رماة السهام الذين وصلوا

(أ) واحد من المقار الرئيسة للكنيسة النسطورية في" كيرالا" .

(ب) ١٥ زورقاً شراعياً صغيراً و٢٥ "paraos" تحمل ١٢٠٠ برتغالي و١٠٠ "نايار" ، "كاستانهيدا" ٩٤/١ ، ص ١٩٧ ، ١٠٠٠ برتغالي و١٠٠٠ "نايار" ، "غويس" ، ٩٧/١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٠ فقط ، "بي ام انونيماس" ، ص ١٢٢ .

إلى "كرانجانور" بالطريق البري[أ] في الانضمام لقوات "لوبو سوريز" عندما كانت الأخيرة تتعرض للهجوم بالفعل .

على رأس أسطول "كلكتا" ، قاد "ميمن ماركار" وابناه سفينتين ضخمتين ، انتهى بناؤهما حديثاً ، وكانتا موصولتين معاً بسلاسل ، وحمل "تريستاو دا سيلفا" و"أفونسو لوبيز دا كوستا" و"فاسكو أنطونيو دي سالدانها" و"بيرو أفونسو دي أغويار" فوراً على هذا الهدف ،

على الرغم من أن المدافع كانت تطلق عليهم من جميع الجهات ، وسرعان ما أحيط بسفينتي الأميرال والاستيلاء عليهما وغزوهما بواسطة القوات البرتغالية ، وقد أدى مصرع "ميمن" وابنيه سريعاً إلى دفع جنودهم إلى الهرب ، وأما السفينتان اللتان تم الاستيلاء عليهما وإشعال النار فيهما فسرعان ما تخلى عنهما المدافعون .

بعد أن أصبح الطريق إلى الشاطئ سالكاً ، أصدر "لوبو سوريز" الأوامر بالنزول وسط أصوات الأبواق وقرع الطبول .

عندما كانوا على مرمى حجر من الشاطئ ، تعرض المهاجمون إلى وابل من النبال أطلقها من جميع الاتجاهات رماة السهام الأعداء الذين كانوا يختبئون في المناطق المحيطة ، واضطروا إلى فتح طريق إلى أول منازل "كرانجانور" باستخدام "النشابيات" و"الهركوبات" (وهي سلاح ناري قديم) .

(أ) ٨٠٠ "نايار" ، "كاستانهيدا" ، ١/٩٤ ، ص ١٩٧ ، و"غويس" ، ١/٩٧ ، ص ٢٣٤ ، ١٥٠ رجلاً "بي ام انونيماس" ، ص ١٢٣ .

أما قوات "نامبيا داري" المتمركزة في هذا الحي فقد فرت عند رؤية تقدم الحرس البرتغالي ، وقد تمكنت تلك القوات من الهرب في الوقت المناسب من "دوارتي باتشيكو" و"ديوغو فيرنانديز كوريا" اللذين دخلا المدينة من بوابة أخرى ، وبدءا بإشعال النيران في أكواخ القش .

قد تخلى العدو عن ثلاث سفن ضخمة جديدة في الطريق ، فأحرقت ومعها خمسة وثلاثون من "الباراو" و"سنبوقاً" جاءت مباشرة لتعزيز الأسطول .

يستمتع مسجلو الأحداث حسب تسلسلها الزمني بأن يروا أن المدينة أنقذها تدخل النصارى الوطنيين ، الذين برزوا من المنازل المحترقة في كل أنحاء المدينة ، وجاؤوا ليتوسلوا الرحمة من القائد العام .

يؤكد مؤلف التقرير المجهول من "فلورنسا" - الذي لا يورد كلمة واحدة عن هذا الحدث - أن "لوبو سوريز" أمر بوقف السلب والنهب وإشعال النيران ، ولكن يعطي لهذه البادرة دافعاً مختلفاً عن الإبقاء على مقدسات "السيدة العذراء والحواريين" وهو :

أن "لوبو سوريز" كان سيستجيب لطلب أمير "كوتشين" الذي انزعج لمشاهدته تدمير ممتلكات "نايار كرانجانور" ، وتسويتها بالأرض ، ونضوب مصدر الجزية البالغة أربعين ألف "فانام" ، التي يتعين على هؤلاء "النايار" دفعها لملك "كوتشين" ، كما فعلوا منذ مدة غير بعيدة .

كانت لدى الأمير شجرة جوز هند قطعت كعلامة على الانتصار[أ] ، بينما كان "لوبو سوريز" يسلح عدة فرسان في كنيسة بالمدينة[ب] ، وعادا معاً بعد ذلك إلى "كوتشين" مع سفنهما وغنائمهما ، وأكدا للملك أن مدينة "كرانجانور" ستواصل من جديد دفع الضرائب[ت] .

بعد يومين من ذلك ، حضر سفراء من "راجا تانور" – وهو أقوى تابع "للسامورين" – إلى القلعة ، فلكي يتحسب ضد الأعمال الانتقامية التي كان عرضة لها جراء هذا الانقلاب ، طلب "الراجا" المساعدة من القائد العام ،

الذي أرسل إليه على الفور سفينة "كرافيل" يقودها "بيرو رافائيل" ، ولكن ، وقبل أن يصل الأخير إلى "تانور" ، كان الخطر قد تم تفاديه ، ودون انتظار عودة السفراء ، نصبت قوات "الراجا" كميناً على طريق "السامورين" الذي كان عائداً إلى "كرانجانور" مع جيشه ، وتغلب عليه ، ليتخلى عن خططه الخاصة بالانتقام .

كان الوقت آنذاك نهاية ديسمبر ، وكان موعد العودة إلى البرتغال أصبح وشيكاً ، واستأذن "لوبو سوريز" من ملك "كوتشين" ، وترك له أسطولاً من سفينتي "قرقور" وسفينتي "كرافيل" بقيادة "مانويل

(أ) أن أمير "كوتشين" أعاد شجرة جوز الهند هذه كجائزة ، وكان سيروق "للوبو سواريز" أن يحاول القيام بإنزال ثان قرب "كرانجانور" ولكن منعه هذا أمير "كوتشين" لعدم وجود أي شيء يعين الحدود بين أراضي عمه الراجا وأراضي "السامورين" ("بي ام انونيماس" ، في نفس المكان) .

(ب) تم تحديد سبعة فرسان في التقرير المجهول من "فلورنسا" .

(ت) أكد سداد الضرائب "ألفارو فاز" (رسالة إلى "دوم مانويل" ، من "كوتشين" ، ١٥٠٤/١٢/٢٤) .

تيليس" ، ولكن الملك شعر بأسف عظيم لأنه كان يفضل بقاء "دوارتي باتشيكو" في خدمته[أ] .

غادر الأسطول "كوتشين" في السادس والعشرين من شهر ديسمبر واتجه إلى "مونت إيلي" "Monte Elli" ، وكانت السفن المحملة تبحر بعيداً عن الشاطئ ، بينما كانت السفن الأخرى تبحر قريباً من الساحل ، ورافق الأسطول سفينتا "الكرافيل" اللتان قادهما "بيرو رفائيل" و"ديوغو بيريز" ، وقد أرسلتا في المقدمة لاكتشاف ملاذ أسطول "كلكتا" التجاري ، الذي كان مختفياً في واحد من الخلجان الصغيرة العميقة والوعرة على الساحل ، حتى يتمكن من الإبحار إلى البحر الأحمر فور مغادرة البرتغاليين[ب] .

(أ) لا يتفق مسجلو الأحداث حسب تسلسها الزمني هنا على تركيبة الأسطول سفينتا "كرافيل" وسفينة "قرقور" واحدة بقيادة "مانويل تيليس دي فانسكونسيلوس" وبيرو رافائيل" و"ديوغو بيريز حسب "كاستانهيد") (١/٩٦ ، ص ١٩٩) ، "ديوغو دياز" (وليس بيريز) ، و"مانويل تيليس باريتو" (وليس "فاسكونسيلوس") و"كريستوفاو جوازارتي" طبقاً لباروس (١/٧/١-١١ ، ص ٢٩٥) ، سفينتا "قرقور" وسفينتا "كرافيل" و٢٠٠ رجل تحت قيادة "مانويل تيليس" حسب "بي ام انونيماس" (ص ١٢٥) .

ونميل لاختيار نسخة "داميا ودي غويس" (١/٩٩ ، ص ٢٤١) الذي يذكر "مانويل تيليس" - الذي انفصلت سفينته عن الأسطول والذي أعاد توحيد السفن الثلاث التي شاركت في الدفاع عن "كوتشين" في السنة القادمة ، أي سفن "بيرو رافائيل" و"ديوغو بيريز" و"كريستوفاو جوزارتي" .

(ب) "كاستانهيدا" ، ١/٩٥ ، ص ١٩٨ ، "وباروس" ، ١/٧/١-١١ ، ص ٢٩٥ ، و"غويس" ، ١/٩٩ ، ص ٢٤١ ، وطبقاً للتقرير المجهول من "فلورنسا" ، كان "لوبو سواريز" يسعى قبل كل شيء لإجراء اتصال بسلطات "كلكتا" وقد تلقى تطمينات بشأن مساع حميدة رجل مسلم من "كوتشين" كان قد نقل على سفينته .

كان ينبغي على "لوبو سوريز" أن يتوقف في "بوناني" "Bonani" ، ليقابل "راجا تانور" ، ولكن خطأ لمدير الدفة أدى إلى عدم التعرف على موقع الميناء ، وتجاوز الأسطول "كلكتا" دون أي سبب يثير القلق ، عندما هوجم في الفجر في ٣١ ديسمبر[أ] بواسطة أسطول من سفن "الباراو" كانت تبحر عبر مدخل "إيلاتور" "Elattur" .

قبل البدء بتقديم تقرير عن المعركة التي بقيت شهيرة في تقاليد البرتغال[ب] ، يجب علينا أن ندرس السؤالين الرئيسن اللذين تطرحهما المعركة ، واللذين يمكن للوثائق غير المنشورة التي درسناها أن تعطي إجابة عنهما .

لا يتفق مسجلو الأحداث حسب تسلسلها الزمني مطلقاً على موقع المعركة ، ويعود هذا الاختلاف إلى حقيقة أن مديري الدفة البرتغاليين في عام ١٥٠٤م لم تكن لديهم إلا معرفة هامشية بساحل "مالابار" ، ولا سيما مياه "كلكتا" التي لم يتمكنوا من استكشافها خوفاً من أن يفاجئهم أسطول الأعداء ، وإن حقيقة عدم تمكنهم من تحديد ميناء هام مثل "بوناني" كشف ذلك الوضع .

(أ) يؤرخ مسجلو الأحداث حسب تسلسها الزمني اليوم الذي أعقب المعركة باعتباره الأول من يناير عام١٥٠٥م .

(ب) اختار "دوم مانويل" هذه الحادثة لإبرازها على واحدة من المنسوجات المزينة بالرسومات التي توضح بطولات أعمال الفتح (انظر التعليمات الصادرة عن الملك "دوم مانويل" بشأن منسوجات محددة أمر بإعدادها تجسد اكتشاف الهند وعدد من العادات المحلية وبعض الأحداث التي شهدتها الفترة الأولى من الفتح في وثيقة ، ص ٥١٧ – ٥١٨) .

تمكن مسجلو الأحداث حسب تسلسها الزمني فقط من تجميع أسماء أماكن خيالية حاولوا مضاهاتها بأسماء الأماكن المعروفة بالفعل مثال : "بوناني"و"بانتالاييني كولام" و"ضارماباتام" .

من أمر خطي وقع عليه "لوبو سوريز" في "كانانور" ، بعد أيام من المعركة ، نحصل على معلومات بأن الموقع هو "كابوكات" – حديثاً يسمى "كابات" – الواقع بين "كلكتا" و"بانتالاييني كولام" إلى الشمال من مدخل "إيلاتور" و"أغلابولا" : وهو موقع استراتيجي لافت ، إذ إن الميناء يقع في مرسى صخري تخفيه جزئياً قطعة ناتئة من خط الساحل .

من جهة ثانية ، فإن تقارير مسجلي الأحداث حسب تسلسلها الزمني ، وبالإجماع تقريباً ، لا تعطي الترتيب ذاته للمراحل الرئيسة للمعركة ، وبمقدور المرء أن يعتقد أن مزوديهم بالمعلومات كانوا مشغولين في نقاط مختلفة ، ولم يكن لديهم الوقت للحصول على منظر عام للمعركة أو لتحديد التسلسل الزمني الدقيق لمراحلها المختلفة ، وتقدم التقارير المجهولة من "فلورنسا" والمتحف البريطاني عناصر تستحق الإشادة للمقارنة .

عند إعادة تجميع البيانات المختلفة ، حاولنا أن نقدم أكثر تقرير مقبول ظاهرياً للحقائق:

كانت سفينتا الاستطلاع "الكرافيل" تبحران باتجاه "بانتالاييني كولام" عندما فوجئتا بنيران مدفعية من حوالي عشرين من "الباراو"

ظهرت من خليج صغير صخري في الساحل ، وعند قيامهما بالمناورة للرد ، اكتشفت السفينتان البرتغاليتان المرفأ الذي كان أسطول البحر الأحمر يرسو عنده .

بعد أن انسحبت الباراو عند اكتشافها حجم الأسطول البرتغالي ، أتيح "للوبو سوريز" الوقت الكافي ليدعو لاجتماع مجلس قباطنته ، الذين قرروا خوض المعركة على الرغم من عدم تكافؤ حجم القوتين المتواجهتين ، إذ إنهم ما كانوا سيرغبون في المخاطرة بفقدان السفن المحملة بالبهارات ، والتي كان يجب أن تبحر ، وبوجود ثلاثمائة وستين رجلاً على متنها ، تم إرسال السفينتين "الكرافيل" والخمسة عشر زورقاً شراعياً صغيراً وحدها إلى المعركة .

وضع أسطول "كلكتا" في المقدمة ست عشرة سفينة ذات جوانب عالية ، تم ربط كل أربع منها بسلاسل "ووضع الدفات على مقدمات السفن" وتوجيه المؤخرة نحو البر ، وسمح هذا الترتيب بتحصين مقدمات السفن ، وإنشاء عدة كتل دفاعية ، وكان على متن هذه السفن - التي كانت محملة[أ] بالفعل - جنود مسلمون ، كان غالبيتهم من رماة النبال ذوي البشرة الفاتحة .

عند مدخل المرسى كان هناك متراس تدافع عنه عدة منجنيقات ، وحيث إن قوة الرياح تراجعت ، بدأ "لوبو سوريز" في

(أ) يقول التقرير المجهول من "فلورنسا" أن أربع عشرة منها كانت محملة بالبهارات واثنتين بالفضة والذهب .

صف السفينتين "الكرافيل" مع قلة الزوارق الشراعية التي وضعها تحت قيادته .

لكن ، وفور اجتيازهم الحاجز ، هوجموا بسيل من القذائف والنبال ، وفور اجتيازهم خط النار حتى وجد البرتغاليون أنفسهم في خطر شديد : فقد انقذفت سفينة "بيرو رافائيل" الكرافيل على "سنبوق" يفوقها ارتفاعاً ، في حين انجرفت سفينة "ديوغو بيريز" – التي كان مدير الدفة الرئيس فيها – قد لقي مصرعه – وارتطمت بمنحدر صخري ،

اضطرت كلتا السفينتين إلى البقاء حيث هما ، وكانتا معرضتين حتى نهاية المعركة للسهام والرماح وسيل الحجارة التي كان محاربو الأعداء يرمونهم بها وهم يطلقون صيحات النصر ، وردت على هذه الصيحات الـ "سانتياغو" من المحاربين البرتغاليين ، الذين هاجمت زوارقهم الشراعية بأسرع ما أمكنهم التجديف إلى طرف المرسى ، بينما عمل "لوبو سوريز" على أن يتم إطلاق الأبواق .

تمثلت مهمة كل واحدة من هذه السفن في أن يصعد المقاتلون إلى متن واحدة من هذه السفن الموصولة بالسلاسل ، ورمى "تريستاو دا سيلفا" بأول خطاف وبدأ يتسلق بدن سفينته منحدراً ، ولكنه اضطر إلى أن يتخلى عنه بسبب سيل الحجارة والسهام التي كانت تسقط عليه بغزارة وسرعة ،

هاجم على الفور سفينة أخرى بدا عليها أنها غير حصينة ، في حين هاجم "دوارتي باتشيكو" و"مانويل تيليس" بارجة الأميرال المحملة في

تلك السنة بصدقات الذهب والفضة التي اعتاد المسلمون في الهند على جمعها كل سبع سنوات وإرسالها للسلطات الدينية في مكة .

كان يدافع عن بعض "التوركوز" الذين كانوا يوجهون قذائفهم على المهاجمين ، ولكن ارتداد إحدى القذائف نزع ألواحاً خشبية كاملة ، الأمر الذي أحدث فتحة اندفع من خلالها البرتغاليون ، وغزا البرتغاليون البرج وقتلوا الربان ، ونظراً إلى أن الذعر سيطر على جنود "كلكتا" فقد رموا بأنفسهم في البحر ليغوصوا سريعاً في المياه العميقة بسبب ثقل الدروع التي كانوا يرتدونها أو ليلقوا حتفهم برماح أفراد طاقم الزوارق الشراعية الصغيرة .

في الوقت ذاته ، وفي مقدمة جنودهم ، تسلق الربابنة البرتغاليون إلى أبراج السفن الأخرى ، وأدت النار التي أشعلتها بارجة أميرال الأعداء في أن تطرد المدافعين عن تلك السفن ، ونظراً إلى أن عددهم كان أقل من أن يسمح لهم بالبقاء في السفن الغنائم ، فقد تخلى البرتغاليون عنها وتركوها للنيران وأشعلوا النار في كل سفينة وقعت في أيديهم ، وعند منتصف النهار انتهى الأمر بالنسبة للأسطول التجاري من "كلكتا" الذي احترق تماماً .

انقضى باقي اليوم في معالجة الجرحى ، الذين كان عددهم كبيراً بشكل خاص على سفينة "بيرو رافائيل" "الكرافيل" ، وتراوحت خسائر الجانب البرتغالي من القتلى بين اثنين وعشرين وخمسة وعشرين ، ومن الجرحى حوالي ستين جريحاً .

فور الوصول إلى "كانانور" ، وجه "لوبو سوريز" تعليمات إلى "غونسالو جيل باربوسا" بألا يدخر وسعاً في العناية بضحايا المعركة .

٣- العودة

هناك الكثير من الملاحظات التي كتبت عليها في ذلك الوقت والتي توضح لنا جزءاً من الشحنة التي تم تحميلها في "كانانور" وتشمل : الأرز والسمك والمعدات البحرية للعودة ، ولكنها تشمل أيضاً الفلفل والزنجبيل والهيل والأدوية الطبية .

ينبغي علينا دون شك أن نأخذ في الحسبان أجزاء الأرشيف المفقودة التي حالت بيننا وبين أن نستعيد بالكامل قائمة الشحنة من "كانانور" ، ولكن ما تبقى يكفي لتحديد الدقة النسبية للأرقام التي قدمها "ليوناردو دا كاَماسر" "Leonardo da Camaser " الذي كتب يقول إن البرتغاليين جلبوا معهم عند عودتهم خمسمائة وثلاثين قنطاراً من الزنجبيل ، وفي الحقيقة فإن تسعمائة وواحداً وخمسين قنطاراً تم تحميلها من "كانانور" ، فقد ثلاثمائة وستون قنطاراً لغرق السفينة "ليتوا نوفا"[أ] .

تؤكد آخر وثيقة من هذه الوثائق ، وتاريخها السادس يناير ، ملاحظات كاتب التقرير المجهول من "فلورنسا" ، الذي كتب يقول

(أ) بوليصة شحن ، "كانانور" ، السادس من شهر يناير عام ١٥٠٥م .

إن الأسطول أبحر إلى "لشبونه" في ذلك اليوم(أ) ، وقبل مغادرة "كانانور" ، وجه "لوبو سوريز" حديثاً قصيراً إلى كل أولئك الباقين هناك ، نقله لنا "بي ام أنونيماس" بطريقة مباشرة .

تتوافق مدته مع التحليل الذي يقدمه له كاستانهيدا : أطرى القائد العام كفاءات "دوارتي باتشيكو" - الذي ذكره كنموذج - وحث رجاله على الصمود بكل السبل أمام اعتداءات أولئك الذين سيعملون على إبعادهم عن شواطئ الهند والأفضل من هذا الحديث هو أن حجم الخسائر التي ألحقها "بكلكتا" طمأنت أولئك الذين يعيشون في "كانانور" والذين يتعرضون يومياً لإيماءات معادية من السكان المسلمين .

في أول فبراير توقف الأسطول في "ماليندي" ، حيث قوبل بالهدايا والأطعمة ، وكان "لوبو سوريز" في عجلة من أمره بحيث لم يجد الوقت ليزور الملك(ب) وفضل أن يعده بأن يغير على أراضي عدوه ملك "ممباسا" ، ولكن هذه الخطة لم يتم تنفيذها أبداً(ت) ، إذ إن القائد العام رأى أنه يستعجل التوجه إلى "موزمبيق" للتزود بالماء والخشب وتصليح السفن المعطوبة في أسطول "أنطونيو دي

(أ) في المكان نفسه .

(ب) طبقاً للتقرير المجهول من "فلورنسا" ، توقف الأسطول في "ماليندي" صباح الاثنين ٢ فبراير لمدة يومين (ص ٥٠) ، و"غويس" هو الوحيد الذي كتب يقول أن "لوبو سواريز" كان "بيم فيستيادو ديل راي" (١/٩٩ ، ص ٢٤٢) .

(ت) "بي ام انونيماس" ، ص ١٢٩ ، و"باروس" ، ١/٧-١١ ، ص ٢٩٨ .

سالدانها" ، والتي تكبدت أضراراً بعد أن ظلت في البحر لفترة أطول من اللازم[ث] .

خلال ذلك التوقف ، أرسلت سفينة إلى "كويلون" لتحصيل المبلغ الإجمالي لضرائب عامين ، ولكن السفينة عادت فقط باثنين من النصارى من "تبريز" كانا قد لجآ إلى السفينة لتفادي بيعهما إلى الحاكم المحلي[ج] .

كان "لوبو سوريز" قد أرسل "بيرو دي ميندونسا" و"لوبو دي أبريو" مقدماً لتبليغ "دوم مانويل" بأنباء عودتهم ، وكانت السفينة "ليتوا نوفا" قد فُقدت بعد أن دارت حول رأس الرجاء الصالح ، وعاد "لوبو دي أبريو" وحده إلى لشبونه ، حيث ألقى مرساته في الثلاثين من شهر يونيو[ح] .

(ث) التقرير المجهول من "فلورنسا" في "تيكسيرا دا موتا" ، ص ٥٠ .

(ج) في المكان نفسه ، ونحن نفضل هنا تقرير الشاهد على تقارير مسجلي الأحداث البرتغاليين حسب تسلسلها الزمني ، وهو الذي زاره "لوبو سواريز" في "كويلون" قبل أن يتوقف في "موزمبيق" ("بي ام انونيماس" ، ص ١٢٩ ، و"كاستانهيدا" ، ١/٩٧ ، ص ٢٠١ ، و"باروس" ، ١/٧-١١ ، ص ٢٩٩ و"غويس" ، ١/٩٩ ، ص ٢٤٢) .

(ح) "كآماسر" ، "ريلازيون" ، ص ٧٤ ، "وبريولي" ، "ديري" ، ص ٣٨٥ ، ولوقت طويل لم يكن مصير "ليتوان وفا" معروفاً في "لشبونه" ، وطبقاً للمعلومات التي يعود تاريخها إلى عودة "لوبو دي أبريو" (نهاية يونيو عام ١٥٠٥م) ، كتب "بريولي" يقول : "(...) كان يخشى من أن تكون غرقت" ، وقد شاهد "لوبو دي أبريو" بقايا سفينة غارقة قرب خليج سانت . براس دون أن يتمكن من تحديد هوية السفينة ، وقد أرسل سيد "باربودو" اعتباراً من سبتمبر عام ١٥٠٥م للبحث عن "بيرو دي ميندونسا" و"فرانسيسكو دي ألبوكيرك" ، اللذين فقدا في البحر في مطلع عام ١٥٠٤م ("ريجمنتو دي سيد باربودو" ، ص ٣٤٥ - ٣٥٤ ، و"باروس" ، ١/٩-٦ ، ص ٣٨٥ ، و"كاستانهيدا" ، ٣٢/١١ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣) .

ووصل الجزء الرئيس للأسطول - أي تسع سفن أخرى - إلى الميناء في الثاني والعشرين من شهر يوليو ، وفي منتصف أغسطس عبرت سفينتان متأخرتان في الوصول - وهما "تافوريا" "Tavoria" وسفينة "سيتوبال" حاجز "تاغوس" عند عودتهما[أ] .

تمكنوا عندئذ من وضع الميزانية العمومية لحملة أظهرت أنها

وفيما يتعلق بعودة "لوبو دي أبريو" ، كتب كل من "باروس" (١/٧-١١ ، ص ٢٩٩) ، و"غويس" (١/٩٩ ، ص ٢٤٣) بأن هذا القبطان عاد قبل "لوبو سواريز" بتسعة أيام ، أي في ١٣ يوليو ، وأبطلت هذا التاريخ رسالتان من "دوم مانويل" : واحدة موجهة إلى قضاة "أوبورتو" (من "لشبونه" ، الثامن من شهر يوليو عام ١٥٠٥م ، ص ٢٥٧) ، والثانية إلى قسيس أبرشية جماعة "سانت دومينيك "(من "لشبونه" ، العاشر من شهر يوليو عام ١٥٠٥م ، ١-٥-٣١ ، منشورة أدناه ، الوثيقة ١٦ (غير مضمنة في هذه الترجمة) وتتعلق بالحقائق المذهلة أكثر من سواها عن الحملة .

(أ) طبقاً "لبريولي" وصلت واحدة (ص ٣٨٩) في ٢٦ أغسطس ؛ وطبقاً "لكاَماسر" (ص ٧٤) وصلت اثنتان في الثالث والعشرين وقد جرى تحديدهما في التقرير المجهول من "فلورنسا" الذي أوضح أن "تافوريا" وسفينة "سيتوبال" التقتا قرب الرأس الأخضر ، وغادرت الأخيرة "تيرسيرا" في ٤ أغسطس إلى "لشبونه" (في "تيكسيرا دا موتا" ، ص ٥٨) ، وعلى الرغم من الأرقام المختلفة التي قدمها مسجلو الأحداث حسب تسلسلها الزمني ، يمكن هنا تقديم بيان بالسفن العائدة من الأسطول .

فمن أصل إحدى عشر سفينة مسلحة عند المغادرة ، تم ترك واحدة - هي سفينة "مانويل تيليس" ، في "كوتشين" وفقدت واحدة - وهي "ليتوان وفا" - في البحر ، وينبغي علينا أن نضيف للسفن التسع المتبقية من الأسطول الأصلي سفينة "دوم نونو" بقيادة "أنطونيو دي سالدانها" و"تافوريا" بقيادة "روي لورنسو رافاسكو" ، اللتين انضمتا إلى الأسطول مجدداً في "أنجيدايف" ، كما فعلت سفينة "سيتوبال" التي سبقته إلى "كوتشين" ، وبهذه الطريقة يمكننا أن نوضح أن اثنتي عشرة سفينة عادت إلى "لشبونه" خلال صيف عام ١٥٠٥م .

وتشير قائمة عام ١٥٠٥م إلى ثلاثة عشر سفينة (الورقة ٣٠) وينبغي علينا أن نطرح منها "ليتوا نوفا" ، وقد قدم رقم ثلاثة عشر هذا نفسه "بريولي" ("ديبري" ، ص ٣٨٩) و"كاَماسر" ("ريلازيون" ، ص ٧٤) و"باروس" (١/٧-١١ ، ص ٢٩٩) ، ويحسب "غويس" خمسة عشر منها (١/٩٩ ، ص ٢٤٣) و"كاستانهيدا" أربعة عشر ، أي بزيادة اثنتين عند المغادرة (١/٩٧ ، ص ٢٠٢) .

كانت مثمرة بدرجة أكبر من الحملات التي سبقتها ، وأبدى بها تجار البندقية اهتماماً خاصاً .

اعتباراً من الثامن من شهر يوليو ، أعلن "جيان فرانسيسكو أفايتاتو" في البندقية أن الشحنة احتوت على كثير من الفلفل والقرفة والقليل من الزنجبيل وبعض القرنفل ، ومع وجود كمية قليلة من "تابل الماكير" ، وصل إجمالي الشحنة إلى اثنين وعشرين ألف قنطار من البهارات[أ] ، ويعطي "ليوناردو دا كآماسر" الذي عد أربعة وعشرين ألف قنطار - أرقاماً أكثر دقة[ب] .

هكذا يستطيع "جواو دي باروس" "Joao de Barros" أن يكتب أن هذه الحملة كانت "واحدة من أفضل الحملات (...) التي جرت في تلك الأنحاء" .

خلال الأسابيع التي أعقبت عودة "لوبو سوريز" و"دوارتي باتشيكو" ، شقت المراكب طريقها في الشوارع ، وأقيمت احتفالات

(أ) "بريولي" (ص ٣٨٥) ، ويضيف هذا الكاتب قائلاً : "نص عبارة باللغة البرتغالية (...) ، واستسلم تجار البندقية من الإسكندرية عندئذ لخداع السلطان "نص عبارة أخرى بالبرتغالية" . (في المكان نفسه ، ص ٣٨٤) ، وفي هذه السنة ذاتها ، وفي معرض "سانت جيمس" (٢٥ يوليو) لم يشتر الألمان أي فلفل لأنهم بالفعل أنه سيكون هناك فلفل بسعر أفضل في "لشبونه" (في المكان نفسه ، ص ٣٨٢) .

(ب) "كآماسر" ، "ريلازيون" ، ص ٧٤ . (انظر ص ١٠٣) (غير مضمنة في هذه الترجمة) . "(...) ٢٥ ألف قنطار بهارات" طبقاً "لسانوتو" (٦ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) ، وفقاً لرسالة من "لشبونه" مرسلة في ٦ سبتمبر عام١٥٠٥م من "فرانسيسكو دوناتو" ، سفير البندقية في إسبانيا ، ولم تنشر .

الشكر في جميع مدن البرتغال[أ] ، في حين وصف "دوم مانويل" مآثر قباطنته للبابا وملوك العالم النصراني البارزين . ينبغي علينا أن نأخذ بعين الاعتبار حماس معاصري "لوبو سوريز" من أجل أن نقدر قيمة أعماله .

ما من شك أن مهمته أصبحت أسهل بفضل المكانة التي حققها "دوارتي باتشيكو بيريرا" في "مالابار" ، وقد جنى "لوبو سوريز" ثمار انتصاراته ولا سيما بجلبه شحنة استثنائية ، تم تجميعها تحت ظروف اقتصادية صعبة بفضل رغبة التجار الوطنيين في البحث عن العملاء الذين يرون أنهم الأكثر قوة .

لا ينبغي أن يجعلنا هذا النجاح نتجاهل الانتكاسة السياسية التي تسببت فيها القطيعة مع "كلكتا" ، ويشكل تدمير أسطولها نهاية حرب مفتوحة ، وقد اتخذت العداوات منذ ذلك الوقت ، طابعاً مختلفاً ، وفي الحقيقة ، وخلال السنوات التالية ، لم تعد "كلكتا" تهاجم بشكل مباشر القوات البرتغالية ، ولكنها لم تتوقف عن إثارة أعمال التمرد وإقامة التحالفات إلى أن قام "أفونسو دي البوكيرك" بمبادرة السلام .

ربما أمكن تفادي سنوات الحرب العشر هذه لو لم يرفض "لوبو

(أ) "كاستانهيدا" ، ١/ ٩٧ ، ص ٢٠٢ . "دوم مانويل" إلى قسيس أبرشية جماعة "سانت دومينيك" ، من "لشبونه" ، العاشر من شهر يوليو عام ١٥٠٥م ، والرسالة نفسها إلى قضاة "أوبورتو" من "لشبونه" ، الثامن من شهر يوليو عام ١٥٠٥م ، ص ٢٥٧ .

سوريز" عروض "كلكتا" ، ولسنا في مقام الحكم على موقف يجب ربطه بالمعايير الأخلاقية التي كانت سائدة في ذلك الزمان ، وبفضل تحديد تعليماته الخطية ، نستطيع أن نؤكد فقط أن "لوبو سوريز" ، برفضه التفاوض ، لم يتصرف من تلقاء نفسه بل كان يتمسك بشدة بالأوامر الصادرة إليه من "دوم مانويل" .

أخيراً ، وعلى المستوى العسكري لا يمكن الفصل بين أعمال "دوارتي باتشيكو" و"لوبو سوريز" ، فبوجود أحدهما على البر والآخر في البحر ، أظهرا تماسكاً وشجاعة هزت النفوذ الذي تمتعت بها المجموعات الإسلامية على مدى قرون في ذلك الجزء من الهند ، وقد تمكن كلاهما من توفير ظروف مواتية لإنشاء دولة الهند التي سيؤسسها نائب الملك "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" "D . Francisco de Almeida" في "مالابار" بعد أسابيع من عودتهما إلى "لشبونه" .

وفي العام نفسه (١٥٠٤م)

كـانت رحلـة "لوبـو سواريز" "Lopo Soares" الأولـى إلـى الهـند ، فـي عـام ١٥٠٤م - ١٥٠٥م ، نهـايـة وبدايـة ، "ماريا دو روزاريو دي سامبايو تيمودو باراتا دي أزيفيدو كروز" " Maria do Rosario de Sampaio Themudo Barata de Azevedo Cruz " :(١٠)

تستند الاكتشافات البرتغالية إلى عملية استمرار ذات خواص محددة يكتسب تأكيدها اهتماماً هائلاً ، وبالتالي ، من المهم أن ندرس "الحالات الخاصة" التي وصلت إلينا لكي نحدد على نحو صحيح الطريقة التي تم تصوير هذه العملية من خلالها ، والأهداف التي قد تم توجيهها إليها .

مرة أخرى ، فإن القيود في دفتر مقبوضات ومنصرفات في "كازا دا إنديا" توضح مدى مديونية الرحلات البرتغالية في القرن السادس

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

عشر للممارسات التي كانت متبعة في جنوب المحيط الأطلسي خلال القرن الخامس عشر .

من أجل تلك الغاية ، نقترح الإشارة إلى: "Livro da receita da pimenta e despesa dos soldados do tesoureiro Goncalo Queimado ١٥٠٧-١٥١١" عام ١٥٠٧م - ١٥١١م" (كتاب مقبوضات ومصروفات الفلفل على الجنود بواسطة أمين الصندوق "غونسالو كويمادو" "Goncalo Quimado" عام١٥٠٧م - ١٥١١م) المسجل في "نوكليو أنتيغو" في الأرشيف الوطني الخاص بـ "توري دو تومبو" تحت الرقم [أ]٩٣١ .

يشير عنوان هذه الصورة المواجهة لصفحة العنوان إلى مخطوطة وسط مجموعات "فراغمنتوس" وتحمل أرقاماً رومانية ، وبعد ذلك ، وبعد بداية سهلة التحديد[ب] ، تأتي ومن وسط أكثر التحريفات

(أ) كتاب ورد ذكره للمرة الأولى في ٢٣ يونيو/ حزيران ١٩٨٣م بواسطة المؤلف في المؤتمر الدولي المخصص لـ

Os Descobrimentos Portugueses e a Europa do Renascimento, . Cf . Maria do Rosario de Sampaio Themodo Barata de Azevedo Cruz (M . R . S . Themido Barata A . Cruz), O Sistema de Distribuicao das Cargas nas Armadas da India, Col . Descobrimentos Portugueses 1", Lisbon, Instituto Nacional de Investigacao Cientifica, 1988, pp . 5, 15 ff . and 29 ff .

(ب) ابتداء من "سجل كل الفلفل الذي استلمه "غونسالو كويمادو" من خزانة مولانا الملك ومن خلال رسومه ومشترياته" (جنباً إلى جنب مع : "الموضحة في دفتر لوبو ميكسيا") ، يوجد في الإشارة الأولى : "بند ، استلم "غونسالو كويمادو" - أمين صندوق "ليونيل كوتينهو" ، قبطان السفينة "القرقور" "داي غراندي" ، ٥٤ قنطاراً و٣ أرباع و٢١ أراتل "arratel" وأوقية واحدة وزن

تنوعاً - إشارة تتعلق بالأسطول الذي يقوده "لوبو سوريز دي ألبيرغاريا" ، الذي غادر "لشبونه" في الثاني والعشرين من شهر عام إبريل ١٥٠٤م وعاد من الهند إلى تلك المدينة ذاتها بين الثالث عشر والثاني والعشرين من شهر يوليو من السنة التالية[أ] .

تبدأ المخطوطة بتلميح إلى "ليونيل كويتنهو" ، قبطان السفينة القرقور "راي غراندي" وصافي الرسوم التي تعين عليه أن يتحمل مسؤولية سدادها عن الفلفل الذي اشتراه في مقصورته ، وتعقب ذلك إشارات إلى "بيرو أفونسو دي أغويار" ، قبطان السفينة "باتيكابيلو" ، وإلى قبطان "جوليوا" "فاسكو دي كارفالهو" ، قبطان السفينة "سانتو أنطونيو" ، "فاسكو دا سيلفيرا" ، قبطان السفينة "فيروز" ، "تريستاو دا سيلفا" ، قبطان السفينة القرقور "ليتوا فيلها" ، "فيليب دي كاسترو" ، قبطان السفينة القرقور "فرانسيسكا" .

هناك حديث بعد ذلك عن "تافوريا" وعن "لوزيانو غريللو"

صافٍ" ، وهي كمية موضحة بأرقام رومانية أيضاً . سي إف . الأرشيف الوطني الخاص بـ "توري دي تومبو" (= إيه إن تي تي) ، "نيوكليو أنتيغو" (= إن إيه) ، ٩١٣ ، الورقة "١" .

(أ) تستمر المخطوطة حتى الأوراق v٩ - ٩ (الورقتان ١٠ و١١ خاليتان من أي كتابة) . من الورقة v١٣ تتحرك إلى الورقة v٢٣ التي تعود إليها بورقة جديدة ٢٠ (**) ، وهناك ، وفي عنوان وتحت قيد لنوتات موسيقية ، يمكن قراءة : "الأسرة الملكية" ، وبقلم الرصاص : "شذرات ، الحزمة ٣٢" ، وفي الورقة v٢٥ ، في الجزء العلوي ، هناك ملاحظة جديدة يقول نصها: "مضافة لدفتر لوبو ميكسيا بواسطتي ، جواو فييرنانديز" ، ويتواصل النص مع وجود ثغرة أخرى بين الورقتين ٢٨ و٤٤ ، ولا تحتوي الورقة ٥١ على أي شيء ويتواصل النص في الورقة ٥٢ ، ومن الورقة ٥٩ يقفز النص إلى ٨٠ (1***) والتي يبدو فيها شطب يستمر من لطخة حبر الكتابة (هل يشير هذا إلى مسودة؟) .

"Luziano Grillo" ، وهي من "جنوا" ، وعن مالكي سفينة "قرقور" من "سيتوبال" ، وهناك أيضاً إشارة إلى "لوبو دي أبريو" (دون تسمية للسفينة التي يتولى قيادتها) ، و"بيرو دي ميندونسا" ، قبطان "ليتوا نوفا" التي فقدت خلال رحلة العودة إلى "لشبونه" ، والإشارات إلى كل سفينة "قرقور" موضحة أدناه(أ) .

تبدأ المخطوطة بذكر السفينة "باتيكابيلو" التي حُمِّلت بثلاثمائة وثلاثة وأربعين "باهار" وتسعة "فاراسولاس" وعشرين [fees] في "كالام" ، وكانت تلك الحمولة تعادل ١,٠٨٩ قنطاراً وربعاً واحداً وعشرين وثلاثة أرباع "أراتيل" بالمقاييس البرتغالية ، وعند وزن الفلفل في "كازا دا إنديا" بلغ صافي وزنه تسعمائة وثمانين قنطاراً وأربعين و٢١,٥ "أراتيل" ، وفي الهند بلغت كلفة الشحنة ٢,٨٩٢ "كروزادو" ومائة واثني عشر ريالاً وهو ما يعادل ١,١٢٧,٩٩١ ريالاً – وتصل قيمة القنطار إلى ١,١٥٠ ريال .

يحدد شحنة السفينة "القرقور" صاحب سند ملكية بكل كمية – القبطان والمستثمرون في الأسهم والهبات ، وكاتب السفينة

(أ) إيه ان تي تي ، إن غيه ، ٩١٣ ، الأوراق ١ إلى ٣ ، وفي [نصب بالبرتغالية] (نسخة أكاديمية العلوم في لشبونه في الاحتفال المئوي الثاني لتأسيسها ، "لشبونه" عام ١٩٧٩م) ، الورقة ٧ منسوخة من هذا الأسطول تحدد كل واحد من قباطنة الأسطول .

"جنفييف بوشون" ، "رحلة "لوبو سواريز" الأولى إلى الهند (عام ١٥٠٤م – ١٥٠٥م) في "مار لوسو – انديكوم" ، المجلد ٣ –١٩٧٦م) الصفحة ٥٧ ، تلمح إلى مناسبة لاحقة تتعلق بملخص حسابات ويورد المؤلف ذاته هذا السجل للخلاصة النهائية للحسابات في عمل لاحق . سي "اف . جي . بوكون ، نافي رئي كارغيسون" . العودة من الهند في ١٥١٨م .

"القرقور" ، وموظفو وكالتي "كولام" و"كوتشين" التجاريتين ، والملاحون المحنكون ، وجنود الأسطول الأنفار الذين يؤدون الخدمة الفعلية في الهند ، وراهب وأشخاص من سفن أخرى حولوا حمولاتهم القنطارية إلى تلك السفينة ، ومدير الدفة وعريف الملاحين ، وثلاثة وعشرون ملاحاً محنكاً وضباط وفنيو مدفعية وجنود و"جلفاط" ونجار وكاتب وخادم وستة عشر من جنود الأسطول الأنفار والمساعدون وبعض أصحاب سندات ملكية صكوك الصدقات .

ينتهي السجل بملاحظة تتعلق بما يخص الملك من خلال خزانته وما تم تجنيبه للدفع لممول خارجي ، وسداد الحسابات بين أمناء الصناديق وخلاصة ما تبقى لهم بما في ذلك المبلغ المدفوع لسداد الضرائب وللأفراد بعد الاعتناء بها .

لكن ، وبعد عدة صفحات تالية ، تستمر الإشارات لشحنة "باتيكابيلو" مع ذكر ما هو مستحق "للجلفاط" ولثلاثة من جنود الأسطول الأنفار ولأربعة من الملاحين المحنكين ولعريف الملاحين "دينيس فيرنانديز" "Denis Fernandes" والمدفعي "جواو ميدينا" "Joao Medina" بالإضافة إلى مشتريات قام بها مدير الدفة والمبلغ الخاص بالحلاق ، ووفقاً للحقائق الموضحة ، فإن الإشارات للشحنات وأصحاب سندات ملكية سفن "القرقور" الأخرى تلي وسط عدة مختصرات في النص[أ] .

(أ) يتبنى السجل الترتيب التالي : "جوليوا" ، "سيرن" ، "راي غراندي" ، "ليتوا فيلها" ، "فيروز" ،

من الضروري الآن دراسة النص وتاريخ المعاملات التجارية المتعددة المقيدة في التحريفات ، ومن أجل القيام بذلك ، يجب علينا أن نلجأ إلى ما هو معروف عن زمن خدمة المسؤولين الملكيين المذكورة أسماؤهم صراحة : "غونسالو كويمادو" و"فرانسيسكو بيستانا" "Francisco Bistana" و"لوبو ميكسيا" "Lopo Mexia" و"جواو فيرنانديز" في "لشبونه" ، وإلى البيانات الأخرى أيضاً ، ونحتاج أيضاً إلى أن نعرف ما يمكن قياسه فيما يتعلق بطول مدة العقد مع البرتغاليين والمتعهدين الأجانب .

نحتاج إلى تقييم منتجات بعينها على السوق البرتغالية المرتبطة بالتجارة على الساحل الأفريقي ، ويتعلق هذا بممارسات ثابتة وبمنتجات من حياة البرتغاليين التجارية في القرن الخامس عشر ، وهي المنتجات التي كانت محفوظة خلال الرحلات عبر القارة الإفريقية ، وبعد إجراء أول اتصالات مع الهند أيضاً ، وإن الاهتمام بالأخيرة ، والذي يسود لاحقاً ، لا يستبعد الطرق والحركة السابقة .

لكن هذا لا يعني أن كل واحدة من رحلات "بارتولوميو دياز" و"فاسكو دا غاما" و"لوبو سوريز دي البيرغاريا" "Lopo Soares de Albergaya" و"دوم فرانسيسكو دي ألميدا" لم تؤد

"سانتو أنطونيو" و"راي بيكوينو" . ايه إن تي تي ، ان إيه ، ٩١٣ ، الأوراق ١٢ على التوالي (بالعودة إلى v٣٣٢) ، من ٢٠ إلى v٢٧ ، ٢٩ إلى ٣٨ ، ٤٤ إلى v٥٠ ، ٥٢ إلى v٥٦ ، ٩٠ إلى v٩٥ .

على التوالي إلى تعديلات كبيرة انتهت بالتسبب في تغييرات في الإجراءات وعلى طرق ووجهة هذه الحركة .

بالنسبة لـ "لوبو سوريز" ، وبالإشارة إلى التجارة العظيمة (وليس تطبيق) تسجيلها ، يواجهنا شكل تنظيم تجاري (لشراكة وحصص وتوزيع للأرباح) يفوق مخاطر الرحلة ذاتها في الأهمية ، في هذه الحالة المحددة في العام ١٥٠٤م - ١٥٠٥م ، التي تشمل أولئك المسؤولين من البرتغال وأولئك المعينين لوظائف محددة في المخازن والقلاع البرتغالية في الشرق(أ) .

في الحقيقة ، فإن رحلة "لوبو سوريز دي البيرغاريا" - شأنها في ذلك شأن رحلة "بارتولوميو دياز" - هي نهاية مرحلة تجريبية للوجود البرتغالي في الهند ، وتمثل إدخال قواعد وإجراءات ومسؤوليات ، كانت مطبقة بالفعل في إفريقيا ، إلى تلك المنطقة .

بالإضافة إلى هذا ، فإن الصعوبات الفنية الناشئة في مناطق الملاحة والتجارة تم التغلب عليها ، وهي المراحل النهائية في مسيرة دامت جيلاً وأول المشاريع في المحيط الهندي ، وإن الحساسية إزاء أهمية الممارسات السابقة في التجارة الهندية سمة واضحة لدى كتّاب برتغاليين بعينهم في بداية القرن السادس عشر .

(أ) من أجل وصف أشمل انظر:

Thamudo Bararta A . Cruz . o Sistema de Distribuicao das Cargas nas Armadas da India (cited in note 1), pp . 20 ff, and 29ff .

كانت ستدفع "دوارتي بيريرا" "Duarte Periera" – بين آخرين – إلى أن يقارن (في "الإزميرالدو") تقدم الاكتشافات في عهد الأمير "دوم هنريك" واكتشاف "غينيا" باكتشاف "غينيا الأخرى عند سلسلة الجبال المذكورة آنفاً (سيراليون) وما وراءها ، إلى الهند" ، عن طريق إبراز الاستمرارية وتحديد المبادرة الخاصة في الأمور العادية جنباً إلى جنب مع المهام الرئيسة للمعرفة والممارسات المنجزة لمنتجات وابتكارات جديدة(أ) .

عموماً ، فإن" جواو دي باروس" هو أول من سجل فئات المشاركة في الشحنات العائدة من الشرق ، وكان الملك سيقر هذا الحق في مواجهة الوضع الاجتماعي والاقتصادي وصعوبات توظيف مسؤولين للهند والمنافسة(ب) .

يمكن أن يقال الشيء ذاته فيما يتعلق بالشراكة التقليدية بين البرتغاليين و"الملاحين الأجانب (من مدير الدفة إلى المتلوت) ،

(أ) فسر "دوارتي" ليت الأمر بهذه الطريقة – كما يتذكر في . "ماغالهيس غودينهو" ، المجلد "٣" تنظيم وإيضاحات . . .، Descobrimentos sobre a Expansão Portuguesa ، vol– "لشبونه" ، طبعة "كوزموس" (عام١٩٦٥م) الصفحتان ٣٠١ و٣٠٣ ، المقتبسة من "إزميرالدو" ، الدفتر "١" ، الفصل ٣٣ ، سي اف . "دوارتي باتشيكو بيريرا" ، "إزميرالدو دي ستيو أوربيس" ، بقلم . . . . . الطبعة الثالثة . مقدمة وإيضاحات تاريخية بقلم الأكاديمي الدائم "داميا بيريز" . "لشبونه" ، "أكاديميا دي سينسياس" ، عام ١٩٥٤م ، صفحة ١١٧ .

(ب) "جواو دي باروس" ، "ديكادا بريميرا دا آسيا"، . . . "فيما يتعلق بالأعمال الفذة التي أداها البرتغاليون في اكتشاف وإخضاع بحار وأراضي الشرق . موجهة إلى مجلس مدينة "لشبونه" هذه" ، "لشبونه" ، عام١٦٢٨م ، الكتاب ٨ ، الفصل "٣" ، الورقة V١٥١ .

والتي تتجاوز الآن الخطوط التقليدية لمزاولة الملاحة الإقليمية والوطنية ، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من الخطوط والسفن البرتغالية تحت قيادة قباطنة معينين أو مفوضين بواسطة الملك ، ويقودهم مهنيون برتغاليون يزاولون أشكال التجارة ليس كجنويين أو فرنسيين أو بريطانيين أو "قشتاليين" أو إنجليز أو ألمان وإنما – وكما وضعها "جاك هيرز" – كأناس أطلسيين[أ] .

كانت هناك وثائق موجودة بالفعل قبل أمر عام ١٥٠٥م ، الذي يعترف بالمشاركة المنتظمة للوطنيين والأجانب في الأشكال المختلفة للتمويل والشراكة البحرين في تكوين الأساطيل وحتى في أداء الواجبات في الهند ، وستشكل هذه العناصر جزءاً من صور الشراكة الاقتصادية (حيز الشحنة وحيز المقصورة والسهم والرخصة والتفويض والهبة والحصة والشراء وصك الصدقات والتسليم . . الخ) ،

أو شكل التعويض عن الواجبات كجنود ومدفعيين وكتبة ونجارين وملاحين محنكين وجنود أفراد من الأسطول ، وهناك ذكر صريح أيضاً للأجانب الذين يخدمون في الهند : وعلى سبيل المثال ، "جواو دي سيغوفيا" "Joao de Segovia" و"جواو

(أ) "جاك هيرز" ، "البرتغاليون والجنويون في القرن الخامس عشر : المنافسة الأطلسية – المتوسطية" في أكتاس دو ٣ "كولوكيو انترناسيونال دي ايستودوس لوزو – برازيليروس" ("لشبونه"، عام ١٩٥٧م) المجلد ٢ ، "لشبونه" ، ١٠٧٠ ، ص ١٤١ .

كارامل" "Joao de Carmel" و"غاسبار بابيلان" "Gaspar Papeland" و"كورنيليس" "Corneles" و"مارتن" و"ميجيل داريفالو" "Miguel Darivalo" في وكالة "كوتشين" التجارية ، و"جواو ايسكولار" "Joao Escolar" ، في "كالام" أو "كوتشين" ، "انهيغو" "Anhego" ، وهو "جلفاط" في أساطيل الهند التي خدم فيها "جورج غريغو" "George Grego" و"كورنيليس" و"باولو جينوس" "Poalo Genus" و"بارتلوميو" و"جيرونيمو"[أ] .

لكن الأمر الذي ينبغي ذكره ، هو أن تنوعاً كاملاً للشراكة موضح في عقد ، كان ملك البرتغال طرفاً فيه ، ومارس فيه كامل السيطرة كمالك لسلطة الدولة .

بعض أشكال المشاركة في التجارة البحرية التي ذكرناها مشار إليها فقط على ذلك النحو خلال القرن السادس عشر : وعلى سبيل المثال ، "القنطارادا" "Quintalada" .

كما أوضحنا أعلاه ، فإن هذا ذكره للمرة الأولى "جواو دي باروس" كحصة من البهارات لتخصيصها لطاقم السفينة ابتداء بالشحنة الكلية لسفينة ما بالنسبة لعودة الشحنة من الهند ، وألمح لها "ماتيو دا بيرغامو" "Mathew da Bergamo" في عام ١٥٠٣م ، وتم قيدها وتحديدها للمرة الأولى فيما يتعلق بأسطول عام ١٥٠٤م – ١٥٠٥م بقيادة "لوبو سوريز دي البيرغاريا" ، مع وضع وزن البضاعة المنقولة في الحسبان .

(أ) شحنات سفن "القرقور" "سيرن" و"راي غراندي" و"ليتوا فيلها" .

لم يتغير ذلك التقليد بعد أمر الأول من يناير/ كانون الثاني عام ١٥٠٥م ، وعموماً ، وفي الوثائق المتعلقة بأسطول نائب الملك ، هناك سجل التقديرات ، وليس الوزن وإنما القيمة النقدية لحصة كل واحد ، ويبرز الجانب المالي فيما يختص بوزن الشحنة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأمر الهام هو طبيعة الـ "Quinhao" (الحصة) المستحقة لطاقم السفينة في أي عقد للمخاطر البحرية :

الحصة ، النصيب ، الـ "Quilate" (= قيراط : اسم فرنسي) أو "Carale" (= قيراط : اسم إيطالي) .

كما يعرّفها القانون التجاري البرتغالي الأول ، فإن قيمة الـ "Quinhao" يُحصل عليها "بأخذ القيمة الداخلية للسفينة كوحدة وتُقسم بين الشركاء والمشاركين أو المزاملين إلى أنصاف أو أثلاث أو أرباع أو أثمان أو الكسور التالية ، وكان هدف التقسيمات ، هو تحقيق مساواة التقاسم لتقدير الكلفة ، واستلام الأرباح وعد الأصوات في النزاعات التي يمكن أن تنشأ خلال الرحلة" .

في الحقيقة ، فإن مشاركة أطقم السفن في أرباح شحنة السفينة هي عادة قديمة ، يمكن وصفها بأنها ذات صلة بموروث الأسلاف ، وعندما يشير "فيرناو لوبيز" إليها في مقطعين من فصل في "كرونيكال أوف دوم فيرناندو" ، التي يمليها لتسجيل مبادرات الملك المتعلقة بـ "شركة السفن و . . . للطريقة التي أمر بأن تُستلم من خلالها" ، فإنه

يشير في المقام الأول إلى "أن كل شيء . . حصلت عليه السفن ينبغي أن يؤول لمالكيها وللبحارة ، كما كان الحال دائماً" .

فيما بعد ، يصر على "أنه عندما تبحر السفن وعلى متنها البضائع وتتحقق بعض الأرباح ، من أصدقاء أو بأي طريقة أخرى ، أن تلك الأرباح يجب تسليمها لسادة السفن وبحارتها الذين يكسبونها على ذلك النحو ، ويجب أن يحصلوا على حقهم كما جرت العادة ، وما ينبغي أن يحدث لسادة السفن هو أنهم يجب أن يحصلوا على النصف على أن يوضع النصف الآخر على سوق الأسهم لفائدة الجميع مع تجنيب الاستحقاق الملكي للملك ، وهو استحقاق يذهب للملك" .

ينبغي على الملك أن يحدد أيضاً شروط الحماية وغطاء المخاطر وتقسيم الخسائر استناداً إلى تقدير يقول به رجال جديرون بالثقة يتم تكليفهم بهذا كمنفذين للأمر(أ) .

كانت هذه إذاً الجوانب المبكرة لفتح "سيوتا" والتوسع في جنوب الأطلسي ، ولم تكن مفاجأة ألا يذكر مؤرخو تلك الأعمال البطولية وفق تسلسلها الزمني الأحداث بالتفصيل ، وعموماً لا يغفل "زرارة" التلميح لهذه العناصر عندما يتحدث عن الاهتمام الذي يُولى لطريقة تحميل السفن وفقاً لتعليمات الأمير .

في كثير من الأحيان يشير "دوارتي باتشيكو بيريرا" إلى أعمال

(أ) "فيرناو لوبيز" ، مقدمة بواسطة بروفسور "سلفادور دياز أرنو" ، "أوبورتو" ، "ليفراريا سيفيليزا ساو إديتورا" ، عام ١٩٦٦م ، الصفحات ٢٤٥ إلى ٢٤٨ .

صيد السمك التي تسود فيها عادات الشراكة تقليدياً ، وهي شكل من أشكال التجارة البحرية المنظمة ، وتشير النصوص البرتغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر إلى نشاط صيد السمك في "سيوتا" "Siota" ، "لاراش" "Larach" ، وهي منطقة في "مامورا" "Mamora" ، في إقليم "ساليه" "Sale " (وهو المكان الذي كان يُزار أكثر من سواه خلال النصف الأول من القرن السادس عشر طبقاً لـ "في "ماغالهيز غودينهو" "Maglis Godenho") ، "أزامور" "Azamore" ، "تيت" ، "دوكويلا" "Doquila" (وعاصمتها "سافي" "Safi" على ساحل "غوي كيب") ، وهو نشاط استرعى انتباه ملوك البرتغال وقشتالة ، وأضفيت عليه الصفة الرسمية في الاتفاقيات الخاصة بصيد السمك التي دُمجت في معاهدتي "ألكاسوفاس" "Alcacova"و"torsidias" "Torsidias"[أ] .

ترتبط نشاطات تجارية أخرى بصيد السمك : وإن "معاهدات واتفاقيات البضائع" ، نشاط دائم برأي زُرارة ، على الأقل من عام ١٤٤٨م فصاعداً[ب] ، ويعني هذا أن عادة تقسيم ربح الشحنة قديمة

(أ) يشير "دوارتي باتشيكو بيريرا" بطريقة مماثلة إلى صيد السمك بطول الساحل المغربي في الـ "إزميرالدو" (طبقة cit، ، الصفحات ٥٧ و٧٣ و١٣٨) ، ويذكر "ألبرتو إيريا" عدة أشكال للاتفاقيات البحرية لـ "ألغريف" في القرن الخامس عشر . ويتحدث "فالنتيم فيرنانديز" عن نشاط صيد السمك من تقارير تم الحصول عليها مباشرة من عام١٤٩٣م إلى عام ١٥٠٦م ، وأما بالنسبة لموضوع الاتفاقيات من عام ١٤٧٩م إلى عام ١٤٩٤م ، فإنها تستمر باقية في أشكال القرن السادس عشر .

(ب) "غوميز غينز دي زرارة" ، وينتقد زرارة ذلك "الاهتمام بربحها" .

للغاية ، ولكن يبدو أن اصطلاح "القنطارادا" "Quintalada" يظهر للمرة الأولى فيما يتعلق بالهند(أ) ، وقد تحدثنا عن "القنطارادا" ، وأما بالنسبة لتعبير "قمرة" ، أي مقصورة أو سلوقية كحيز نقل مغطى ، فإن استخدامه غير معروف في القرن الخامس عشر(ب) .

بالإشارة إلى الـ "بارتيدوس" "Partidos" ، أي التجارة عن طريق المقايضة ، يتحدث "زرارة" و"باروس" عن اتفاقيات تحت هذا المسمى للتجارة على ساحل "غينيا" ، ويقول زرارة : "ولأن جميع السفن التي تأتي من "غينيا" ؛ اعتادت التفريغ في "لاغوس" ، وكان أول من أبرم اتفاقاً مع الأمير للذهاب إلى هناك على حسابهم هم سكان تلك البلدة ، بعقد لسداد جزء مما جلبوه إلى الأمير" .

يأتي بعد ذلك وصف لحملة "لانزاروت دي لاغوس" "Lancarot de Lagos" و"جيل إينز" "Jill Eines" و"ايستيفاو أفونسو" "Estifao Afonso" و"روديغو ألفاريس" "Roderigo Alvarez" و"جواو دياز" والتي أدت – من بين أشياء أخرى – إلى اعتقال بعض الصيادين من "كيب برانكو" .

الأمر الذي ينبغي التركيز عليه هو ، ومن أجل حشد السكان وراء هدف مشترك وأمن ، أن الحل نجح لوقت طويل بمقتضى

(أ) انظر أعلاه ، الملاحظة ٨ ، وبالإشارة إلى تقسيم الأرباح ، نستطيع أن نجد الدليل في قصة معروفة على نطاق واسع عن اقتسام العبيد على شاطئ "لاغوس" .

(ب) لديه الاصطلاح "قمرة" بمعنى "قمرة دي بومبارداس" "غرفة القصف" .

الطريقة العامة ذاتها على الرغم من أن المرء يلاحظ تغييرات في طريقة التطبيق .

أما بالنسبة للـ "بارتيدوس" ، فإن الخواص التي لوحظت في عام ١٤٤٤م تغيرت قليلاً :

مبادرة الأفراد والشراكة الخاصة لأغراض التقاسم في المشاريع الاقتصادية وتقسيم الربح أو الخسارة ، وهذه سمات ملازمة للمبادرات التي يقوم بها "الملاحون" - كما اعتاد "جـواو دي بـاروس" تسميتهم - مشيراً إلى مجموعة مرافقة "لغونسالو أفونسو دي سينترا" "Goncalo Afonso de Sintra" إلى "دزيرة أرقيم" ، وموحياً بأن المجموعة لم يكن بها أحد متدرب على القيادة أو لديه وظائف سياسية أو عسكرية أو قضائية ، أو آخرون غير مطلعين على الأساس التقليدي في النقل البحري .

قد جرى فرض نشاط اجتماعي واقتصادي غالب على السمات المحددة كما يمكن استنتاجه من مبادرات كمبادرات "غونسالو باتشيكو" ، كبير أمناء الصندوق في شؤون "سيوتا" ، الذي "جلب السفن بحراً ضد الكفار" ، وهو الذي - ومع محاول بالمال ، يُدعى "ألفارو جيل" "Alvaro Jill" ، و"مافالدو" "Mavaldo" ، وهو من سكان "سيتوبال" - يجهز ثلاثة مراكب شراعية صغيرة إلى "غينيا" .

لكن ، وفي وقت مبكر تم فرض انضباط المجموعة ، وهو شيء يطالب به "لانزاروت" خلال استكشاف مدخل السنغال والمنطقة

الواقعة حول جزر الرأس الأخضر ، عندما يجمع أولئك المرافقين له ، ويقترح تقسيم الغنيمة "بطريقة تجعل كل واحد يحصل على نصيبه المستحق ويسلك الطريق الذي يراه الأفضل" ، وهو انضباط تعرض لاختبار بموجب قرار عن المضي قدماً أو العودة اتخذه "سويرو دا كوستا" و"فيسنتي دياز" و"جيل إينز" و"مارتيم فيسنتي" و"جواو دياز" .

تعود إشارات تفصيلية إضافية إلى ذلك العهد ، وكان أجنبي وهو الفينيسي "لويس دي كاداموستو" "Luis de Qadamosto" ، هو الذي وصف بتفصيل أكبر شروط الأفراد للاشتراك في الحملات ، وقد جهز هؤلاء مراكب "الكرافيل" على حسابهم وحمّلوها بالبضائع ودفعوا - بموجب العراف والقانون - عند عودتها "ربع جميع الشحنات المجلوبة من الخارج على أن تظل البقية ملكاً لهم" ،

إذا جهز الأمير السفينة وأحضر الفرد البضاعة فقط ، فعند العودة "يقسمون كل شيء أحضروه من تلك الأماكن إلى نصفين ، وإذا لم يجلبوا شيئاً ، يتم قيد الكلفة على حساب مالك السفينة"[أ] .

كانت التركيبة الاجتماعية للأساطيل متفاوتة ، ففي عام ١٤٤٥م ، هناك حديث عن مساهمة مشتركة لأشخاص من "لشبونه" و"لاغوس" و"ماديرا" و"سيتوبال" ولنبلاء ومسؤولين وتجار في مشروع تجاري ، واستمر هؤلاء في تبني شعار حملة صليبية ، وفي

(أ) في كثير من الأحيان يكون لاصطلاح "نصف حصص" واصطلاحات أخرى لأسطول "لوبو سواريز" معنى متطابقاً .

عام ١٤٤٦م استخدم البرتغاليون والأجانب - قشتاليون وجنويون نوعين من المراكب هي مراكب "الكرافيل" المغطاة وسفن الصيد غير المغطاة .

يذكر "في . إم . غودينهو" ويعلق على "كاداموستو" ويقول إن شروط الـ "بارساريا" (أي الشراكة) في رحلات القرن الخامس عشر غير معروفة ، كما أن أصل رأس المال المستثمر وحجم الأرباح غير معروف .

في ضوء التماثلات بين جوانب هامة مختلفة للرحلات التجارية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في المحيط "الأطلنطي" ، فإن هذا سبب يُعد سبباً آخر للاهتمام بالشهادة الخاصة برحلة "لوبو سوريز" ، وهي الأولى التي عرفت ظروفها وإن كان ذلك بعد خمسين عاماً[أ] .

عموماً فإن السيطرة على التجارة إلى "سيوتا" "وغينيا" و"مينا" والهند تنتقل إلى التاج ، وعقب رحلتي "فاسكو دا غاما" و"بيدرو ألفاريس كابرال" ، يعتبر أمناء الصندوق التابعون للملك الوسطاء الإلزاميين لأي شخص يتفاوض مع الهند ، ويعتبر انضباط الأساطيل واختيار الأشخاص المسؤولين عنها حقاً حصرياً للملك .

لا يمكن أن يكون هناك شك في أن هذا مشروع دولة ، رغماً من أنه لا يخص حصرياً الدولة ، به مجال للاستمرار والتجديد معاً . دعونا

(أ) M . R . S . Themado Barata A . Cruz, O Sistema de Distribuicao das Cargas nas Armadas da India (quoted in note 1) .

نتحدث الآن عن تركيبة أسطول "لوبو سوريز" ، فمن هم القباطنة؟ طبقاً لـ "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" ، فإنهم جميعاً من النبلاء والسادة ، وعلى رأسهم في "سيرن" "لوبو سوريز دي ألبيرغاريا" ، ابن "روي غوميز دي ألفارينغا" "Rui Gomez de Alvaringa" ، مستشار "دوم أفونسو" الخامس وقبطان "مينا" في عهد "دوم جواو الثاني"(أ) .

يصحبه "ليونيل كوتينهو" و"تريستاو دا سيلفا دي مينيسيس" "Tristao da Silva de Meneses" ، وسيحصل لاحقاً على براءة السيد(ب) ، و"لوبو مينديز دي فاسكونسيلوس" ، سليل "غونسالو مينديز دي فاسكونسلوس" الذي سيحصل أيضاً على براءة السيد(ت) ؛ و"فيليب دي كاستو" "Philip de Casto" ، الذي يحمل براءة نبيل(ث) ، و"أفونسو لوبيز دا كوستا" (صهر نبيل من نبلاء عهد "دوم أفونسو" الخامس ، توفي كقبطان لقلعة "موغادور" "Mogadore" الملكية خلال الكفاح ضد فاتحي الأندلس) ، وابنة قاض المحكمة ومستشار بيت قاضي القانون المدني ، "آلفارو بيريز") ، والذي سيبلي بلاءً حسناً في الهند لاحقاً(ج) .

(أ) "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" ، طبعة جديدة متوافقة مع طبعة عام ١٧٩٨م ، مع مقدمة بقلم "جواكيم فيريسيمو سيراو" ، "لشبونه" ، المطبعة الوطنية ، منت ، عام١٩٧٣م ، ص ٢٥٢ .

(ب) "إيه ان تئ تئ ، تشانسيليريا دي دوم مانويل" ، الكتاب ٧ ، الورقة ٣١ .

(ت) في نفس الكتاب ، الكتاب ٧ ، الورقة v٣٠ .

(ث) في نفس الكتاب ، الكتاب ٤٠ ، الورقة v٢٣ .

(ج) سيتم تعيين "أفونسو لوبيز داك وستا" قائداً على "مالاكا" ، وهذا متصور باهتمام ذي مستويات عدة ، ومسجل في أمانة سر "دوم مانويل" .

هناك قبطان آخر هو "بيرو أفونسو دي أغويار" ، ابن أحد أتباع شقيق "دوق براغانزا" "Duke of Braganza" ، والذي يعود معه إلى البرتغال ، وهو يتصل بصلة قرابة (عن طريق الزواج) بعائلة "تريستاو دا كونها" "Tristao da Cunha" ، ويشتهر بأنه "مطّلع للغاية" على أمور البحر ، ولهذا السبب ، سيشغل منصباً مع أولئك المرافقين للأميرة "دونا بياتريز" "Donna Biatries" إلى "سافوي" ، ولكن "أفونسو دي أغويار" سيشارك في الحملة إلى "أزامور" في عام ١٥١٣م ، وسيستدعي لجنة الخبراء ليناقش موضوع جزر الملوك .

بصفته غنياً وحامل عدة جوائز عن خدماته ، فإن زمالته مع "ماديرا" ومع "جواو فرانسيسكو أفايتاتي" تدفع "سوسا فيتيربو" "SusaViterbo" إلى فكرة كونه مواطناً من تلك الجزيرة ، والقبطانان الآخران هما "فاسكو دي سيلفيرا" - والذي كرمه الملك أيضاً بمعاش نظير خدماته ، و"فاسكو دي كارفالهو" ، وهو أحد أقارب "أفونسو لوبيز ديك وستا" وقد كوفئ على نحو مماثل[أ] ، وبالنسبة لسفن "القرقور" من "سيتوبال" ، فنحن نعرف فقط اسمي "لوزيام جريللو" الجنوي و"بيرو دينيز" .

يبحر المهنيون البرتغاليون كمديري دفة في الأسطول ، ويكون الربابنة برتغاليين في معظم الأحوال ، فما هي الخبرة التي يتمتعون بها؟ في سفينة "القرقور" الخاصة بالقبطان الرئيس يوجد مدير الدفة

(أ) إنهما متزوجان من شقيقتين .

"أفونسو لوبيز" ، الذي عينه بتلك الصفة "دوم مانويل" "لمنطقة غينيا وللهند معاً" ، وقد منحه الملك بنفسه في رسالة بتاريخ الثلاثين من شهر مارس عام ١٤٠٣م معاشاً سنوياً قدره خمسة آلاف ريال .

لابد أنه كان واحداً من مديري الدفة في أسطول "بيدرو ألفاريس كابرال" ، الذي تم استبداله في البرازيل لاستكشاف الساحل ، وأما "لويس أفونسو" – الذي سيستلم دفعة مقابل الفلفل الخاص به في الهند ، فإنه يبحر في "سيرن" كملاح رئيس و"بارتولوميو أفونسو" كعريف ملاحين .

في "راي غراندي" ، يبحر شخص يدعى "بارتولوميو دياز" كمدير دفة ، ويتلقى براءة عن خدمات أداها في الهند ، وفي "جوليوا" ، سيتلقى مدير الدفة "فيرناو لوبيز" براءة سيد من "دوم مانويل" في عام ١٥٠٨م عن خدمات أداها في الهند ، وأما "ديوغو دي أونهوس" "Diogo de Onhos" ، الذي رافق وكيل الربان ، فقد كوفئ بواسطة "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" للأسباب ذاتها .

في السفينة "باتيكابيلو" ، نال منصب مدير الدفة "جواو دي لشبونه" ، "وهو واحد من أشهر ملاحينا في الربع الأول من القرن السادس عشر" ، وهو مؤلف بحوث في الملاحة واتجاهات الإبحار ، وقد لقيت كفاءاته التقدير في شكل معاش قدره عشرة آلاف ريال في الثامن عشر من شهر مايو عام ١٥١٨م عند تعيينه كمدير دفة رئيس في عام ١٥٢١م وكملاح مستكشف رئيس للهند .

تتحدث الوثائق عن خدمة في أساطيل الهند وعن أخرى تم تعيينه مسؤولاً عنها ، وقد كان يعطي دائماً بيانات صادقة وحقيقية عن نفسه ، ولابد أنه كان الملاح الرئيس "دينيس فيرنانديز" ، وهو اسم رفيق في حملة "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" و"أفونسو دي البوكيرك" وقد عمل في سوقطرة ومسقط .

في السفينة "فيروز" يبرز "فيرناو دياز" كربان ، ومعروف أن هناك بحار يحمل الاسم ذاته بين عدد من الملاحين يقيمون في "سيوتا" ، وكان يملك سفنه الخاصة به ، وقد خدم فيها الملك على الساحل الأفريقي ، وفي حملات أخرى .

في وقت "أفونسو دي البوكيرك" يدور حديث عن اسم شخص (أو ربما كان اسمه الحقيقي) يعمل كمدير دفة في السفينة "القرقور" "راي غراندي" ، و"بيرو دي فيانا" "Pero de Viana" هو مدير الدفة في السفينة "سانتو أنطونيو" ، وفي "تافوريا" "جواو دياز" ، وقد شغل أحد سكان "أزامور" المعروف بهذا الاسم منصب مدير دفة الحاجز[أ] .

هناك رجال ذوو خبرة في تجارة الأطلنطي على الخط الممتد بطول ساحل إفريقيا والجزر ، والذين سيصبحون أول غربيين مطلعين بشكل حسن على الطرق البحرية في المحيط الهندي[ب] .

(أ) كافأه "دوم جواو الثالث" في عام ١٥٣٨م بـ ١٢,٠٠٠ ريال . "سوزا فيتيربو" op . cit . ، "١" ، صفحة ٨٧ .

(ب) تم تذكيري باسم "فرانسيسكو رويس" . هل يمكن أن يكون هو الشخص الذي يظهر كجلفاط

يزور أولئك المهنيون على نحو متكرر ومطرد الموانئ التي تزورها السفن في إفريقيا والهند والبرازيل والبحر المتوسط[أ] ، وإن اختيار الهند ليس نهائياً أو حصرياً ، و"ينسحب" البعض للخدمة الخاصة وسيخدم آخرون مرة أخرى في الموانئ الأفريقية ، وعلى خطوط البحر المتوسط ، والتي سيتم تذكرها في تاريخ لاحق للتحدث صراحة عن شؤون الشرق .

هم يتمتعون بأهمية خاصة أيضاً ، وبوظائف أخرى في تسلسل الأسطول الهرمي ، وكذلك هو حال خدم السفن المعينين بالاسم في المستندات ذات الصلة بسفن "القرقور" "راي بيكوينو"[ب] و"جوليوا"[ت] و"فيروز"[ث] و"سانتو أنطونيو"[ج] ، وفي التسلسل الهرمي

في السفينة "القرقور" "جوليوا"؟ وتتحدث الإشارات السابقة عن هذا الاسم باعتباره اسم مدير دفة يخدم في الهند خلال الربع الأول من القرن السادس عشر ، "شاب ذو مهارة عظيمة يعيش هناك ، ويعرف كيف يصنع معالم حجرية" طبقاً لقول "أفونسو دي ألبوكيرك" (كان يعرف كيف يضع خرائط مصممة على غرار خرائط مديري الدفة في جاوة) .

وسيظهر لاحقاً متذكراً تجربته في خطوط غينيا والهند زاعماً أنه إذا اضطر للخدمة في سفن "القرقور" التابعة للملك فسيفضل أن يهب نفسه كأمين سر لـ"أنطونيو كارنيرو" ، وموضحاً : "أنها ليست رغبتي أن أبحر في سفينة "القرقور" التابعة للملك للحصول على بعض المزايا" .

(أ) يبحر الجنويون معنا ، وفيما يتعلق بمصالح الجنويين بطول الساحل المغربي ، تتحدث الـ "إزميرالدو" عن القلعة الجنوية بين "ارزيلا" و"لاراش" .

(ب) "باستياو دو بورتو" مسمى .

(ت) تم تعيين "جواو فلوريس" ، في إشارة مشتركة إلى أفراد الطاقم .

(ث) تم تعيين "لوبو دي بايفا" ، في إشارة مشتركة إلى أفراد الطاقم .

(ج) تم تعيين "ألفارو لوبيز" ، في إشارة مشتركة إلى أفراد الطاقم .

العسكري يبرز وكلاء الربابنة ، وأسماء هؤلاء معروفة بالنسبة لـ "سيرن" و"جوليوا" و"فيروز" : "هنريك فيرنانديز" "Henique Fernandes" في سفينــة "قرقور" القبطان الرئيـس و"جـوساو (إينز) كوبريم" "Gosao Eines Couperim" على نحو منفرد في الاثنتين الأخريين .

ترد أسماء عدة مهنيين بشكل فردي – أطباء وحلاقين و"جلفاطين" وصانعي البراميل – وحتى الكتبة ، وهناك إشارة خاصة لزوج أساسي من الضباط في المشروع هما الوكيل التجاري والكاتب ،

هما "لوبو دي أسيكا" "Lopo de Asica" و"جوان إيستاو" في "سيرن" و"فرانسيسكو نيغراو" "Francisco de Nigrao" و"جواو غونسالفيز" "Joao Goncaalves" في "راي غراندي" ؛ و"ألفارو لوبيز" و"آرتور دي ليموس" "Artur de Limos" في "جوليوا" ؛ و"غونسالو دا سيلفا" ككاتب في "باتيكابيلو" ؛ "جواو فيرنانديز" و"كريستوفاو دي سانتي" "Christofao de Santi" في "فيروز" ؛ "جيرونيمو ماتشادو" "Jeronimo Machadu" و"دوارتي كويلهو" في السفينة القرقور "سانتو أنطونيو" .

تجلب كثير من السفن الفلفل "بالقنطارادا" أو بالحصص ، وفي عدد من الحالات يستلمون الدفعة في الهند ، ولكن التسلسل الهرمي في الأسطول ليس وحده المسجل في الوثائق التي ندرسها ، وفي الحقيقة ، فإن السجل برمته لشحنة الأسطول والسفن "القرقور" يبدأ باسم الشخص المسؤول أمام الملك (القبطان) ، وينتهي بالحسابات

المسودة بواسطة المسؤولين الملكيين في "لشبونه" ، ويلخص ما يخص الملك والأفراد بعد سداد جميع الدفعات واستلام الضرائب ، وهذا هو الذي يعزز كل الحركة بين "لشبونه - الهند - لشبونه" .

يتم هذا بحيث يبقى انسياب التعويضات المذكورة في الحسابات كنموذج من رحلة لأخرى عبر السنوات ، وكجزء جوهري من هذا التسلسل الهرمي ، فإن كبار ضباط الخزانة والملاحين وقباطنة الأسطول والقادة العسكريين البارزين - كالأميرال "دوم فاسكو دا غاما" و"دوارتي باتشيكو بيريرا" - يتمتعون بامتيازات تجارية بالنسبة لمنتجات من الهند .

لكن هناك تسلسلٌ هرمي آخر مسجل في الوثائق ذاتها : وهو التسلسل الهرمي لموظفي الملك في الهند وفي الأساطيل وعلى البر ، سواء كانوا وطنيين أو أجانب ، كما ذكرنا سابقاً ، وإذا رغبوا ، فإن لهم امتياز إرسال حصصهم إلى "لشبونه" .

في الحقيقة ، فإن كميات الفلفل الخاصة بالوكيل التجاري وكاتب "كوتشين" - وهما على التوالي "ديوغو فيرنانديز كوريا" "Diogo Fernandes Correia" و"لورنسو مورينو" "Lorenco Morino" - تسافر على الفور في السفينة "القرقور" الخاصة بالقائد العام ، وكذلك الكميات الخاصة بالضباط الثلاثة في الوكالة التجارية[أ] وثمانية عشر آخرين في مرافق مختلفة في الشرق[ب] .

(أ) وهم : "فرانسيسكو دياز" و"فيرناو بيسوا" و"نونو رويس" .

(ب) حالة "لويس غونسالفيز" ، وهو جندي في القلعة ، وأجانب مثل : "غاسبار بابيلان" و"جواو دي

تحمل "راي غراندي" "قنطارادا" سبعة عشر رجلاً آخر من وكالتي "كولام" و"كوتشين" التجاريتين ، و"قنطارادا" الوكيل التجاري وكاتبين في "كالام" ، وهم على التوالي "أنطونيو دي سا" و"لوبو ريبيلو" "Lopo Rebello" و"روي دي أروجو" "Rui de Arogo" – و"قنطارادا" وكيل "كانانور" التجاري ، "غونسالو جيل" ورجل من الوكالة التجارية ، و"قنطارادا" عمدة "كوتشين" "إيريس لوبيز" "Aires Lopez" "وقنطاردا" اثنين من العسكريين من القلعة ذاتها ، وأخيراً الكميات المستحقة لقبطان السفينة "الكرافيل" "سانتا هيلينا" و"قنطارادا" مدفعييها وخمسة من جنود الأسطول الأفراد الذين كانوا يقيمون في الهند .

يحدث الشيء ذاته في السفن الأخرى التابعة لأسطول "لوبو سوريز" ، وتجلب "ليتوا فيلها" الحصة الخاصة باثني عشر رجلاً – بمن فيهم المدفعيون – من وكالة "كوتشين" التجارية ، وشحنة جماعية خاصة بتسعة وعشرين رجلاً بقوا مع الأسطول في الهند ، والمحددة المملوكة لاثنين من الموظفين على السفينة "كونسيساو" ولجندي فرد في الأسطول وللوكيل التجاري ولكاتبين من "كوتشين" ولصيدلي ولطبيب ولاثنين من موظفي الوكالة التجارية وجزء مما كان يخص وكيل "كانانور" التجاري .

سيجوفيا" و"جواو كراميل" ، بالإضافة إلى مدفعيين أجنبيين من السفينين الكرافيل "سانتا مارتا" و"كونسيساو" وثلاثة ملاحين محنكين (اثنان في الأولى وواحد في السفينة الكرافيل المذكورة الثانية) .

بالنسبة للسفينة "راي بيكوينو" "Ray Piquino" فهناك إشارة واحدة إلى استحقاق "ايستيفاو إينز" ، ربان السفينة "الكرافيل" "سانت هيلينا" ، الذي سيستلم دفعته في الهند ، وجلبت "بايتكابيلو" "قنطارادا" سبعة رجال من وكالتي "كالام" و"كوتشين" التجاريتين وهناك إشارات أيضاً إلى ثلاثة أشخاص سيتم الدفع لهم في الهند (رجل دين واحد ورجلان من الوكالة التجارية) .

جلبت "جوليوا" أيضاً الكمية الجماعية المملوكة لخمسة رجال سيتم الدفع لهم في الهند و"قنطارادا ماتيوس" "Quintarada Mathius" ، وهو مدفعي في السفينة "الكرافيل" "كونسيساو" "Concisao" في الهند ، وأخيراً ، خصصت "فيروز" الدفعات في الهند إلى كاتب السفينة "القرقور" وذكرت أيضاً حصة شهادات اثنين من جنود الأسطول الأفراد اللذين يخدمان في السفينتين "الكرافيل" "سانتا ماريا" و"كونسيساو" في الهند .

وها هو سجل النقل إلى المحيط الهندي لهيكل تسلسل هرمي شبيه بالهيكل المستخدم في المحيط الأطلنطي ، ووضع قواعد للخطوط البحرية : مشروع مترابط يظهر في لحظة الملاءة المالية للأسطول في أول رحلة "للوبو سوريز دي البيرغاريا" إلى الهند .

قد حان الوقت للنظر إلى الطريقة التي من خلالها يتم تمثيل أقاليم البرتغال المختلفة والممالك الأوروبية الأخرى في رحلة "لوبو سوريز" ، وفي الحقيقة ، إن الأجانب مذكورون جنباً إلى جنب مع

البرتغاليين كضباط كبار وكأصحاب رتب أخرى في هذا الأسطول الذي جمع بين الرجال المقاتلين الأكفاء والمسلحين تسليحاً جيداً .

بالتركيز حصرياً على الإشارات إلى أولئك الذين انضموا بالفعل إلى أسطول "لوبو سوريز" ، واعتماداً على الإشارات التراكمية إلى نوعين من أفراد الطاقم تم فحصهما على نحو منفصل في الوثائق :

يتألف الأول من عرفاء الملاحين و"جلفاطيين" ونجارين وصانعي براميل وملاحين محنكين وجنود ومدفعيين ووكلاء ربابنة ورماة "بالنشابيات" وكتبة وخدم ونافخو البوق وصيادلة وأطباء وحلاقين وبائعي تبغ ورجال دين ، ويتألف الثاني في معظمه من جنود الأسطول الأفراد الذين يشكلون أساس البيانات المضمنة في الجداول التي ننشرها في ملحق .

هكذا ، فإننا نعرف أن بين الوطنيين في الفئة الأولى رجال من "فيانا" ("سيرن" و"راي غراندي") ، كما فعل أولئك من "الفاما" ("سيرن") و"براغا" (جوليوا) و"تشافيز" (باتيكابيلو) و"فاريو" (فيروز) و"أوبورتو" "O porto" (سانتو أنطونيو)[أ] ، وبالنسبة للفئة الثانية فإن تخصيص أسماء الأماكن أكثر عدداً وتنوعاً – وفيها يظهر رجال من "مونكورفو" "Monkorvo" (سيرن) و"تشافيز" "Chavez" ("سيرن") و"فيانا" (سيرن) و"بيجا" (سيرن) و"إيرس" (سيرن) و"أوبورتو"

(أ) تشير المعلومات إلى رجل واحد في كل مركب ، وهناك إشارة أيضاً لرجل اسم أسرته "بريتو" ("سيرن") .

(سيرن" و"فيروز) و"لاميغو" "Lamigo" (راي غراندي) و"لاغوس" (راي غراندي و"ليتوا فيلها" واثنان في "فيروز" و"لشبونه" وردت أسماؤهم صراحة فقط في "راي غراندي") و"توريس" ("ليتوا فيلها") و"ليريا" ("ليتوا فيلها" و"فيروز") و"ليسا" (يتوا فيلها وفيروز) و"فيا ريال" (في "سانتو أنطونيو") و"باسوس" "Pasus" (سانتو أنطونيو)(أ) .

ماذا عن الأجانب؟ أنهم يبرزون على نحو مماثل في الفئتين والوضع موضح سفينة بعد سفينة : تحمل "سيرن" التابعة للقبطان الرئيس عشرة مدفعيين أجانب من أصل مجموعة تضم أحد عشر (والغالبية ألمان ، وواحد من هولندا ، وتركي ، زائد اثنين من الألمان أحدهما بحار أول والآخر كاتب) ، ورجل من فرنسا ، وآخر من شبه الجزيرة ، وأما فيما يتعلق بجنود الأسطول الأفراد فهناك واحد من بلاد الغال وآخر يرجح غالباً أن يكون أجنبياً .

في الفئة الأولى ، يوجد على "راي غراندي" عدة موظفين ، تسعة أجانب (ستة مدفعيين ألمان ورجل من "إسبانيا" و"فيزيليانو" و"ميساردو") ، وفي الفئة الثانية ، خمسة جنود أفراد (اثنان يحملون الاسم "لهانيس" "Lehannes" وواحد من "سانتياغو" ، "نيكولاو" و"جنوي" و"أمادور") ، ويوجد في "ليتوا فيلها" مدفعي أجنبي وبحار محنك "جيمس" "James" ، وجندي فرد "رومانو" "Romano" ، وفي

(أ) علاوة على هذا ، يظهر هناك بحار محنك هو "فوسيم" (في "جيوليوا") وعدة بحارة يحملون الاسم "نيغرو" (في "سيرن" و"ليتوا فيلها" و"باتيكابيلو" وثلاثة في "جيوليوا") و"بيرتو" ("ليتوا فيلها") .

الفئة الأولى ، في "جوليوا" يوجد أربعة مدفعيين أجانب وواحد من "بسكاي" "Pesky" وواحد "غاسكوني" وواحد من البندقية .

تضم "باتيكابيلو" في طاقمها نجاراً إنجليزياً ومدفعياً ألمانياً وجندياً فرداً وهو أجنبي على الأرجح ، وفي الفئة الأولى ، يذكر سجل السفينة "فيروز" - علاوة على رجل من الغال - المدفعي الأول واثنين من المدفعيين الأجانب (من بينهما رجل من "بروغ") وفي الثانية رجل من أراس ، يدعى "سيريغوي" "Serguiy" وآخر يدعى "ألكتراز" "Alkatraz" ورابع ، وهو أجنبي على الأرجح ، وتحمل السفينة "سانتو أنطونيو" أيضاً مدفعيين أجانب .

من جهة ثانية ، وفي السجل والتعليقات الخاصة بالدفعات في المخطوطة التي ندرسها ، فإن تنوع المشاركة الإقليمية الذي تكشفه أسماء الأماكن يضاهيه تنوع الأقاليم المذكورة عند تقسيم أرباح الرحلة (وإلى أين تتجه) ، وفي رحلة "لوبو سوريز" "كان هناك الكثير من البهارات إلى حد أنه كان هناك فائض كبير ، كما قال "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" .

أما بالنسبة للاهتمام الزائد في البرتغال ، أكد "ماغالهيس غودينهو" محاولة رأسمال المساهم البرتغالي السيطرة على الحركة الاقتصادية عن طريق رفض الأجانب .

دعونا أولاً نتحدث عن أرباح أولئك الأشخاص الذين ذهبوا

في الرحلة ، وفيما يتعلق بالقبطان الأول ، فإن الدفعات تسدد من خلال "توري دي مونكورفو" و"أوبورتو" و"بيرا" و"لشبونه" .

أما بالنسبة "لتريستاو دا سيلفا" ، قبطان "ليتوا فيلها" ، فسيستلم حصة من الأرباح على ضريبة إنتاج النبيذ ، في (مفتشية الأوزان) في "لشبونه" والأزور على عقود "أرقيم" وجزيرة "سانتياغو" ، في حين أن حصة أخرى ستذهب إلى "بواركوس" "Poircos" و"ليريا" و"ألينكوير" و"بيدريرا" "Pedriera" و"أوبيدوس" "Opedus" ودار جمارك "أفيرو" "Avero" ،

وعن العبيد"[أ] ، هناك حصة أخرى سيتم تسليمها إلى "جواو فرانسيسكو" ولدفع ثمن السكر المشترى من الجزيرة ، ويحدث الشيء ذاته للفلفل المشار إليه في "جوليوا" في سفينة "فاسكو دياز" "القرقور" وفي "باتيكابيلو" .

في هذا الصدد يرد ذكر "جواو فرانسيسكو أفايتاتي" ، وهو تاجر مشهور وممثل "لشبونه" لأسرة رجال الأعمال من "كريمونا" "Crimona" ، وفي الربع الأول من القرن السادس عشر ، عمل على تأمين عقود للتجارة مع الهند[ب] ، ولكن اسم "بيرو أفونسو

(أ) كان "تريستاو دا سيلفا" يحضر معه حصة أخرى من الفلفل بالتقاسم مع مدير الدفة "جواو دي ليسبوا" – وسيتم الدفع عنها في الهند .

(ب) Prospero Peragallo, Cenni intorno alla colonia italiana in Portogallo nei secoli XIV, XV e XVI, New ed . Genoa, 1907, pp . 27 ff . Virginia Rau, "Affaitati", in Dicionario de Historia de Portugal, dir . Joel Serrao, vol . I/A-C, Iniciativas Editoriais (1975), pp . 33-34 .

دي أغويار" ، قبطان "باتيكابيلو" ، مذكور مع مكان الدفع : مزارع السكر في الجزيرة[أ] .

إن شراكة أصحاب حقوق الملكية في الفلفل ، الذين سافروا أيضاً في الرحلة[ب] ، تسدد في الهند ، ونورد مثال القبطان "ليونيل كوتينهو" ، وهي كحالة "جورج دي سيلفيرا"[ت] و"مانويل تيليز"[ث] و"دوم مانويل بيريرا" ، نجل "كونت فيرا" "Conte de Vera"[ج] و"ألفارو فاز" "Alvaro Vaz" ، شقيق "ايستيفاو فاز" "Estifao Vaz"[ح] .

أما بالنسبة لحصة "دوارتي باتشيكو بيريرا" وحصة "الأميرال فاسكو دا غاما" ، فهي شحنات كانت مرسلة من الهند إلى "لشبونه" ، وقد حدث هذا مع الموظفين والبحارة والرجال ، الذين كانوا يخدمون في القلاع والوكالات التجارية أو في الأساطيل ،

(أ) الدفعات من عام ١٥٠٦م إلى عام ١٥٠٧م ، ولذلك السبب هناك ملاحظات "سوزا فيتيربو" . انظر أعلاه ، الملاحظة "٣" .

(ب) مرة أخرى ألفت الانتباه إلى الحالات العديدة للمشاركين بفعالية في الرحلة والذين لا يعرف أين تم الدفع لهم (وعلى الأرجح في الخزانة) ، وكمثال من بين أمثلة كثيرة ، "لوبو دي أبريو" ، باستثمار بحصة في "فرانسيسا" وفي "باتيكابيلو" .

(ت) هل هو كبير الياوران وكبير خدم الأمير "دوم فيرناندو" الذي يذهب في "سيرن" .

(ث) "مانويل تيليس دي فاسكونسيلوس" ، مالك سند ملكية فلفل في "راي غراندي" و"ليتوا فيلها". انظر الملاحظة التالية .

(ج) هو مالك سند ملكية فلفل بالاشتراك مع "مانويل تيليس في ليتوا فيلها" .

(ح) لتمييزه من كاتب الوكالة التجارية الذي يحمل الاسم ذاته . "ان ايستيفاو فاز" كاتب الخزانة الملكية ، ويملك "ألفارو فاز" حق ملكية فلفل في "ليتوا فيلها" .

والذين أرسلوا أرباحهم عرضاً إلى البرتغال عن طريق أسطول عام ١٥٠٥م(أ) .

من بين المستفيدين من الفلفل المنقول ، برز "بارون ألفيتو" و"دوم مارتينهو دي كاستيلو برانكو" "D . Martinho de Castello Branco" ، وهما من كبار موظفي الخزانة ، على الرغم من أنهما لم يقوما بالرحلة بنفسيهما ، والأول ورد ذكره في سجلات سفينة "القرقور" الخاصة بالقبطان الرئيس ، "سيرن" ، في حين ورد ذكر الآخر في السفينة "باتيكابيلو" .

سيتم الدفع للبارون عبر الخزانة ، وأما "دوم مارتينهو" فإن دفعاته مقيدة في "سيلفيز" وفي مناطق صيد التونا في "كويمبرا" و"سيسيمبرا" ، هناك موظف آخر مرتبط بهما ، وهو كاتب الملك ، "بانتالياو دياز" "Pantaliao dias" ، ولديه فلفل في شكل حصص في السفينة "سانتو أنطونيو" – ولا أتحدث هنا عن الكتبة والوكلاء التجاريين في سفن "القرقور" بالهند ، فقد ورد ذكرهم بالفعل أعلاه .

من بين الممولين الأفراد ، يوجد الرأسمالي البرتغالي "روي مينديز" – الذي يضمن الشراكات وسط أفراد الطاقم في سفن "القرقور" "سيرن" و"راي غراندي" و"ليتوا فيلها" وفي رحلات أخرى أيضاً(ب) .

(أ) يفوض "دوارتي باتشيكو" مساهمته ومساهمة خادمه "سيماو أندريد" في "راي غراندي" ، "فاسكو دا غاما" في "باتيكابيلو" .

(ب) هو سليل "روي ميندیز دي فاسكونسيلوس" (سيد "فيغويرو وبيدرغاو" ، قائد أول "بيناماكور" ، وقد اشتهر بدفاعه عن "سيوتا") ، ويبقى في الوطن ، وزوجته هي "دونا مارغاريدا كارنيرو" وهي ابنة أمين سر الدولة "انطونيو كارنيرو" . "دوم انطونيو كايتانو دي سوزا" .

هناك "دونا إيزابيل بيريرا" زوجة "هنريك دا سيلفيرا" ، وهي نبيلة صاحبة ممتلكات واسعة في "ريباتيجو" ومالكة حق الملكية في العديد من الاستحقاقات والبدلات(أ) ، و"فيرناو تشامورو" الذي تلقى دخلاً من السفينة "فيروز" لإسهاماته في رحلة "تريستاو دا كونها" .

أما بالنسبة لرجال الأعمال الأجانب ، فإن "أفايتاتي" ليس الوحيد الذي ورد ذكره ، وفي الحقيقة ، فإن سجلات "سيرن" و"راي غراندي" و"جيوليوا" تذكر "بارتولوميو" و"ليوناردو" وتلمح في إحدى الحالات إلى تعاملات بكميات كبيرة من الفضة مع عدم تضمين النحاس في العقد لعدم ضرورته ، وهما المشهوران "فلورنتين" "Florentine" و"مارشيون" "Marchion" على قدم المساواة مع الوطنيين في تجارة السكر في "ماديرا" .

دعونا نتذكر الجنوي "لوزيام غريلو" الذي جلب ، مع "بيدرو دينيز" من "سيتوبال" ، وعلى حسابه الخاص ، ٢,٣٣٣ قنطاراً و٣ أرباع و٣١,٥ أراتل كوزن صاف من الفلفل ، ودفع عنه ٦٧١ قنطاراً و٣ أراتل كضريبة على أساس ٤٪ و٥٪ ، بما أن الفلفل كان معفى من "الفنتسنا" (جزء من عشرين) ، وهذه كمية كبيرة ، بما أن المعروف أن إجمالي شحنة أسطول "لوبو سوريز دي ألبيرغاريا" بلغ عداً أقصى قدره ٢١,٥٠٨ قناطير و٢٦ أراتل و١٣,٨٨٧ أوقية(ب) .

(أ) إشارة إلى هبات من "أزامبوجا" و"ألبامينهل" و"سانتا إيريا" .

(ب) السمات العامة لتحميل الأسطول في "كوتشين" وكالام ، ويتفاوت السعر الفعلي بين ١.

يترك هذا سجل المؤسسات الدينية التي يتم توجيه صكوك الصدقات إليها من أربـاح الفلفل القادم في "راي غراندي" و"باتيكابيلو" و"سيرن" : وهذه للكنائس الصغيرة في "نوسا سينيورة" و"الميزيريكورديا" "Almezirecordia" و"نوسا سنيورز دي إيسبيرانسا" "Nusa Senhora de Esperanca" في "كالام" ، و"سانتا ماريا دي غواديلوب" "Santa Maria de Guadelope" و"سانتا ماريا دي غراسا" "Santa Maria de Graca" و"نوسا سينيورة دي بيليم" "Nusa Senhora de Bilim" و"ميزيريكورديا" في "لشبونه" .

خاتمة

توفر سجلات الرحلة الأولى لـ "لوبو سوريز دي البيرغاريا" إلى الهند (عام١٥٠٤م – ١٥٠٥م) بيانات هامة لتحديد الثوابت في سلوك فئات اجتماعية متعددة ، مشاركة في التجارة البحرية في المحيطين الأطلسي والهندي خلال السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، وفي العلاقات مع التاج ، وفي أشكال الشراكة البحرية وأشكال التمويل وداخل إطار عمل المشاركة الأجنبية .

بما أنها غير معروفة بهذا المعنى ، فإن السجلات الأولى لها قيمة لا تعوض ، مع ذلك ، فإنها تمثل مرحلة مؤكدة بالفعل في الرحلات التجريبية ، ويتقدم "لوبو سوريز" في ذلك الاتجاه مستمراً في الشروط

٠٩٨ و١,١٥٠ ريال للقنطار . "ام . آر . إس . ثيمودو باراتا إيه" . "كروز" ، أو "سيستيما دي ديستريبيويساو داس كارغاس ناس أرماداس دا إنديا" (ورد في الملاحظة ١) ص٣ ، الملاحظة ٤ .

التجارية التي تفاوض عليها "فاسكو دا غاما"، ومستفيداً مما تحقق من مكاسب من تجربة "كابرال" و"جواو دا نوفا" و"أفونسو دي البوكيرك" في "كوتشين" و"كالام" و"كانانور" .

من عام ١٥٠٤م إلى عام ١٥٠٥م تعين تطبيق تسهيلات وترتيبات أساسية ، ليس فقط في الأمور السياسية والعسكرية ، وإنما في شروط التجارة أيضاً ، وعموماً ، فإن الكثير من البنية السابقة تم الاحتفاظ به ، وسيكون ضرورياً أن يدرس - كما جرت المحاولة في الحالة الحالية لأسطول "لوبو سوريز" - سلوك أسطول "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" والفئات الاجتماعية ومصادر التمويل وإشراك المساهمين الأجانب وصياغة مقارنات ، ولكنها مهمة تتجاوز نطاق هذا التعليق .

أول رحلة لـ "لوبو سوريز" .

الخريطة "١" : أصل أفراد طاقم أسطول "لوبو سوريز" (عام ١٥٠٤م - ١٥٠٥م) .

"أراز" = "أراس"

"جينوفا" = "جنوا"

"فينيزا" = "فينيسيا" (البندقية)

"غاسكونها" = "غاسكوني"

"بسكايا" = "بسكاي"

"غاليزا" = "غاليشيا"

"كورسيغا" = "كورسيكا"

"إمبيريو أليماو" = الإمبراطورية الألمانية .

الخريطة ٢ : أصل أفراد طاقم أسطول "لوبو سوريز" (عام١٥٠٤م – ١٥٠٥م)

الوطنيون .

"سيرن"

	البرتغاليون	الأماكن		الأجانب
القبطان الأول	١			
مدير الدفة	١			
بحار أول	١			
عريف الملاحين	١			
وكيل تجاري	١			

	البرتغاليون	الأماكن		الأجانب
كاتب				"جوان إيستاو"
ربان المركب				
البحارة المحنكون والجنود	٤٩	١ فيانا	١ "مستر جورج"	
			١ "الفامو"	١ "جيرارتي" "Jerarti"
			١ "بريتو"/	١ "كولومبار" "Columbar"
				١"فيليس" "Philis"
				١ هولندي
				١ "بيرنالديز" "Bernaldes"
				١ "نابال" "Nabal"
				١ فرنسي

	البرتغاليون	الأماكن		الأجانب
				١ تركي
جنود أفراد	٢١		١ "مونكورفو"	٢ غالين
			١ "كويمبرا"	١ زنجي (من البندقية)
			١ "تشافيز"	
			١ "فيانا"	
			١ "بيجا"	
			١ "سانتاريم" Santarim	
			٢زنجي	
			١"براغانسا"	
			١ "إيف"	
			١ "أوبورتو"	
			١ "بنين"	

	البرتغاليون	الأماكن		الأجانب
النوتية المساعدون	٢		١ "زنجي"	

"راي بيكوينو"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الأول	١		
مدير الدفة			
بحار أول			
عريف الملاحين			
وكيل تجاري			
كاتب			
ربان المركب			
بحارة محنكون وجنود			

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
جنود أفراد نوتية مساعدون			

"راي غراندي"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الرئيس	١		
مدير الدفة	١		
بحار أول			
عريف الملاحين			
وكيل تجاري	١		
كاتب	١		
ربان المركب			
بحارة محنكون وجنود	٢٤	١ "فيانا"	إسبانيا
جنود أفراد نوتية مساعدون			"فيزيليانو" Visiliano

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
			"ميكاردو" Micardo
			٦ مدفعيين
جنود أفراد	١٧	١ "أمادور"	٢ "لهينز"
		١ "لاميغو"	١ "سانتياغو"
		١ "لاغوس"	١ غالي
		١ "لشبونه"	١ جنوي
نوتية مساعدون	٢		

"ليتوا فيلها"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الأول	١		
مدير الدفة			

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
بحار أول			
عريف الملاحين			
وكيل تجاري	١		
كاتب			
ربان المركب			
بحارة محنكون وجنود	٢		١ "إينز فريس"
			مدفعي
			١ "جيمس"
جنود أفراد	١٨	١ "بريتو"	١ "رومانو"
		١ "توريس"	١ "دييغو "دي توريس"
		١ "زنجي"	
		١ "ليريا"	
		١"لاغوس"	
		١ "ليتشا"	
نوتية مساعدون	٢		

"جيوليوا"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الأول	١		
مدير الدفة	١		
بحار أول			"دييغو دي أنهوس"
عريف الملاحين			
وكيل تجاري	١		
كاتب	١		
ربان المركب	١		"دييغو دي رادا" "Diego de Rada"
بحارة محنكون وجنود	١٧	١ براغا	١ "بسكاياني"
			١ "كورسيكي"
			٣ مدفعيين
			١ وكيل ربان
جنود أفراد	٧	٣ زنوج	١ فرنسي
			١ "بسكاياني"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
			١ "غالي"
			١ "غاسكون"
			١ "فلنسي"
			١ "فوسيم"
نوتية مساعدون			

"باتيكابيو"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الأول	١		
مدير الدفة	١		
بحار أول	١		
عريف الملاحين			
وكيل تجاري			
كاتب	١		

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
ربان المركب			
بحارة محنكون وجنود	١٨	١ "تشافيز"	١ "جلفاط إينز"
			١ وكيل ربان
			١ إنجليزي
			نجار
			١ "هنريك بونا" "Henrique Bona"
			مدفعي
جنود أفراد	١٥	١ زنجي	
نوتية مساعدون	٢		

"سانتو أنطونيو"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الأول	١		

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
مدير الدفة	١		
بحار أول			"أفونسو بريانو"
عريف الملاحين			
وكيل تجاري	١		
كاتب	١		
ربان المركب	١		
بحارة محنكون وجنود	١٥	١ "أوبورتو"	١ مستر
			"رودريغو"
			١ "مارتن"
			مدفعي
			١ "هنريك"
			مدفعي
جنود أفراد	١١	١ "فيال ريال"	
		١ "باسوس"	
نوتية مساعدون			

"فرانسيسكا"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الرئيس	١		
مدير الدفة			
بحار أول			
عريف الملاحين			
وكيل تجاري			
كاتب			
ربان المركب			
بحارة محنكون وجنود			
جنود أفراد			
نوتية مساعدون			

"فيروز"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
القبطان الأول	١		

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
مدير الدفة	١		
بحار أول	١		
عريف الملاحين			
وكيل تجاري	١		
كاتب	١		
ربان المركب	١		
بحارة محنكون وجنود	١٧	١ "بيرو دو فام" "Pero do Fam"	١ وكيل ربان
			"إينز كوبريم" "Aines Couprem"
			١ "فيلر"
			مدفعي
			١ "غالي"
جنود أفراد	٥	٢ "لاغوس"	١ "أراس"
		١ "أوبورتو"	١ "سيريوغي"

	البرتغاليون	الأماكن	الأجانب
		١ "أفيرو"	١ "ألكاتراز"
		١ "ليريا"	
		١ "ليتشا"	
نوتية مساعدون	٢		

وفي العام نفسه (١٥٠٤م)

بعث "ألفارو دي ميندوزا" "Alvaro de Mendonca" رسالة للملك في الثامن من شهر يناير ، عام ١٥٠٤م : [١١]

السنيور ، من "دياجو بوتيلهو" "Diago Botelho"،

كتبت لسموك كيف كنت في طريقي لأخدم "الروميز" "Rumes" ، الذين كانوا محظوظين بعدم انتظارهم لنا ، لأنني أشهد لسموك أنه وبالنظر للأهداف ، فإن الرجال يعتزمون العمل بجهد في هذا الأسطول بقدر الإمكان ، وكان لهم الحصول على النصر ، كما أشهد أيضاً لسموك إن كان لنا في هذه البلاد من شخص ما يمكن له حكمنا كما يجب لكنا أيضاً في خدمتك ، وعلى سموك النوم قرير العين إن لم يكن لنا أي قصور .

الحكام أنفسهم هم "الروميز" ، على البلاد وعلى الأفـراد

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

المواطنين الذين يخدمون فيها بالمثل ، إن كان عليهم إطلاع سموك بأن "الروميز" هم مثل "الكويز" "Coes" ، اسأل أي شخص ليقول ذلك ، وكيف رأى ذلك أو من جاء بتلك الأخبار أو من أي مكان حصل على معلوماته ، لأنني أعتقد تماماً أنه لن يستطيع بيان ذلك ، لأنهم بعد أن تسيدوا في "ديو" ، لن يمكن لأحد أن يقول أين كانوا مصممين على ذلك .

لا يمكن قول من ذهب خلفهم حتى يجبرهم على الدخول في بوابات المضيق ، لأنه حالما سمع نائب الملك أنهم قد قاموا بذلك من بعد "ديو" ، قام بتفكيك الأسطول وذهب كل في مكانه – الأمر الذي نعتبره خطأ ، لأننا ما عرفنا أنه كان عليهم الخروج من البحر والتوجه نحو "غوا" بعد أن كان على نائب الملك أن يذهب إلى "ديو" أو إن كانوا سيدخلون إلى نهر في "مالابار" أو الذهاب نحو هرمز ، التي كان من الممكن لهم القيام بذلك بما أن الرياح كانت مواتية .

إذاً بما أن شيئاً لم يحدث حتى ذلك الوقت لم يتم أي شيء بناء على ما تستحقه خدمة سموك كما علمت من الرجال الذين يذهبون إلى هناك ومن أولئك الذين ظلوا هنا ، لأنه من المؤكد أنه لا يبقى أحد هنا يمكن أن تكون له منافذ للمغادرة ، وليس هذا بسبب الهروب من خدمتك ، لكن حتى لا يروا أشياء تصب في عدم خدمتك لأننا لم نتوقع نحن الذين نخدمك هنا أنه عليك أن

تبعث لنا هنا رجلاً يسيء لنا ليحكي قصص الهند هذه ، وتلك هي الأفضال والإكراميات التي نتلقاها يومياً منه .

السبب في رغبتنا للمغادرة من الآن ، بسبب أنه ومنذ وصوله إلى هنا أخبرنا بأنه لن يبدي أي استحسان لما تم ، لكن فقط لأولئك الذين جاء بهم معه وهذا ما أكتب لسموك بشأنه ، حتى لا تكون هناك مفاضلة وتحامل ، لكن فقط قول الحقيقة ، من بين أشياء أخرى ورثتها من أجدادي السابقين ، وسأفعل أكثر من أشياء تتعلق بخدمتك ، وسأفعل دائماً ذلك ليس بمفردي ، لأن سموك سيرى ذلك من العديد من الرسائل الأكثر تفصيلاً وطولاً ، تحدثت عن نائب الملك الذي وصل للهند ، وهو يذكرنا دوماً أنه جاء لإنقاذها .

بناء على الأخبار التي تلقيتها من قبل ، فهي تبدو في أنه جاء ليحطمها ، لأنه من الأشياء التي وبخ بها نائب الملك "نونو دا كونها" أنه لم يكن معه أسطول جاهز ، لكن عندما وصل نائب الملك في العاشر من سبتمبر لم يكن هناك أي شيء يرسو في البحر سوى سفينة صغيرة والمركب الشراعي "ريس ماجوس" ومركبين محطمين ، كانت تعود في السابق لملك "كامباي" .

اليوم في هذا التاريخ الثامن من يناير ، بالرغم من التقرير الذي يفيد بأن "الروميز" يمكن أن يأتوا خلال أربعين يوماً من "الكويز" إلى هذا الساحل ، وبصورة أسرع من "أديم" "Adem" التي يستولون عليها ، لأنني أشهد لسموك أنه بهذه الطريقة ، فإن نائب الملك غير

مستعد وأكثر تجاهلاً للأمر وكأنه في البرتغال دون أن تكون معه سفينة أو مركب ، وتلك التي هنا لم يتم إصلاحها .

لا يوجد خشب لإصلاح المركب الشراعي الكبير ولا مقطورة ولا زفت كاف ، ولم تكن موجودة حتى خلال كل فصل الصيف ، ومستودع الأسلحة ومحل الحدادة في "غوا" لم يصنع ولا مسماراً واحداً ، وهذا ليس بسبب عدم حديثنا عنه ، نحن الذين تملؤنا الرغبة في خدمة سموك ، وفي هذه الدولة ، كما أخطرت هو الوضع هنا ، وإن لم تبعث سموك بأي مساعدة سيضيع كل شيء .

أخشى كثيراً مما يقوم به نائب الملك هنا أكثر مما سيقوم به "الروميز" أنفسهم ، لأن سموك إن احتفظ بهذه البلاد ، فإن المواطنين على قناعة بأنك ستؤمنها ضد "الروميز" وكل الآخرين ، حمداً لله أن معنا "نونو دا كونها" ، لأنه كان بمثابة الأب لكل المواطنين النبلاء ، وعلى سموك أن يكون مرتاحاً وكل من يقول أمراً مخالفاً ، فذلك بسبب محبتنا لكل ما هو رائع هنا ، ولأننا لم نكن قانعين أبداً مما عندنا من خير حتى جاء الشيطان ، وبهذا فإن عدالة الرب سترى سموك الأمر بهذه الصورة .

بعد وصول تلك السفن ولأن لا شيء سيبقى بعد وصول "الروميز" ، فإننا عاهدنا أنفسنا وكنا محقين ، فإنه لا أحد هنا يمكن أن يتحمل إقراضنا ولا حتى نائب الملك سيدفع لنا ، وهناك سيطلعون سموك بأن نائب الملك محب للمال ، فلا تصدق ذلك لأنه رجل

بضمير حي ، وعندما وجد العائدات المالية التي حصل عليها "نونو دا كونها" لسموك أنها سحبت بصورة خاطئة وأنها جمعت أيضاً بصورة خاطئة ، ومنها في "ديو" ، ورغبة من الجميع قدم للمسلمين ثلثين من رسوم الجمارك .

عندها تأكد لملك "كامباي" إن نائب الملك سيفعل كل ما سيطلب منه ، وسمح له عندها بحصار "باسين" "Bacakym"؟ ، وأن يجمع إيجارات الأراضي التي كان من الممكن لنائب الملك جمعها هناك بإرسال خمسمائة رجل في أغسطس يقومون بحراسة من يحصلون الضرائب ، وهذا ما توقعنا جميعا أن يقوم به ، لكن دون معرفة كيف ومتى ودون استشارة من أي أحد هنا ممن يتولون شؤون الأمور أمر بنصف "باسين" لملك "كامباي" ، ولن يأخذه منه وضحك عليه .

أجاب أنه سيفضل بدلاً القلعة وبأن يؤجر له الأراضي ، وهكذا كل شيء يصبح تحت تصرفه ، وكذلك في "دابال" حيث فقد ابنه "دوم ألفارو" مركبه ، لا أدري في هذا الأمر إن كان قد أخذ منه ألف جوال من القمح وقدر أكبر من الأرز - الحصة التي كان يدفعها كجزية ، وأمر أن كل برتغالي عليه التقدم إلى هناك يجب أن يدفع رسوماً وهو مالم يتم من قبل ، وبالمثل قام بإجراء تعويضات أخرى ورسوم لم تكن في خدمة ومصالح سموك ، لأن كل شخص كان يكتب القليل لك حتى تعرف حقيقة كل شيء .

كنت على وشك المغادرة هذه السنة ، ووصل "أمريكو دي سوزا"

إلى هناك ، وقال إن ذلك أمراً مستعجلاً في خدمة سموك ، وأنه عليَّ البقاء في الهند ، عليه بقيت هناك ، طالما أن الأمر يصب في مصالح خدمتك وأقول ذلك حتى تفكر في منحي ثقتك وفضلك لسنة واحدة وأن تتفضل بذلك ، وأرجو أن أنال ثقتك كخدمة لي ومن أجل والدي وأتلقى الفضل منه ، الذي أسأل الرب أن يعم الرخاء به بدولته الملكية .

من "كوتشين" في الثامن من شهر يناير للعام ١٥٠٤م .

التوقيع : "ألفارو دي ميندوزا" .

وفي العام نفسه (١٥٠٤م)

بعث "بيرو دي أتايد" "Pero d'Ataide" ، من "موزمبيق" "Mozambique" ، في يوم العشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٠٤م ، برسالة إلـى الملك : [(١٢)]

سيدي،

سوف يعلم سيادتكم أنه بعد مغادرة قائد الأسطول "الأدميرال فيسنتي سودر" "Vicente Soudre" (رحمه الله) ، رحلنا إلى "رأس غاردافوي" ، استولينا في الطريق على سفينة "سنبوق" ، محمّلة بالفلفل والسكر وعدد من الأشياء الأخرى ، وحينما وصلنا إلى "رأس غاردافوي" استولينا على سفينة ، وبعد مرور عدد قليل من الأيــام استولينا على ثلاثة . حمل أربعة منهم أسلاباً كثيرة ، قــمــاشاً ، وسكــراً ، وأرزاً ، وبضــاعة أخرى مثل القرنفل من

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

"باتجان" "Batjan" واللبان الجاوي والكافور وأنواع أخرى عديدة من البضائع .

كان ما حدث لهم ، سيدي ، عندما تم القبض عليهم هو هذا : احتفظ بهم "براس سودر" "Bras Soudre" في الخلف من سفينته دون المزيد من تفتيشهم لأيام عديدة مثلما أحب حتى حمل ما أراده منهم ، وبعد ذلك تم تفتيشهم ، ولذلك لم يجد فيهم شيئاً أبداً ، فيما عدا بالات كبيرة لم يتم وضعها في خزانة أو صندوق كبير ، لم يجد شيئاً ذا قيمة على الإطلاق ، وجدت البالات مفتوحة .

بالإضافة إلى هذا ، سيدي ، عندما احتفظ خلف سفينته بسفينة من "شول" ، احتوت على مواد غذائية جيدة ، لكي يستطيع أن يأخذ منها مثلما أخذ من كل السفن الأخرى ، أمر بأن يتم إصدار طلقات النيران للتحية من على المقدمة ، التي لم يفعلها من قبل أبداً في كل الرحلة ، فقط في تلك الليلة .

بينما كان الجميع محتشداً من أجل التحية ، أرسل زورقه إلى السفينة المذكورة التي احتفظ بها خلف سفينته مع "أنطونيو كاميلو" وصبي ورجل زنجي من عنده ومرشد سفينة "شول" الذين قد احتفظ بهم في سفينة ، وأحضروا منها بالتين اثنتين من العمائم المصنوعة من قطع قماش من الحرير .

نقلت ، سيدي ، بعضاً من هؤلاء من سفينته فيما بعد تحطمها ، زيادة على الأشياء الأخرى التي تم حملها بسهولة ، وعدد كبير

من الأشياء التي قد تم سرقتها ، وقال موظفه وربان السفينة أن هذه الأشياء لم يتم إدخالها في سجل سيادتكم ، وكذلك بالمثل أشياء عديدة أخرى لدرجة أنه حمل كما أحب لأن لا أحد يجرأ على أن يمنعه وسمح له شقيقه بأن يفعل أي شيء .

من هناك رحلنا إلى جزيرة "كوريا موريا" ، لأن "فيسنتي سودر" لم يرغب في أن يقضي فترة الشتاء في "بربرة" أو "زيلع" بحجة أنه أراد أن يصلح سفينة "الكارافيل" على البر حينما وصلنا إلى "كوريا موريا" ، أوقفنا على الشاطئ سفينة "الكارافيل" ، وبعد عدد قليل من الأيام هدأت الريح الغربية ، وأخبره مسلمو الجزيرة أنه ينبغي أن يرحل لأنه من المحتمل أن تهب ريح قوية أخرى .

أجاب بأن لديه أسلاكاً (كابلات) حديدية ، ولكن المسلمين قالوا بأنه يجب أن يذهب بعيداً على الفور ، لأنه حتى لو كانت من الأسلاك فإنها لن تكون قوية لكي تقف في مواجهة العاصفة ، وأن الريح جلبت أمواجاً عالية ، وأنه يجب عليه أن يتصرف بشكل حسن لكي يذهب في الحال .

في اليوم التالي ، سيدي ، كانت هناك ريح قوية جداً ، وكان البحر أكثر هياجاً لدرجة أن سفينة "فيسنتي سودر" تم دفعها نحو الشاطئ ، وبعدها تلك السفينة التي مع "براس سودر" مع الصاري المحطم ، على الرغم من أن كلاً منهما معه ست كابلات في المقدمة .

أراد الله أن أعاني فقط من صاري محطم ، مع اثنين من الكابلات فقط في المقدمة ، لكي أساعد وأنقذ الناس من السفن المفقودة الذين تمكنوا من الفرار .

في الليلة التي ذهب فيها "براس سودر" إلى الشاطئ ، أمر بأن يتم قتل مرشد السفينة المسلم الذي قد أرسله إلى السفينة التي أجبرها على السير خلفه عندما استولى على البالات ، وأمر أيضاً بموت مرشد السفينة القادمة من مكة التي قد استولى عليها قائد الأسطول ، كان هو الأفضل في كل الهند والأكثر ضرورة لسيادتكم ، وأعتقد أنه الشخص الذي أحضر "فرانسيسكو دي البوكيرك" ، الذي يعرف قدراً كثيراً عن بلاد الهند .

بعد فقدان السفن ، سيدي ، وموت "فيسنتي سودر" ، حدثت أشياء عديدة لدرجة أن سيادتكم سوف يعرف من رجال كثيرين ومني بتفصيل أطول إذا أراد الله ، آخذاً بعين الاعتبار ما هو مناسب لأفضل مصالحكم ، وغير واضع في الاعتبار أشياء أخرى عديدة كانت تلح عليَّ في حينها ، فإن عدداً من الرجال كانوا يتجولون على البر بطريقة مثيرة للفوضى ، جمعت مائة وخمسين منهم ووزعتهم فيما بين سفن "الكرافيل" طبقاً للعدد الذي استطاعت أن تحمله كل واحدة .

بعد تقسيم الجنود ، ذهبت مع جميع الموظفين و"رودريجو رينال" وأمرتهم أن يفتحوا مخازن السفينة وسجلت الخبز والمؤن التي تحتوي

عليها ، ثم أمرتهم بعد ذلك أن يقتسموا فيما بينهم كل الخبز والأرز والمؤن الأخرى التي كانت هناك ، وأيضاً المال من أجل دفع الأجور طبقاً للرجال الذين يوجدون لديهم ، فيما عدا ، ما احتفظت به في سفينتي . عندما تم تقسيم جميع المؤن أخبرتهم أن يأخذ كل منهم نصيبه العادل ، حيث لا يوجد الآن شيء متروك لكي يتم اقتسامه ، بعد أن تم عمل هذا التقسيم كنا هنا لمدة شهرين مع طقس سيئ .

حينما كنا مستعدين لكي نرحل ، غادر "فيرناو رودريجيز" /٢٦٤/ قبل يوم واحد لأن الريح كانت قوية ولم تستطع المراسي أن توقف السفينة . لم أكن في خطر شديد ولكنني غادرت في اليوم التالي ، حينما كنا فعلاً في ذلك الوقت نعيش على كميات قليلة من المؤن لبعض الوقت .

عندما كنا قريبين من "كانانور" بدأت أحصل على كثير من الأرز ، ومستمراً في الإبحار نحو "كانانور" ، وصلت إلى هناك في اليوم الذي سبق وصول "فرانسيسكو دي البوكيرك" ، أعطيته عشرين "فارضون" من الأرز ، وصندوقين من البارود وسبع عشرة قطعة من المدافع" ، وأعطيت أيضاً إلى القلعة والسفن الأخرى . بعد أن قرر "فرانسيسكو دي البوكيرك" ورتب بأن "أنطونيو دو كامبو" وأنا يجب أن نذهب سوياً إلى البرتغال لأننا كنا محملين معاً .

بالضبط عندما كنت على وشك أن أغادر أخبر "أنطونيو دو كامبو" "Antonio de Campo" بأنه يجب أن يقلع ، وأنني يجب أن

أبقى لبعض الأيام . طلبت منه بأننا ينبغي أن نذهب معاً ، لأننا كنا مستعدين وكان ذلك من أجل مصلحتكم كثيراً ، سيدي ، ألا تمر السفن والبضاعة بأية مخاطرة . تم تقديم هذا الطلب بشكل علني من قبل "ألفارو فاز" أمام عدد كبير من الشهود ، أعطاني إذناً بأن أغادر عندما قد تم ذهاب "أنطونيو دو كامبو" لمدة أسبوع واحد ، وذهبت إلى "كانانور" ، حيث وجدت "أنطونيو دوكامبو" ، صلت إلى هناك في يوم الأربعاء ورحلنا في يوم الأحد التالي قبل طلوع النهار .

كان السبب في (لماذا أخبرني) و(لم يرسل كلانا معاً) هو من أجل التقدم بعريضة للحصول على منصب "فيسنتي سودر" ، كان كل فرد طامعاً فيه كما سوف يرى سيادتكم في رسائلهم ، وبخاصة "نيكولاو كويلهو" ، لأنه كان أكثر صداقة مع "أنطونيو دوكامبو" .

كان مسؤولاً عنا بألا نغادر معاً ، وأن يذهب "أنطونيو دوكامبو" قبلي ، لأن "أنطونيو دو كامبو" ترك مائة "كروزادو" مع "نيكولاو كويلهو" ، كما سوف يعرف سيادتكم من "فرانسيسكو بيربرا" ، كـاتب ومسؤول إبحار هذه السفينة ، ومبلغاً كبيراً آخر تركه في الهند ، مثلما سوف يعلم سيادتكم من موظفيكم .

كان كل هذا المال وأكثر زيادة على ذلك في سفينة استولى عليها "أنطونيو دو كامبو" ، هذه التي اعتبرها هو غير مهمة وفعل القليل بشأنها ، ولكنها كانت مفيدة في خدمتكم ، كما سوف يعرف سيادتكم من كل طاقم هذه السفينة . عندما وجدته في "كانانور" ،

اقترحت عليه بأننا يجب أن نبحر إلى البرتغال معاً ، وافق ولكن في ذات صباح بعد أن غادرنا "كانانور" ، قبل أن نأتي إلى المياه الضحلة لدى "بالا" ، خرج عن طريق السير مبتعداً في الخلف منا .

حينما رأيت هذا ، لكي أرى لماذا كان فاعلاً ذلك ، ولم ينتظرني ، ولذلك أمرت بأن يتم إطلاق طلقة من مدفع السفينة ، وبعد ذلك انتظرني ، ثم لحقت به ، وسألته ماذا كان فاعلاً؟ قال إنه كان مغيّراً طريقه في هذا البحر ، وعندما سألته مرة ثانية لماذا ، رد /٢٥٦/ بأنه قد كان منتظراً لي وأنني لم أرد التحدث إليه ، ولذلك لم يرد أن يرافقني .

ثم سألته كيف كنت مستعداً لكي أضمن بأنه أراد أن يتحدث إليَّ لأنه لم يقم بأية إشارة ، وأن الطريق الذي كان يسلكه لم يكن طريقاً جيداً بسبب المياه الضحلة عند "بالا" وأننا يجب أن نذهب في اتجاه الغرب طوال ذلك اليوم لكي نتجنبها . قال : لا ، وإنني أردت أن أذهب إلى "غاردافوي" ، وسألته مرة ثانية ، مخبراً إياه أننا لم نفقد شيئاً بالإبحار تجاه ناحية الغرب في ذلك اليوم ، ولكنه لم يفعل ذلك .

سألت مرشدي عما إذا كان يعتقد أنه صحيح أن يفعل مثلما كان يقوم بفعله "أنطونيو دو كامبو"؟ وقال : لا ، إننا يجب أن نذهب غرباً طوال ذلك اليوم ، ولذلك ذهب "أنطونيو دوكامبو" في طريقه وذهبنا نحن في طريقنا كما نصحنا المرشد . يمكن لسيادتكم أن

يعرف عن هذا من موظف السفينة والشخص المسؤول عن إبحارها ومن عدد كبير من الأشخاص الآخرين .

كانت الأرض الأولى التي أبصرناها هي "كلوة" ، ومن هناك أبحرنا على طول الساحل في اتجاه "موزمبيق" ، ولسوء حظنا التعيس تحطمت السفينة في يوم السابع والعشرين من شهر يناير ، على مسافة عشرين أو خمسة وعشرين فرسخاً ، من "موزمبيق" ، وجدفنا نحو الشاطئ في الزورق في ثلاث رحلات ، لأننا لم نمتلك أي قارب . كان هناك في المكان الذي نزلنا فيه أربعة أو خمسة بيوت عند المسلمين ، وجميع الناس الذين بداخلها هم من الزنوج .

استطعت أن أرى أنه لا يمكننا أن نذهب جميعاً إلى بر السلامة في الزورق ، وأخبرت الرجال بأنهم يجب أن يمكثوا في ذلك المكان ، وأنني يجب أن أغادر إلى "موزمبيق" لكي أجد لهم مساعدة .

تحدثت إلى المسلمين أولاً ، مخبراً إياهم أن رجال سموكم يمكنهم أن يمكثوا هناك ، وأنني يجب أن أذهب إلى "موزمبيق" لكي أجد سفن "سنبوق" لنتوجه لإحضارهم . أقسم المسلمون أنهم سوف يعتنون بهم إذا ما تركت لهم بعض المؤن لمدة خمسة عشر يوماً ، وأخرجتهم من داخل السفينة .

بعد ذلك انطلقت مع خمسة عشر من الأشخاص ، لأنه لم يأت معي آخرون في الزورق ، معتقدين بأنني ربما أكون في حالة أسوأ منهم ، ولحسن الحظ وصلنا "موزمبيق" ونزلنا ، وذهبت لكي أتحدث

إلى الشيخ ، مخبراً إياه عن سوء حظنا وطلبت منه أن يخدم سموكم بإرساله بعض سفن "السنبوق" لهؤلاء الناس الذين تركناهم خلفنا . أنجز المهمة في خلال يومين وأرسل سفن "السنبوق" إلى هناك .

ذهب معهم اثنان من رجالنا ، المرشد و"بيرو دي أزيفيدو" ، ابن أخت "فيسنتي ألفاريز" ، الذي كان معي ، وهما في الطريق لكي يلتقطا الرجال الذين تم تركهم خلفنا ، قابلا "أنطونيو دو كامبو" الذي كان في طريقه إلى "موزمبيق" .

أخبراه عن خسارتنا ، وقالا إنه يمكن أن يكون شيئاً حسناً إذا ذهب إلى هناك بالسفينة ، أو أن يرسل بشكل آخر قاربه لكي يجمع الناس والمدافع أيضاً ، لأنه مضى عليهم فقط خمسة أيام منذ أن تركناهم /٢٦٦/ ، أجاب "أنطونيو دو كامبو" إنه لا يمكن أن يفعل هذا أيضاً ، لأن الذهاب في ذلك الاتجاه يمكن أن توجد فيه ريح معاكسة ، وكان على مسافة عشرين فرسخاً من المكان المفقود .

بعد هذا لم يستطع أن يدخل "موزمبيق" لمدة خمسة أيام ، وما زال غير قادر على الذهاب من أجل الرجال . بعد أن دخل "موزمبيق" طلب منه موظفكم "فيرناو بيريرا" أن يفعل ذلك مرتين أو ثلاث مرات ، ولكنه لم يقبل أن يفعل ذلك .

سيدي ، كان من الواضح أنه لم يكن قبطانكم ، لأنه إذا توقع أية مكافأة أو كرماً من سيادتكم لأمكن له أن يتصرف بشكل مختلف .

لذلك سيدي ، أؤكد لكم منذ ذلك الوقت لمدة ثمانية أو عشرة

أيام لم نحصل أبداً على شيء منه ولا أي مؤن أيضاً مما أحضرها في سفينته أو مما اشتراها من على البر ، على الرغم من أننا كنا نعاني من الجوع ونعيش على إحسان المسلمين ، الذين كان لديهم شفقة بنا أكثر منه .

طلبنا منه أيضاً أن يأخذنا جميعاً معه إلى البرتغال ، ولكنه قال إنه يستطيع فقط أن يأخذ أربعة أو خمسة أشخاص ، ورأينا كيف كان متلهفاً لكي يفعل تلك الأشياء في خدمتكم ، وأيضاً بسبب مرضي الشديد قررت أن أبقى مع الآخرين . يقوم "أنطونيو دو كامبو" بإحضار اثنين أو ثلاثة من الرجال معه ، هؤلاء الذين اصطحبتهم معي والذين بدأ في تحويلهم إلى المسيحية ، وأحضرهم عندئذ كمسيحيين لكي يصحح أخطاءه ، وسوف يعطيهم إلى من رغب فيهم .

لا تصدق شيئاً ، سيدي ، حتى نأتي جميعاً إلى البرتغال ، وسوف يخبرك "فرانسيسكو بيريرا" والكاتب والمسؤول عن إبحار السفينة بتفصيل أطول عن كل المسائل الماضية والحاضرة إذا طلب سيادتكم ذلك .

من خلال معاملته لي ... يتصرف "أنطونيو دو كامبو" كما لو كنت خادماً غير وفي وغير برتغالي ، وليس واضعاً في الاعتبار أنني رجلكم ، ولا مرضي الخطير ، وهو الآن يأخذ بالقوة مترجمي الخاص ، على الرغم من أنه يوجد لديه اثنان في سفينته وثلاثة أو أربعة آخرون من الذين

تحولـوا إلـى المسيحية ، ولن يأخذ أحداً آخر . إنني لم أقدم إلى سموكم تقريراً عن الرجال الذين تركتهم لأن "أنطونيو دو كامبو" لديه سفينة هناك لكي يقدم تقريراً إلى سيادتكم .

الآن سيدي ، أروي لسيادتكم عن بعض الخدمات التي قد قدمتها إلى سيادتكم ، إنكم سوف تتذكرون ، سيدي ، كيف تحدث إليَّ سيادتكم عند مغادرتي من البرتغال ، واعداً إياي أن تفعلوا كثيراً لي لدرجة أنني لم أحمل حسداً لوالدي أو أقربائي ، بالإضافة إلى الخدمات العديدة لوالدي وأجدادي ، فإنني قد خدمتكم وأنني لست غير مستحق أن يظهر لي سيادتكم الأفضال التي قد وعدتم بها ، لذلك سيدي ، أذكركم بتسمية الخدمات المذكورة :

أولاً : حينما أبحرت مع "بيدرو الفاريس" ، كانت المكافأة التي أعطاني إياها في مقابل ما فعلت ، وفي مقابل الموافقة على الذهاب مع "فيسنتي سودر" ، وأيضاً ، سيدي ، لأن سموكم /٢٦٧/ أرسل "جواو سيراو" "Joao Serao" كقبطان تابع ، الذي كان منفياً عن البرتغال والذي لم يعش معنا ، والذي لم يكن مناسباً لخدمتكم بشكل أكثر مني .

لم تزل خدماته أقل في مقابل الخدمات التي قد أديتها ، أيضاً سيدي ، لأنني أحضرت إليكم رجالاً وقطع مدفعية من السفن المحطمة بمخاطرة فردية عظيمة لكي أخدم سيادتكم بإرادتي ، ومع الرجال الذين أحضرهم فعل "فرانسيسكو دي البوكيرك" ما فعله .

لقد كان من المستحيل أن نشن الحرب أو أن نبني القلعة بدون الرجال الذين أحضرتهم ، وأدى هذا إلى سلام "كلكتا" ، بالطريقة التي هي الآن .

أن تمنحوني المرتب المستحق لي ، وبعد ذلك أستطيع أن أسدد بعض الديون التي عليَّ ، ويجب أن أنفق البقية على نفسي حتى لا تكون نفسي محملة بالأعباء أثناء قيامي بأداء خدمة سموكم .

سيدي ، لا تصدق أي سوء عني حتى تعرف من رجال غير "أنطونيو دو كامبو" وثلاثة أو أربعة رجال معه ، الذي لم يعر أي اهتمام لطلباتنا المقدمة باسمكم ، كما لو كان قبطاناً لم يتوقع شيئاً من سموكم ، والذي أخبر موظفه بأنه يجب ألا يترك السفينة ومنعه من الاستجابة للطلبات ، والذي يفكر في نفسه أكثر من أي شيء آخر .

سوف يعرف سيادتكم عن هذا من "فرانسيسكو بيريرا" والضباط الحاليين في السفينة .

حُررت في "موزمبيق" ، في يوم العشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٠٤م .

"بيرو دي أتايد" .

(مكتوب على ظهرها) لعناية الملك ، سيدنا ، من "بيرو دي أتايد" .

وفي العام نفسه (١٥٠٤م)

بعث "ألفارو فاز" "Alvaro Vaz" ، من "كوتشين" "Cochin" ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٠٤م ، رسالة إلى جلالة الملك "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" جاء فيها : (١٣)

سيدي،

طلب مني جلالتكم أن أقدم تفاصيل عن كل مكان على طول ساحل المحيط الهندي حتى "ملقة" ، محدداً المنتجات الأفضل التي تأتي من كل مكان وأسعارها .

لسوء الحظ ، بين مغادرة أتباع "البوكيرك" ووصول "لوبو سوريز" في يوم الرابع والعشرين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٠٤م ، لم يوجد لـديَّ وقت لأي شيء سوى القتال ضد "السامورين" في "كاليكوت" ، والذي كان يقوم بمهاجمة "كوتشين" .

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

بعثت إليكم رسالة بواسطة "فرانسيسكو دي البوكيرك" موضحاً ما قد أنجزته في خدمتكم واستمريت لكي أفعل هذا ، كما سوف يشهد به "لوبو سوريز" ، تاركاً المسائل أعلاه جانباً ، سوف أخبركم الآن عن تلك التي تتعلق بهذه الأرض ، التي سوف تحقق خططكم بشكل أحسن من أي مسائل أخرى:

قبل وصول "لوبو سوريز" ، حاولت أن أتحرك لأحصي المال ، والأرز ، وسلعاً أخرى ، كانت مركب "الناو" القادمة من "سيتوبال" بواسطة التجارة مع "كوتشين" ، مستخدمين الملك كوسيط ، قدمنا إلى "تشيريانينيا ميركر" و"ماسالا ميركر" ستة آلاف "كروزادو" (ألفين نقداً ، وأربعة آلاف في شكل أرز ، ونحاس وبضائع أخرى) في مقابل ثلاثة آلاف "باهار" من الفلفل ، إلا أنه كان هناك خلاف حول السعر .

حينما تم طرد التجار من الحصن ، أرادوا أن يرجعوا كل شيء قد تلقوه ... لم أكن حاضراً في حينها ، ولكن عندما عرفت عما قد حدث بدأنا التفاوض مرة ثانية . أصبح كل شيء أحسن مما توقعنا ، كما سوف يعلمكم التجار من مركب "الناو" القادمة من "سيتوبال" وشهود آخرون .

منذ لحظة وصوله ، لم يتوقف "لوبو سوريز" عن تحميل الفلفل الأجود ، والأنظف والأكثر وزناً الذي دائماً ما أتى من الهند ، فهذه هي الفرصة التي كنتم تبحثون عنها ، إنني لم أقدم تقريراً بكتابة

الكمية التي تحملها مراكب "الناو" ، اعتقد أنه من الأفضل لكم أن تعرفوا من التقارير التي ليست معدة من قبلي .

شحنوا أربع سفن بالفلفل ، والقرفة وبضائع أخرى في "كلوة" ، و"كالي- كلوة" "Calli-Quiloa" ، حتى هنا في "كوتشين" ، فقد أفرغوا للتو القرفة من السفينة "سيرني" "Cirne" وحملوها بالفلفل ... لا يستطيع جلالتكم أن يتخيل الكمية المحملة في السفن الأخرى!

سوف تنقل سفينة "الناو" كثيراً من الفلفل الجديد ، ليس لأنه يوجد نقص في الفلفل القديم ، ولكن المسلمين خزَّنوا كثيراً جداً في سفن "السنبوق" التي لديهم ، إذا أرسل جلالتكم بعض قوارب "الفوستا" السريعة وسفن "البريجانتين" ، فإنه يمكنكم بمساعدة بعض سفن "الكرافيل" الحربية الموجودة هناك أن تمنعونهم من الإبحار في هذه المياه .

علاوة على ذلك ، إذا امتلك الحصن مبلغ عشرين ثلاثين ألف "كروزادو" ، فإنـه من الممكن أن يشتري ثلاثين ألف قنطار من الفلفل ، قبل أن تصل سفن "الناو" تم إنفاق مبلغ مائة ألف "كروزادو" نقداً وعلى الأقل نفس المبلغ تم انفاقه في بضائع ، لأنه لا توجد طريقة بدون هذا الخليط لكي نشتري ونبيع الفلفل أو أي شيء آخر نقداً بمفرده ، فيما عدا الزئبق .

يمكن أن يلاحظ جلالتكم كيف سيكون هذا مربحاً ، وكيف سيكون تحميل ومغادرة سفن "الناو" آمناً ، وإذا رغبتهم في أن تدمروا

المسلمين في الهند ، فهذه هي الطريقة الأكثر تأكيداً ، في لحظة ، لن يعود نهر "كوتشين" آمناً بالنسبة لهم ، سوف تكون سفننا قادرة على أن نذهب لمسافة خمسة أو ستة "فراسخ" زيادة على امتداد الساحل وتبث خوفاً شديداً جداً في قلوب الناس الذي ينتجون الفلفل لدرجة أنهم سوف يتاجرون معنا وليس مع المسلمين .

حينما يتم فعل هذا ، فإننا سوف تكون قادرين على أن نسافر بأمان في جميع أنحاء أراضيهم دون أية نقود ، محافظين من أجل جلالتكم على ما يناله أولئك المسلمين ، عندما نطلق سفن "الناو" المحملة بالبضائع التي لدينا ، فإننا لم نعد تحت رحمتهم ، وإذا تصرفوا بأية طريقة ، فإنه سوف يكون بدافع الخزي أكثر من الاستعداد ، إضافة إلى ذلك ، إذا كان هناك قوارب "فوستا" أكبر حجماً ، فإن الأرز يمكن أن يكون أفضل سلعة وأكثر ربحاً لكي ينقل من "كوروماندل" إلى هذه الوكالة التجارية .

يمكن لجلالتكم أن يقيم قاعدة في ميناء "كوتشين" ، لأنه يزود أفضل تسهيلات الشحن ، وثم بعد ذلك في "كيلون" و"كالي" – "كلوة" ، بهذه الطريقة ، وبمساعدة المسيحيين المحليين ، الذين هم الأغلبية ، من المحتمل أن يصل سكان البلاد الأصليون إلى فهم تام لعقيدتنا المقدسة .

يمكنكم أيضاً أن تجهزوا مستودعاً صغيراً ، ويجب ألا يحتوي على

بضائع أكثر مما يمكن أن يتم بيعه ، وحينما ينفد ، فإن القلعة تستطيع أن تزوده بالكثير . لا يوجد شيء لكي يقال عن هذه المسألة .

أستطيع أن أقدم لجلالتكم تقريراً مفصلاً عن الحرب بين "السامورين" ملك "كاليكوت" وملك "كوتشين" ، ولكنني سوف أخبركم عنه بطريقة واضحة . بناء على التعليمات ، سوف أخبركم عما يتعلق بكيف يتم فقدان هذه الأرض أو الفوز بها وعن الأسطول الصغير الذي تركه "فرانسيسكو دي البوكيرك" هنا . لو لم يظل هناك ، لكان من المشكوك فيما إذا كان يمكن أن يتم فعل أي تحميل هناك ، ولو استولى الملك "السامورين" على "كوتشين" لكان من المدهش إذا تم طرده دون مجهود كبير ، ومخاطرة وتكلفة .

لكن الله ، مقدراً فضائلكم والنية السيئة للكلب والخائن الكافر ، قضى بألا يتم حدوث هذا ، ومع ذلك لم يسمح له بأن يهاجم المدينة لكي يجزيه على أفعاله الخاطئة ضد عملكم ، هذه هي الطريقة التي حدثت .

سببت شائعات عن شهرة الملك "السامورين" ووصوله مع مغادرة أتباع "البوكيرك" هلعاً شديداً جداً فيما بيننا ودهشة كبيرة بين المسلمين في "كاليكوت" ، للحد الذي بدا فيه أنه كان مقتنعاً أنه حينما يصل يمكن أن يجدنا قد أبحرنا في وقت سابق وتم تحميل مراكبنا ، وقد وصل إلى "أيدابالي" "Eddaplli" مع سبعين أو ثمانين من سفن "البارو" المسلحة بمدافع وحوالي مائة وعشرين من سفن "الكاتور" مع قوة كبيرة من الرجال .

بناء على أوامر الملك ، أقلع "بيرو رفائيل" و"دوارتي باتشيكو" في سفينة "كرافيل" ، ومركزوا أنفسهم في المضائق على مسافة نصف فرسخ خارجها ، وهكذا بوجود سفينة "الكرافيل" بحراً وقوات الملك براً ، لم تكن قوات الملك السامرين قادرة على المرور .

قرب نهاية شهر مارس ، في وقت تناول طعام العشاء في يوم أحد الشعانين ، أحاطت ثمانون سفينة "باراو" و"كاتور" بسفينة "الكارافيل" وكان هناك تبادل إطلاق نار من قطع المدفعية حتى مجيء الليل ، حينها انسحبت سفن "الكاتور" ووقع عدد كبير من القتلى والجرحى ، بينما لم تكن هناك إصابة واحدة في سفينة "الكارافيل" .

في الحقيقة ، أصيب قلّاف سفن في الكتف والخد بقطعة حجر ، ولكن لم يحدث له شيء أكثر من كدمة وتورم ، وقبل أن يحدث هذا بالضبط ، كان المسلمون المحليون متلهفين على الهروب وترك "كوتشين" مهجورة ، فقط لكي يثبطوا عزيمة السكان ، ولذلك ، أزعجوا الملك ليلاً ونهاراً وقدموا له الرشوة ، وحيث إن "المالاباريين" هم الناس الأكثر جشعاً في العالم ، فقد توسل الملك إلينا في كل يوم نيابة عنهم ، ولكنه لم يستطع أبداً أن يرتب لمغادرتهم .

لكي أمنع المسلمين من الهروب ، قمت بدورية حراسة على طول النهر والساحل في كل ليلة بسفينة "باراو" وسفينتين أو ثلاثة "كاتور" ، بعد إخبار الملك بأنني مضطر إلى أن أرسل كل ما

يأتي إليَّ إلى البحر . كان مسروراً أن يعرف أنكم كنتم مستعدين لكي تعرضوا شعبكم وممتلكاتكم للخطر ، لتحافظوا على شعبه وممتلكاته ، ووافق على أن هروب المسلمين يمكن أن يكون في صف مصالح الكلب "السامورين" .

حينما ثبت أن هروب المسلمين من غير الممكن ، طلبوا أن تذهب عائلتهم وممتلكاتهم وتمكث جنودهم ، في حالة أنهم لم يستطيعوا الذهاب أيضاً ، والذي كان شيئاً حسناً من أجل "كوتشين" ، لأنهم لو ذهبوا لما كانت هناك من مؤن متروكة .

زيادة على ذلك ، بالمال والهدايا أغرينا عشرة أو اثني عشر رجلاً مع ما يزيد على خمسة عشر ألف محارب لكي ينضموا إلى الملك ، أثبتوا مساعدة عظيمة وأصبح هناك قدر كبير من الصعوبة على الساحل بدونهم ، لأن "كوتشين" تمت مهاجمتها من جهة أخرى بعيدة عن مكان تواجد سفن "الكرافيل" والقوات الرئيسة التي لدينا ، كما سأوضح أدناه .

في ذلك الوقت ، كان هناك سفينة "كرافيل" كبيرة في رصيف جاف ، تم إصلاحها على وجه السرعة وأقلعت من خلال المضايق ، في يوم الخميس في أثناء احتفالات عيد الفصح ، حينما كانتا معاً سفينتا "الكارافيل" ، تم إنزال كل مراكب "الباراو" و"الكاتور" وقوارب "الكرافت" الصغيرة مثل "التوناز" إلى البحر .

تقدم نصفها تقريباً لكي يضرب بالقنابل الميدان وبيت الملك

في "كوتشين" ، حينما حدث أن كانت سفينة "الكرافيل" الصغيرة التي مع "دوارتي بيتشيكو" أمام الميدان ، فاعتقد أن القتال كان معه ، ولذلك شارك فيه .

أقلع أيضاً "ديوجو بيريز" وتمركز بنفسه عند مصب النهر حيث قد بنى الملك حاجزاً كبيراً ، ولذلك ، فإن سفن "الباراو" لم تستطع أن تدخل أو تفعل أي ضرر ، ولكنهم بدأوا في مطارداتهم ، مسيئين فهم نية "ديوجو بيريز" ومعتقدين أنه كان يلوذ بالفرار ، على أنه رد عليهم مستخدماً المدفعية الثقيلة . تم إغراق ست أو سبع سفن "باراو" ، وقتل وجرح عدد كبير بدون خسارة .

في تلك الأثناء كان الملك خائفاً من الهزيمة لأنه كان هناك عدد قليل من الناس في "كوتشين" ، لكن كانت إرادة الله ، أن وصل في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر إبريل الأمير من مكان على بعد مسافة عشرين أو ثلاثين فرسخاً مع اثنين أو ثلاثة من القادة العسكريين "كيمالز" ، وألف وخمسمائة من الجنود . في يوم الأحد بعد عيد الفصح ، حاول "السامورين" في "كاليكوت" أن يدخل "كوتشين" من نقطتين اثنتين ، ولكن تم منعه بسبب مكان سفن "الكرافيل" في مدخل المضائق ، هذا هو ما حدث .

دخل لورد "إيدابالي" ، وأخوه مع ثلاثة أو أربعة من الأعيان ، وأربعة أو خمسة آلاف رجل من خلال طريق ضيق غير مستخدم بالقرب من البحر ، على الرغم من أن الأمير قد تلقى خبراً عن هذا

في وقت سابق ، فإنه انتظر القتال في المضايق وأرسل واحداً من قادته وتقريباً ثلاثة آلاف رجل إلى مكان يسمى الحاجز الدفاعي "بالينهار" .

في غضون ذلك ، دخلت جنود الملك السامرين "كوتشين" وأحرقت بيوتاً عديدة قبل أن يصلهم القائد ، استدرجهم الأمير إلى غابة نخيل وهناك تم مهاجمة ثلاثة من رجالي بسيوف البحارة ، مات واحد بعد إصابة اثنين أو ثلاثة من جنود العدو ، وتلقى آخر جرح رمح في اليد والرسغ ولكنه هرب مع الثالث .

حينما تقدموا خلال غابة النخيل ضد السيوف والرماح ، وصل الأمير واشتبك في القتال مع قوات ملك "الساموريين" ، تتبعهم وقتل بين مائتين وخمسين وثلاثمائة من أفضل قادة المدفعية وجنود "النير" لدى الملك السامرين . ألقى الآخرون أسلحتهم وبدأوا في الدخول في غابة النخيل ، فقدت قوات "كوتشين" خمسة أو ستة موتى .

في اليوم التالي ، ذهب بعض الرجال من الطبقة الدنيا ، في العادة هم أناس ودودون ، بحثاً عن الهاربين ، أسروا وعذبوا جنود "الناير" وقتلوا عشرين أو ثلاثين . في نفس اليوم تجاهل هؤلاء الذين في مراكب "الباراو" سفن "الكارافيل" ونزلوا بالقرب من الميدان ، حيث أشعلوا النار في بيوت عديدة وقتلوا بعض الرجال .

كان الملك تحت مظلة مصنوعة من القش تعرف بـ "السيرام" "Cerame" في بيت تاجر يسمى "إسماعيل ميركار" . كانت سفن

"الباراو" فقط على مسافة مرمى رمح وضربته فعلا بالقنابل ، بينما أبحر المسلمون في وقت سابق بسفنهم وهم مستعدون للفرار . في تلك اللحظة ، وصل شرطي الحامية ، "بيرو فيرنانديز" من "كوتشين" بخبر يفيد أن العدو كان مهاجماً السفينة .

كنت مريضاً في السرير ، ولكن الوكيل التجاري أقنعني بالذهاب والمساعدة ، نزلت في سفينة "الباراو" الخاصة بي دون تأخير ، حيث لم تكن هناك أية علامة لسفينة "الناو" ، وأخذت طريقي إلى حيث قد أبحر التجار المسلمون ، وجعلتهم يقفزون على الشاطئ في فوضى ، اصلت الإبحار على طول الشاطئ ، بعيداً عن سفن "الباراو" ، وضربت بالقنابل كل أولئك الذين هم في "إيدابالي" طبقاً لسفينة "الناو" التي كان لديها منظر حسن ، وتم تدمير اثنتين .

ذهبت لكي أنقذ الملك والتجار ، ولكنهم جميعاً لم يجدوا المكان المناسب في داخل سفينة "الباراو" التي معي ، بسبب وجود عدد كبير جداً من الدجاج وثمار التين وجوز الهند . عندما جاءت الأخبار عن تدمير الحاجز الدفاعي "بالينهار" لم يرد الملك أن يتركنا حتى غروب الشمس .

يستطيع جلالتكم أن يعرف هذا من أولئك الذين هم في سفينة "الناو" الذاهبين إلى البرتغال . نسيت أن أذكر أنه تم الاستيلاء على طبلة ومظلة من الملك "السامورين" من قبل بعض الجماعات ،

حطموا المظلة إلى قطع ، وهذه هي الإهانة الكبرى الممكنة حيث يتم استخدامها كراية له .

الجمعة ، التاسع عشر من شهر إبريل المذكور جاءت إشاعة عن معركة كبرى وأن "السامورين" ملك "كاليكوت" كان قادماً شخصياً مع كل القوات تحت تصرفه إلى نفس المكان تماماً حيث كانت هناك النخبة من قواته ، وحيث توجد غابات واسعة هناك ، فقد أقام الأمير كميناً على حافة المكان ، بما يزيد على ألف وخمسمائة رجل .

أقام قائد الجيش أمير "بايبيل" "Baipill" مع عدد من الجنود الآخرين كميناً آخر على شاطئ البحر ، وكميناً آخر مع أشخاص من الطبقة الدنيا ، الذين يتم استخدامهم في استخراج الخمر من النخيل ، والذين لديهم أحسن الضباط لحفظ الأمن في السفينة في العالم .

تم ترك عدد قليل من الناس الآخرين في العراء لكي يستدرجوا رجال الملك السامرين إلى الأرض المنخفضة حيث قد مات الآخرون ، وبعد ذلك يهاجمونهم من جميع الجوانب . كان كل شيء مرتباً جداً ، لدرجة أنه إذا فعل خطأ بالمجيء بدون رجال مشاته الخاصة أو الأجانب ، فإنه لن يعود إلى "كاليكوت" .

من غير المعروف فيما إذا كان قد تم إخبار الملك السامرين عن الكمين ، أو لماذا لم يأت إلا أن أخاه ظهر أمام الحاجز الدفاعي مع "لورد إيدابالي" . ركزوا أنفسهم على الضفة المقابلة مع أكثر من

ثلاثين مظلة ، وأحضروا عدداً كبيراً من الرجال وكان هناك كثيرون عند الحاجز الدفاعي ، ولذلك يوجد عدد كبير من النبلاء هناك بدأوا يدخلون المياه من ضفة واحدة ، ثم فعل الآخرون مثلهم حتى وصلت المياه إلى ركبهم وبعد ذلك أطلقوا رماحهم .

بينما كانوا يخوضون في المياه بصعوبة ، ظهر "دوارتي باتشيكو" مع اثنتين من سفن "الباتيل" ، وبدأ يطلق النار عليهم ، وطبقاً للتقرير ، قتل عدداً قليلاً منهم . كان أهالي "كوتشين" يشعرون بالحزن كثيراً لدرجة أنهم كانوا قادرين على الاشتباك مع العدو ، فيما عدا مشقة خلال العبور إلى الجانب الآخر لمحاربتهم ، بمساعدة سفن "الباتيل" .

ثم أغلقت جميع سفن "البالا" الطريق على سفن "الكارافيل" واشتبكوا في القتال لفترة طويلة ، تم تدمير ثلاث من سفن "البالا" بواسطة سفينة "كارافيل" صغيرة وقتل عدد كبير من الناس ، لم يقتل أو يجرح منا رجل واحد ، بينما كان "دوارتي باتشيكو" في النهر ، تلقى واحد من رجاله الضاربين بالقنابل طلقة في المعدة ، ولكنها لم تترك فيه شيئاً سوى كدمة .

الثلاثاء ، الثاني والعشرين من نفس الشهر ، وصلت سفينة صغيرة من هرمز ، مستمرة في سيرها حتى جزيرة "بايبيل" ، موقع أول هروب لنا . كانت في طريقها إلى "كاليكوت" محملة بأرز ، وبضائع قطنية ، وسجاد ، وقماش "البروكار" الموشى بالقصب من

"المينهو" ، ومنتجات من أماكن أخرى في أقصى الجنوب ، تمور مجففة ومحفوظة ، وبصل ، وثوم ، وزبدة وبضائع أخرى .

كانت مبحرة بعيداً في عرض البحر خوفاً من الأسطول ، ولكنها استطاعت أن تصل إلى "كاليكوت" . جاءت باحثة عن البر ووجدت نفسها هادئة هنا في صباح ذلك اليوم . ذهبت قوارب "الكاتور" التي لدينا لكي تخبرهم بأن يدخلوا ، معتقدين أنهم من سكان البلاد الأصليين من هنا ، قد جاؤوا من "كامباي" .

حينما وصلوا ، صعد في ذلك الوقت صيادو الأسماك من جزيرة "بايبيل" على ظهر سفينتهم ونهبوها . كان كل أفراد الطاقم موتى فيما عدا خمسة هربوا عندما وصلت قواتنا . تسلم الملك السفينة وكل ما تحتويه ، بعد وصول قوارب "الكاتور" التي لدينا . يقولون إنه بعد ذلك صادر كل شيء امتلكه الصيادون .

الخميس الرابع والعشرون من نفس الشهر مبكراً في الصباح ، عندما كان الحاجز معزولاً ، ذهب أكثر من ألفين من الجنود "الناير" "الملاباريين" من "كاليكوت" إلى الداخل وأطاحوا بأربعة أو خمسة أسوار ، وأشعلوا النار في بيوت عديدة . عندما وصل "دوارتي باتشيكو" إلى سفن "الباتيل" التي لديه ، كانوا متفرقين في كل مكان سواء في داخل أو خارج الحاجز الدفاعي .

حينما تمكنوا من رؤيته ، صاحوا مركب "جانجا" من البرتغال" ، معتقداً أنهم من "كوتشين" ، جاء قريباً جداً من البر لدرجة أنهم

بدأوا يمسكون بأطراف مجاديفه ، أدرك صياد في سفينة "الباتيل" أنهم من "كاليكوت" وأخبره بذلك ، ثم انسحب وأطلق عليهم النار . في تلك اللحظة ، وصل ابن أخ الأمير براً مع قوة تضم مائة جندي "ناير" "مالاباري" وهم يطلقون صيحات الحرب ، وهاجموهم عندما كانوا في أثناء عملية الانسحاب ، من خلال المياه الضحلة ، حيث تصل المياه إلى منتصف أجسامهم .

قتل الأمير عشرة أو اثني عشر هناك ، وقتل أولئك الذين في سفن "الباتيل" التي مع "دوارتي باتشيكو" عدداً كبيراً بقطع الحجارة . أخبروا في تقرير أن مائة أو مائة وخمسين ماتوا من إطلاق قذائف المدفع عليهم . أخيراً ، بعد أن تراجعوا وكانوا يواصلون الإبحار على طول الشاطئ الرملي مع مظلاتهم المصنوعة من غصون الشجر المرفوعة ، أطلقت عليهم النار سفينة "الكارافيل" التي مع "دايوجو بيريز" على بعد مسافة من مدفعها الكبير .

أبصروا المظلات وهي تهوي . من المؤكد أنهم دمروا عرش لورد مملكة "إيدابيلي" ، مات أحد البراهمة الذي كان يحرض ملك "كاليكوت" والذي كان هناك أيضاً . قتل القصف بالقنابل تسعة من القادة بوحشية وقطع بعض أشجار النخيل . أفزعهم ذلك أكثر من أي شيء آخر .

في يوم الجمعة ، الخامس والعشرين من نفس الشهر ، أشعلت قوارب "الباراو" و"الكاتور" النار في ثلاثين بيتاً في جزيرة بالقرب "بايبيل" .

في يوم الأحد ، السابع والعشرين من نفس الشهر ، باغتهم "دوراتي باتشيكو" ، واستولى على اثنين من قوارب "الباراو" واثنتين من سفن "الكاتور" مع اثنين أو ثلاثة مدافع ثقيلة وبعض القطع الأصغر من المدافع ، عندما كان مسافراً على طول الساحل . جرح بعض من رجالنا الذين قفزوا على الشاطئ بواسطة الرماح .

بين يوم الخميس ، الرابع والعشرين من شهر إبريل ، ويوم الصعود في السادس عشر من شهر مايو ، لم تظهر أية سفينة "باراو" . بعد ذلك تم سحب أربعة مراكب "جانجادا" تشكل كل واحدة منها اثنتين من "الباراو" ذات تحصينات في الوسط ، إلى الشاطئ . كان المسلمون والجنود "الناير" الذين جاؤوا فيها يشعرون بالراحة تماماً ، معتقدين أن سفن "الكرافيل" هي لهم بسبب حملهم فيها .

حينما وصلوا إلى بعض أكوام الأخشاب المربوطة معاً عند مصب النهر ، أشيع أنهم يرتبون الإشعال بالنار في سفينة "سنبوق" التي وضعوها أثناء المد العالي بين سفن "الكارافيل" ، سفن "الكارافيل" أحدثت عدداً كبيراً من الخسائر وتراجعوا مهزومين .

نشكر الله ، بقي جانبنا في المعركة على قيد الحياة ولم يصبه ضرر . أصيب أحد بحارتنا في الصدر ، ولكنه عانى فقط من الدرع المقوس الذي يلبسه على صدره .

وصلت سفينة "الناو" من "سيتومال" في يوم السبت ، الثامن عشر ودخلت الميناء في يوم الأحد . أحضرت إمدادات نحتاج إليها

كثيراً ، تم أخذها من سفينة "الناو" القادمة من تشول لكي تساعد في تقديمها إلى الملك السامرين .

في يوم الجمعة الخامس والعشرين ، من نفس الشهر ، ظهرت أربعة مراكب طوافة مصحوبة بعدد كبير من قوارب "البراو" لم يقوموا بأية محاولة لإحضارهم . بدأت سفينة "باراو" الهجوم بوابل من طلقات مدفع .

أغرقت واحـدة من الطوافات ، وأحدثت خروقاً في سفن "الكارافيل" ، وتم تحطيم سفينة "الباتيل" التي مع "دوراتي باتشيكو" إلى ثلاث قطع ، وبينما مات رجالهم تماماً ، هرب رجالنا دون أذى ، فيما عدا أحد العبيد مع "بيرو رفائيل" ، كان جاسوساً سابقاً لدى الملك السامرين ، وقد مات عندما كسرت قذيفة مدفع رجليه الاثنين بينما كان محتمياً تحت سطح مؤخرة السفينة .

كانت فكرة الطوافات هي التي مع تاجر مسلم من "ايدابالي" ، تعهد بالمساعدة في الاستيلاء على سفن "الكارافيل" . كانت حياته في خطر شديد بعد ذلك لدرجة أنه لم يجرؤ على أن يراه الناس . كان ذلك آخر ما رأيناه من سفن "البراو" وانسحب الملك السامرين إلى "ايدابالي" حيث ظل ، فاقداً لكرامته ، حتى علم بوصول سفن "الناو" في يوم الرابع والعشرين من شهر سبتمبر .

هذا ، سيدي ، هو كل شيء حدث منذ رحيل أتباع "البوكيرك" حتى اللحظة التي نزل فيها "لوبو سوريز" إلى الشاطئ في "كرانجانور" ، وأحرق أربعاً أو خمساً من سفن "الناو" وأشعل النار في منطقة

السكان بأكملها ، ثم جعل الناس بعد ذلك يدفعون إلى ملك "كوتشين" الضرائب التي رفضوا دفعها إليه لفترة طويلة جداً من الزمن .

ليس هناك شيء أكثر لكي أقوله ، سوى : وسّع الله في ملك جلالتكم ، وجعل مصالحكم دائماً في ازدهار .

حررت في "كوتشين" ، في يوم الرابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٠٤م .

"ألفارو فاز"

معنونة إلى الملك سيدنا

على الخلف من رسالة ، في كتابة حديثة بخط اليد : من شقيق "استيفاو فاز" .

أحداث عام ١٥٠٥م

في هذا العام (١٥٠٥م) صدرت تعليمات[أ] بتاريخ الخامس من شهر مارس عام ١٥٠٥م ، إلى "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" "D . Francisco de Almeida" ، رئيس القباطنة في الهند من قبل الملك:[١٤]

(على الهامش) : كيف أبحر الأسطول بعد عودتهم من البحر الأحمر ، كيف تتصرفون حيال الملوك الذين يتوجب عليكم التعامل معهم؟ !

فقرة : عندما تعودون من مدخل البحر الأحمر سوف تقسمون السفن حسب ما ترونه في صالح مصلحتنا الملكية ، وعلى كل حال ،

(أ) هذا جزء من وثيقة طويلة جداً وتقع في أكثر من ستين صفحة .

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

فيبدو لنا أنكم لابد أن ترسلوا بعض السفن من الأسطول إلى ساحل "شول" و"دابول" وضد "كامباي" وهرمز .

حسب معلوماتنا ، فإن هذه السفن يمكنها أن تهتم بأمور المسلمين على تلك السواحل ، وعلى تلك المرسلة إلى هناك أن تستولي على كل السفن التابعة للمسلمين قدر استطاعتها .

إذا ما رغب ملوك ونبلاء وأعيان تلك المدن المشار إليها في صداقتنا وخدمتنا مع الالتزام بدفع الجزية لنا ، والاعتراف بنا على مدار العام ، وكذلك دفع الضرائب ، فإننا نرى من المفيد أن تتوصلوا معهم إلى اتفاق بأحسن الطرق التي تجلب لنا أفضل المصالح ، وتلزمهم بالاتفاق الذي توقعونه معهم أن يدفعوا لنا (بعملتنا) لقلاعنا وسفننا وأهلنا عن كل البضائع والتموين الضرورية لمعاملاتنا واحتياجاتهم بأسعار معقولة .

على أية حال ، في مسألة اعترافهم بالضرائب والرسوم والجزية التي يجب أن يدفعوها لنا ، فيمكنهم على وجه الدقة بواسطة دفع بعض التموين والإمدادات فإن ذلك سوف يكون في مصلحتنا .

إذا ما تمكنكم من تدبير أن تنقلوا في سفنهم كل تلك المؤن والإمدادات المشار إليها إلى "أنجيديفا" حيث الاحتياج لها ، فإننا نكون بهذا الأسلوب قد خدمنا أنفسنا .

وفي العام نفسه (١٥٠٥م)

ومــن علــى ظهــر السفينـة "نازاري" "Nazare" ، الخامس من شهر إبريل عام ١٥٠٥م ، أمر من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلـى "مانويل دا كوستا" "Manuel da Costa" ، الوكيل في هرمز :[١٥]

إلى "مانويل كوستا" ، أنا القبطان العام والحاكم في الهند ، آمرك أن تعطي إلى "لويس دا ألفارينجا" "Luis da Alvaringa" ، والذي هو الآن مسؤول الأشغال العامة في القلعة ، مبلغ (٢) أشرفي للتموين للأشغال المذكورة لمدة ثلاثة أيام .

بهذا وبإخطاره ومعرفته سوف يتم أخذها من الحسابات طرفكم .

من على ظهر السفينة "نازاري"Nazari" / الخامس من شهر إبريل عام ١٥٠٥م .

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

توقيع : "أفونسو دا البوكيرك" .

استلمت من الوكيل المبلغ / (٢) "أشرفي" / المشار إليهما في هذا الأمر ، اليوم الخامس من شهر إبريل عام ١٥٠٥م .

"لويس دا الفرينجا" .

وفي العام نفسه (١٥٠٥م)

بعث ملك البرتغال برسالة إلـى ملك "قشتالة" عن الرحلة إلـى الهند وما نتج عنها :[١٦]

الملك "الكاثوليكي" و"السيد اللورد" ، بالرغم من أن فخامة جلالتك قد تسلم رسائل أخرى من طرفنا عن نتائج حركة السفن والتجارة مع الهند التي تمت باسمي ، يبدو لي من المناسب أن أنقل لك في هذه الرسالة الأخبار عن سفن لنا معينة وصلت "للتو" .

مكرراً ما سبق أن كتبته في رسائلي الأخرى ، حتى تكون على علم بطريقة صحيحة عن كل شيء ، ستذكر أن أسطولي الأول الذي أرسل لتلك الأنحاء تشكل من اثنتي عشرة سفينة ومركب شراعي محملاً بالمؤن والزاد .

غادرت تلك السفن ميناءنا في "لشبونه" في الثامن من شهر

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

مارس للعام ألف وخمسمائة لأماكن في الهند لما وراء البحر الأحمر والخليج الفارسي ، ذاهبة هناك للتجارة في التوابل ، في مدينة تسمى "كلكتا" .

عن الملك والموقع ، والجمارك وأحوال هذا المكان سأوضح لك أدناه:

كان القائد العام لهذا الأسطول هو "بيرو ألفاز كابرال" ، بعد أن أبحر متخطياً "كاب فيردي" ، اكتشفوا بلاداً لم تكن معروفة في السابق في أوروبا ، وقاموا بتسميتها "سانتا كروز" ، لأنهم نصبوا صليباً طويلاً على الشاطئ ، آخرون سموها الأرض الجديدة .

تقع هذه الأرض بمقدار أربع عشرة درجة خلف مدار السرطان ، حسب القراءات التي قام بها البحارة بأداة القياس وآلة "الاسطرلاب" ، لأنهم جاؤوا معهم بمعدات فلكية جديدة لتلك الأنحاء . تقع الأرض على بعد أربعمائة فرسخ غرب الجنوب الغربي لـ"كاب فيردي" "Cape Verde" .

قدمت لسموك معلومات كاملة في رسائلي السابقة عن السكان وخصوبة ذلك المكان ، وسعته وأوضاعه ، وإن كانت تلك البلاد جزيرة أم قارة .

عند المغادرة من ذلك المكان ، ترك الأسطول رجلين خلفهم يواجهون مصيرهم . كان الأسطول يحمل عشرين رجلاً مدانين بالإعدام عبر إجراء قانوني ، وكان على القبطان تركهم في أي مكان

يراه مناسباً . أحد أولئك الرجال عاد فيما بعد مع أسطول آخر أرسلناه مباشرة لذلك المكان ، كان قد تعلم لغتهم وجاء بمعلومات عن كل شيء . أرسل القبطان من هذه البلاد المركب الذي يحمل المؤن .

في الثاني من مايو أبحروا باتجاه رأس الرجاء الصالح ، وفي الثاني عشر كان رأس الرجاء على مرمى بصرهم ، على بعد ألف ومئتي فرسخ من الأرض الجديدة . يقع رأس الرجاء في زاوية واحد وثلاثين درجة خلف خط الاستواء ، وتلك البلاد التي وصفت بإفريقيا تركها بطليموس باسم "terra incognita" . كل الساحل كان آهلاً بالسكان ، ولم يكونوا سوداً بدرجة كبيرة ، والأرض خصبة مليئة بكل أنواع الفواكه والمياه العذبة .

من الملاحظات التي جمعها البحارة عرفوا القطب الجنوبي والنجم المسمى سهيل ، وأبراجاً ونجوماً أخرى كثيرة ، وجاؤوا بتقرير طويل عن ملاحظاتهم . لعشر ليال متوالية باتجاه الجنوب الغربي رأوا شهاباً هائلاً ، وهو أمر غير معروف لدينا ، رأوا قوسه في السماء في منتصف الليل .

في اليوم الرابع والعشرين من نفس الشهر ، بينما هم يبحرون في طقس جيد حول رأس الرجاء المذكور ، واجهوا رياحاً عاتية أغرقت أربعاً من السفن بكل ما بها من رجال . ضاعت اثنتان أخريان ، واتخذت البقية اتجاها جاعلين الريح خلفهم مع أشرعة منصوبة ،

تكسرت الصواري والأعمدة واستمروا لخمسة أيام تدفعهم الرياح حيثما تشاء .

أخيراً ، هدأ البحر ، واقتربت الست سفن الباقية نحو بعضها بعضاً ، مبحرين بطول الساحل ، مروراً بـ "سوفالا" (زنزبار؟) ، وهي جزيرة عند مصب نهر حيث يعيش العديد من التجار ، وحيث يوجد ذهب لا يحصى ، جيء به إلى هناك من أنحاء البحر الأبيض المتوسط لإفريقيا بواسطة رجال صغيري القامة ، لكنهم أقوياء ، ومتوحشون يأكلون لحم البشر ، خاصة لحوم أعدائهم ، كما يتحدثون بنعومة ، وهكذا كان يأتي الذهب لمناجمنا في "ساينس" "Sines" .

يملك ملك "كلوة" هذه الجزيرة . بعد المرور من الجزيرة قابلوا سفينتين ، لكنه عندما علم أنهما تعود للملك المذكور أطلق أسرها ، وتركها تذهب ، وأخذ منهم قبطاناً فقط يرشدهم إلى "كلوة" .

عند الوصول إلى "كلوة" وهي المدينة الرئيسة في المملكة ، وكانت مكاناً ضخماً مزدحماً بالسكان ، استقبله الملك بحرارة ، وأمن له عبوراً آمناً لأنه كان يحمل رسائل من طرفنا كتبت باللغة العربية والبرتغالية موجهة للملك طالبة منه الموافقة على معاهدة تجارة مع الجزر ، وقد تم الاتفاق على ذلك ، لكن لأنه كان على سفينتين أن تبقيا كانتا قد أُخذتا فإنه لم يقبل بالتعهد على ذلك .

"كلوة" مدينة في البلاد العربية على جزيرة صغيرة بجانب الأرض اليابسة ، آهلة بالسكان السود والتجار شيدت مساكنها على نمطنا .

توجد هناك كميات هائلة من الذهب ، الفضة ، الكهرمان ، المسك واللؤلؤ ، ويلبسون برفاهية ملابس من الحرير والقطن الرفيع الجيد ، وتركوا ذلك المكان وأبحروا باتجاه مملكة "ماليندي" ، آخذين بالمثل رسائلي لملكها مع مبعوثي ، وقد استقبل بحفاوة "دون كاسكو" "Don Casco" الذي كان أول من اكتشف هذا الساحل . هناك في ميناء "ماليندي" وجدوا ثلاث سفن من "كامباي" ، في كل منها حمولة مئتين برميل .

الجزء الأعلى من تلك السفن مصنوع من القصب ، وسطحها الأرضي من الخشب ، ربط بعضه ببعضه الآخر بالحبال ، ومغطى بالزفت لعدم وجود مسامير في كل السفن التي في تلك الأنحاء من هذا النوع ، يبحرون دائماً باتجاه الرياح من الخلف لعدم تمكنهم من الإبحار في مواجهتها . تقع منصة السفينة في الخلف .

تحدث الملك المذكور عبر ترجمة مع قبطاننا من على ظهر زوارق صغيرة ، وتوصلوا إلى علاقات ودية بين بلدينا . قُدم للقائد مرشد ليرشده إلى "كلكتا" ، واثنان آخران من الذين حكم عليهم بالإعدام تركا هناك ، يبقى أحدهما في "ماليندي" والآخر يجوب البلاد . المملكتان "كلوة" و"ماليندي" تقعان في هذا الجانب من البحر الأحمر : بين أراضي الوثنيين ، وأرض "برستر جون" والتي يطلقون عليها بلغتهم "أبيشي" ، والتي تعني الرجل الحديدي ، لأنهم في الحقيقة

يعلمون أنفسهم بعلامة الصليب مستخدمين الحديد ولذلك فهم لا يعمدون بالماء .

في السابع من أغسطس ، غادروا متجهين نحو "كلكتا" ومرا عبر خليج لمسافة سبعمائة فرسخ ، وصلوا حتى أصبحوا على مرأى من "كلكتا" في الثالث عشر من شهر سبتمبر ، بستة شهور منذ مغادرتهم "لشبونه" ، على بعد فرسخ من ميناء "كلكتا" ، قابلوا المواطنين والسادة من البلاط في احتفال كبير ، وعندما أصبحوا أمام المدينة أطلقوا مدافعهم بالتحية ، الأمر الذي أثار الإعجاب بين المواطنين .

تقع "كلكتا" في الهند ، وهي بلاد يقطنها الوثنيون ، المكان الذي تأتي منه كل التوابل ، لهذا السبب فهي تعتبر مركزاً للتجار من كل تلك الأنحاء ، مثل "بروغز" "Bruges" ، "الفلاندرز" أو البندقية في إيطاليا .

في اليوم التالي بعث القائد إلى الشاطئ أربعة هنود كان قد جاء بهم من "لشبونه" ويتحدثون البرتغالية بطريقة جيدة ، حصلوا على تصريح عبور آمن من الملك حتى يتمكن رجالنا من النزول للشاطئ كما طلب منهم القائد ذلك .

نزل "ألفونسو فورتادو" "Alfonso Fortado" للشاطئ ، وأبرم اتفاقية مع الملك على أن يبعث بخمس من الرهائن من بين مرافقيه الذين على ظهر السفينة ، ومن ثم يهبط القائد ليتحدث معه ، وهكذا

نزل القائد للشاطئ تاركاً "سانشيو توفار" ليتولى القيادة مكانه على السفن . جاء الملك بجانب الميناء ليستقبل القائد في بعض منازله ، وحمل بعض رجال الملك القائد إلى الداخل في حضور الملك .

كان الملك مستلقياً على سرير منخفض مغطى بثوب أرجواني من الحرير ، وكان عارياً في الجزء العلوي من جسمه ، تحته كان مغطى بثوب من القطن الداكن مزيناً بالذهب والفضة ، وكانت على رأسه قبعة من القماش المطرز مثل خوذة قديمة ، وتتدلى من أذنيه لؤلؤتان كبيرتان بحجم حبة البندق ، إحداهما مستديرة والأخرى مثل حبة الإجاص .

كان يلبس سوارين من الذهب مرصعين بالعديد من الجواهر واللآلئ ، والكثير من الخواتم على أصابعه تزينها جميعاً الأحجار الكريمة ذات القيمة العالية ، هناك كان أيضاً عرش ملوكي ضخم من الفضة ذراعاه وظهره من الذهب ، عليه الكثير من الجواهر ، هناك عشرون بوقاً من الفضة وثلاثة من الذهب وآخر أطول مما عندنا كان يبعث صوتاً عالياً . في الصالة ستة مصابيح ضخمة من الفضة على الطراز الإسلامي تضيء ليلاً ونهاراً .

لا أحد يتحرك على بعد ست خطوات من الملك ، فذلك يعتبر عدم احترام ، لكن القائد اقترب أكثر من الآخرين وجلس وقدم نفسه كمبعوث ، وسلم الملك رسائلنا التي كتبت بالعربية وبلغتنا الخاصة ، وقدم له مباشرة هدايانا التي كانت :

- أولاً ، وعـاء كبير ودورق من الذهب عليه العديد من التصميمات والزخرفة ، وصولجانان من الفضة بسلاسل ، وأربعة وسائد ، وقطعتان من القماش المطرز واثنتان من القطيفة القرمزية ، وسجادة ضخمة ، وستارة مطرزة بحافات من الذهب ، وقطعتان من القماش المنجد ، إحداهما خضراء والأخرى مزخرفة .

تقبل الملك تلك الهدايا بامتنان عظيم ، ولكن هناك لا يستخدمون تلك الأشياء .

بعدها أبرموا معاهدة صداقة وسلام ، وكتعهد بذلك كتب الملك رسالة على صفحة من الفضة المطروقة ، عليها ختمه المطعم بالذهب ، طبقاً لعاداتهم ، وجاؤوا بها لطرفي ، ورسائل أخرى على أوراق الشجر ، أشجار النخيل ، والتي عادة ما يكتبون عليها ، ويصنعون من تلك الأشجار ، السكر ، العسل ، الزيت ، الخمور والماء ، الخل ، الكربون والحبال ، وهي مواد تموينية ضخمة تحمل على السفن .

سمح الملك بعد ذلك للقبطان بالعودة لسفينته ، وإرسال الرهائن الخمسة إلى الشاطئ ، لأنهم لم يتناولوا أي طعام على ظهر السفينة . عند رؤية الرهائن للقبطان وهو يعود خشوا أن يحتفظ بهم فقاموا برمي أنفسهم في المياه وهرب البعض نحو اليابسة .

ألقى البحارة القبض على الباقين ، ولم يرغب القبطان في التخلص منهم حتى يبعث الملك "بألفونسو فورتادو" مع ثمانية من البرتغاليين وأشياء معينة كانت قد تركت على الشاطئ ، كان هناك

بعض الخلاف على هذه الإعادة لأن كليهما لم يكونا يثقان في بعضهما بعضاً .

ثم تمت الإعادة للأشياء بأمر من الملك والقبطان "ليسيوس كوريا" "Lesius Correia" ، الذي كان عليه أن يبقى هناك كوكيل للمحطة التجارية ، فذهب إلى الشاطئ ، وكبديل له صعد اثنان من أبناء تاجر "غوجاراتي" .

ظل وكيل المحطة التجارية في البر لشهرين ونصف وتوصل إلى اتفاقية حول التجارة بصعوبة شديدة لوجود العديد من التجار وخاصة أولئك القادمين من مكة الذين عارضوها ، بهذه الاتفاقية خصص الملك لوكيلنا التجاري منزلاً كبيراً أمام البحر ، احتله ، ورفع عليه علمنا ، وأعد نفسه للسكن فيه ، وعاد التاجران الاثنان اللذان كانا على ظهر السفينة للبر ، بدأ في الحال بتحميل السفن لأن الملك كان قد وعد بالحمولة الأولى .

بما أن هذه الاتفاقية قد جاءت بناء على أمر من الملك ، فقد قام القبطان بإرسال مركبٍ عليه سبعون رجلاً ومدفع كبير وقطع مدفعية أخرى لأخذ سفينةٍ ضخمة للمسلمين كانت تمر من هناك مسلحة بأربعمائة من حاملي النبال ، استولوا عليها وقدموها للملك نيابة عن القبطان ، بدا الملك مندهشاً كثيراً كونها تم الاستيلاء عليها بهذه السفينة الصغيرة ، كان على السفينة المذكورة الكثير

من البضائع وخمسة من الأفيال الخبيرة بشؤون الحرب ، التي قدر ثمنها بثلاثين ألف "دوكات" .

في السادس عشر من شهر ديسمبر ، بينما كان الوكيل التجاري منشغلاً في فحص حمولة سفينتين ، كان قد تم تحميلها ، أوقف القبطان سفينة لمسلمين كان قد تم تحميلها وتحاول المغادرة سراً ، لأن ذلك كان جزءاً من الاتفاقية مع الملك .

سلح كل التجار أنفسهم في الحال وأثاروا المدينة بضوضائهم ، وركضوا باتجاه منزل الوكيل التجاري حيث تواجد ثمانون من البرتغاليين . اشتبكوا في قتال لثلاث ساعات ، وتركوه ركاماً وخراباً في النهاية ، بعد أن قتل العديد من المسلمين .

الوكيل التجاري ، مع آخرين ، بعد أن فقد المنزل ، حاول التقهقر نحو البحر ، حيث جاءت المراكب من السفن عند سماعهم للجلبة ، لكن هجم عليهم الحشد وقتل الوكيل التجاري مع ثلاثة وخمسين رجلاً ، وهرب الآخرون بالرغم من جراحهم .

كان القبطان مريضاً في هذا الوقت ، عندما سمع بالأخبار ، ظل في مكانه ليوم واحد منتظراً ليرى إن كان الملك سيبعث له بأي عذر عن تلك الأحداث ، وعندما رأى أن الملك لم يهتم بالأمر ، أمر أن يتم الاستيلاء على عشر من السفن كانت هناك وتفريغ حمولتها ، ووجدوا ثلاثة من الأفيال ، ولحاجتهم للمؤن ذبحوها وأكلوها .

بعد قتل الكثير من البحارة ، أخذ البقية كأسرى وأحرق السفن أمام المدينة .

في الليلة التالية أمر سفننا بأن تنسحب بطول الشاطئ ، وعند الفجر بدأوا بإطلاق نيران قذائفهم ، وأمطروا بها المدينة ، التي كانت بلا أسوار ، فتسببوا لها بدمار هائل ، حتى إن الملك كان مجبراً على مغادرة منازله .

أبحروا بعد ذلك ، وفي ميناء للملك تسمى "فونداران" قتلوا الكثير من الناس بنيران المدفعية ، وقرروا الذهاب لمملكة "كوتشين" التي تبعد أربعين فرسخاً خلف "كلكتا" ، في طريقهم مروا بسفينتين لملك "كلكتا" ، قاموا بأسرها وحرقها .

في الرابع والعشرين من ديسمبر وصلوا إلى "كوتشين" ، وأبرموا معاهدة مع الملك الذي استقبلهم بحفاوة ، وفي خلال ستة عشر يوماً حملوا سفنهم بالضائع ، لأن التوابل تأتي من هناك إلى "كلكتا" ، كان الملك ذا سلطة عظيمة وكان لتاجرين خمسون سفينة جيدة تعود له ليواجه بها ملك "كلكتا" .

في عملية تبادلية لسبعة من رجالنا كانوا على الشاطئ للتجارة ، بعث إلى السفينة باثنين من رجاله البارزين اللذين كانا دائماً يرغبان في الأكل ، هذا كان تغييراً في المشاعر القلبية ، وطبقاً لقوانينهم فإن أكلوا في البحر فإنهم لن يتقدموا على الملك .

يوجد الكثير من المسيحيين في هذه المملكة بناء على التحول الديني الذي قام به القديس "توماس" . رهبانهم يتبعون حياة رسولية بإيمان شديد وتطرف ، لهم كنائس حيثما وجد الصليب ، ويحتفلون بالقداس بالخبز والخمور التي يصنعونها من الزبيب والماء ، لعدم وجود غيرها . لكل المسيحيين شعر مسترسل ولحى طويلة .

عرف رجالنا منهم أن جثمان القديس "توماس" على بعد مائة وخمسين فرسخاً من "كوتشين" على طول الساحل في مدينة تسمى "ميلابور" ، حيث يعيش قلة من السكان ، وقد أحضروا معهم تراباً من ضريحه ، بسبب المعجزات التي تحدثها ، لذلك يقوم المسيحيون بزيارتها وكل الناس الآخرون .

لذلك جاؤوا بقسيسين إلى هنا ، واللذين - وبناء على إذن من كبير أساقفتهم - ذهبا إلى "روما" و"القدس" ، لأنهما يؤمنان بأن كنيسة القديس "بيتر" لها أكثر من سيطرة عن كنيستهم .

كما عرفوا أيضاً بالإضافة لطائفة القديس "توماس" أنه توجد أعداد هائلة من المسيحيين يأتون للحج لهذا القديس المذكور . يوجد رجال بيض بشعر أشقر وعيون خضراء ، أقوياء ، تسمى مناطقهم "مالشينا" "Malchina" ، تأتي من هناك مزهريات كبيرة من "البورسلين" الرائع والجميل ، المسك ، الكهرمان وخشب الصبر الذي يأتون به من نهر "الجانج" الذي يجري في بلادهم .

عندما تم تحميل السفن ، ظهر أسطول لملك "كلكتا" يتكون من

ثمانين سفينة مع ألف وخمسمائة رجل ، وعند مشاهدتهم أطلق قبطاننا لأشرعته العنان ، تاركاً سبعة من الرجال في "كوتشين" ، وأخذ معه الرهينتين ، وكان في نيته العودة ، لكن حينها ، وهو يرى أن الطقس كان جيداً قرر العودة ، ولذلك فإن المسلمين الاثنين والقسيسين هنا معنا .

لم يكن يريد القتال مع أسطول "كلكتا" ، لأن السفن كانت محملة ، ورجاله قليلو العدد ، وكانت الرحلة طويلة وهم على بعد أربعة آلاف فرسخ من "لشبونه" ، ولذلك في الخامس عشر من شهر يناير للعام ١٥٠١م مروا بمملكة أخرى تسمى "كانانور" ، في هذا الجانب من "كلكتا" .

قد بعث ملكها يعرض على القبطان حمولة حتى تكون عربون ثقة لعودته مرة أخرى ، لكن شكره القبطان وأخذ فقط مائة صندوق من القرفة ودفع ثمنها في الحال . أحضرها المسلمون للسفن على ظهور قواربهم ، وبعثوا برجل من السادة مع رسائل ومبعوث والذي هو معنا الآن .

من مملكة "كوتشين" هذه كتب الرهائن لملكهم وعائلاتهم ، كما كتب القبطان أيضاً لرجالنا الذين ظلوا هناك . أبحر القبطان في اليوم التالي متوجهاً نحو "مالندي" ، وفي اليوم الأخير من يناير التقوا بسفينة ضخمـة محملة بالبضائع ، وبما أنها كانت تعود لملك

"كامباي" ، فقد سمحوا لها بالذهاب ، وأخذوا منها مرشداً ليرشدهم إلى "مالندي" .

في الثاني عشر من فبراير ، وفي منتصف الليل اصطدمت إحدى سفننا ذات حمولة قدرها مئتي طن باليابسة ، وتم إنقاذ الرجال الذين كان من بينهم القبطان "سانشو توفار" ، وبذلك ظلت معنا خمس سفن : بعث القبطان بواحدة منها إلى "سوفالا" لتأتي بمعلومات كاملة عنها ، لكن لازمهم سوء الطالع وفقدوا سفينة أخرى .

لذلك في يوم عيد الفصح من شهر مايو دارت ثلاث سفن رأس الرجاء الصالح ووصلت إلى "بيزبيش" ، بالقرب من "كيب فيردي" ، حيث ربطوا السفن ، وسدوا الشقوق التي أصابت السفن ، بعدها انضمت إليهم السفينة التي كانت قد فقدت .

أيضاً تلك التي بعث بها القبطان إلى "سوفالا" ، وقد أفادت بأنها بعثت برجل إلى "سوفالا" ، واحتفظوا برجل مسلم كرهينة ، وانتظروا لثلاثة أيام ، لكن لعدم سماعهم أي أخبار عنه غادروا ومعهم الرهينة - المسلم الذي قدم لهم معلومات جيدة عن الجزيرة - ، كما ذكرنا عن ذلك بأعلى .

أبحروا بعد ذلك في طريقهم إلى "لشبونه" ووصلوا في الحادي والعشرين من شهر يوليو للعام ١٥٠١م ، جالبين معهم توابل جيدة وبأسعار زهيدة . الآن وقبل فترة وجيزة عادت إحدى السفينتين اللتين فقدتا خلال الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح وحيث

غرقت أربع سفن ، انتهى بها الأمر في البحر الأحمر ، حيث فقدت زورقها ومعظم الرجال .

لكن وبمعجزة عادت وعلى ظهرها سبعة من الرجال ، أحضروا معهم العديد من الأواني الفضية ، كانوا قد اشتروها من تلك الموانئ ، لذلك من الاثنتي عشرة التي أبحرت في طريقها إلى الهند عادت منها ست سفن فقط ، ضاعت الأخرى في غياهب البحر .

من مخطط الملاحة المرفق ، فإن فخامة جلالتك ستعرف تماماً المسافات بين الأماكن وأشكال السواحل ، خطوط العرض والطريق الذي يسلكوها في هذه الرحلة البحرية .

في اليوم العاشر من شهر إبريل لنفس العام ، ولعدم سماع أي أخبار جديدة عن تلك الحملة الأولى ، بعثت لتلك الأنحاء أربع سفن أخرى زودت جيداً بكل شيء ، بما أننا سمعنا عن تلك الأرض الجديدة التي سميت "سانتا كروز" "Santa Cruz" .

اتجهوا إلى هناك ليحصلوا على المؤن ، لأن تلك البلاد كانت ضرورية جداً بالتأكيد لمثل هذه الرحلة ، من هناك ، مروراً عبروا رأس الرجاء الصالح ، وعندما لم يجدوا أياً من سفننا ، واصلوا طريقهم إلى الهند دون توقف .

قبل وصولهم إلى "كلكتا" وجدوا سفينتين للمسلمين محملة بالبهارات ، كانت في طريقها إلى مكة ، استولوا عليها بالقوة ، وعلموا أن الحرب والنزاع قد دب بين حملتنا وملك "كلكتا" ، لأن

السفن كانت قد جاءت بعد أن شحنت حمولتها من هناك . قبطان سفننا الأربع ، وهو "جونزالو ماليترا" ، قام في الحال بتفريغ سفينتي المسلمين وأنزل بعض البحارة على الشاطئ ، وأخذ البقية كأسرى ثم قام بإحراق السفن .

وجد في تلك السفن امرأة يهودية من "إشبيلية" ، أخبرته أنها هربت من "إسبانيا" بسبب محاكم التفتيش في الإسكندرية بمصر ، ومن هناك إلى القاهرة ، ومن ثم إلى الهند ، وقد كانت في المدينة عندما اندلعت المواجهات العدائية بين سفننا وملك "كلكتا" ، وكانت قد سمعت أن الملك كان السبب في هذا النزاع ، لأنه سمح للإشاعة بالانتشار بين التجار بأن قومنا هم لصوص وسيقومون بتدمير وتخريب المدينة ، أيضاً قالت إن بعض البرتغاليين الجرحى ظلوا في "كلكتا" وأُخذوا كأسرى .

ولأن قبطاننا لم يكن يود توصيل هذه اليهودية إلى الشاطئ ، فقد قامت بعد أيام قليلة برمي نفسها في البحر وغرقت . بناء على تلك المعلومات ، واصلوا الإبحار حتى "كلكتا" ، وعند المدخل إلى الميناء ، أفرغوا كل أسلحتهم ، وبعثوا بثلاث سفن إلى داخل الميناء ، ثم تظاهروا بالمغـادرة ، لمسافة ليست بعيدة استولوا على سفينة تعود لملك "كلكتا" ، وقد أحضروا لي منها بعض المجوهرات ذات القيمة العالية :

ألف وخمسمائة لؤلؤة تبلغ قيمتها ثمانية آلاف "دوكات" ،

وثلاث من أدوات الفلك الفضية غير معروفة للفلكيين لدينا ، كبيرة ومزخرفة بطريقة جيدة ، أحببتها كثيراً . قالوا إن ملك "كلكتا" بعث بسفن إلى جزيرة تسمى "سابونين" بواسطة تلك المعدات ، وأن معهم قبطاناً جيداً وخريطة ملاحة لتلك الأنحاء .

القبطان معنا الآن هنا ، وأقوم بتعليمه لغتنا حتى يتمكن من تعريفنا على استخدام تلك الآلات الفلكية . بقية بحارة السفينة والسفينة نفسها تم إحراقهم أمام ميناء "كلكتا" .

عندما سمع الملك بذلك بعث بسفن لإغلاق الميناء وعزلها عن البحر ، مع بعض السفن المسلحة التي واجهت سفننا الأربع التي لم تغادر لمدة عشرين يوماً ساحل "كلكتا" ، متسببة في أضرار بليغة بقدر الإمكان على ذلك الأسطول ، وقد واجههم القبطان معتقداً أن سفن المسلمين لن تستطيع الإبحار عكس الرياح ، وعليه في الخامس عشر من شهر ديسمبر من تلك السنة ، وبعد الظهر ، على بعد ستة عشر فرسخاً من جانب "كلكتا" ، اشتبكوا معهم ، وأخذوا الأسطول ناحية البر .

في المواجهة الأولى أغرقوا سفينتين إلى الأعماق ، لأنها كانت كما قلت بأعلاه ضعيفة البنية ومصنوعة من القصب ، وعن طريق المدافع ونيران القذائف تغلبوا عليها وأحرقوا ثلاثاً منها ، عند هبوط الليل وصلت المعركة إلى نهايتها ، لنشكر الرب لعدم قتل أي من رجالنا بالرغم من إصابة البعض بجروح بواسطة السهام ، وذلك

لأنهم ما كانوا يرغبون في الاشتباك مع العدو بالطريقة التي كان يرغب فيها العدو .

في الصباح التالي لم يشاهدوا أي شيء من أسطول العدو ، وعليه توجهوا ناحية "كلكتا" . في الميناء وجدوا الأسطول في وضع دفاعي ، واستمروا لخمسة أيام في محاولة لسحب السفن للخارج ، إلا أنها لم تغادر الميناء .

قرر القبطان العودة إلى "لشبونه" معتقداً ألا أحد يرغب في الرسو على اليابسة ، بالرغم من تلقيه رسالة من صديقنا ملك "كانانور" يطلب فيها منه المجيء إلى هناك ، إلا أن القبطان لم يكن يريد ذلك ، ولذلك في العشرين من شهر يناير للعام ١٥٠٢م نشر أشرعته وأبحر للوطن .

عند التفافه حول رأس الرجال الصالح ، فقدت إحدى السفن بسبب العواصف ، ثم ومع رياح مواتية وصلت السفن الثلاث الأخرى ميناءنا في الحادي عشر من سبتمبر لنفس العام ، وعليها التوابل ، المجوهرات واللؤلؤ والتي استولوا عليها من السفن الثلاث التي أسروها .

قبل أن تصلنا أخبار تلك السفن ، وخوفاً من أن تكون قد فقدت ، في نفس تلك السنة وفي الثالث من مارس أرسلت حملة أخرى لتلك الأنحاء ، كان قوامها خمساً وعشرين سفينة ، اثنتا عشرة منها تخصنا وثلاث عشرة تعود للتجار ، كانت أصغرها بحمولة مائتي طن .

كان قائد هذا الأسطول هو "بيترو ألفيز كابرال" الذي كان قد

قاد الحملة الأولى . أمرت بأن تذهب ست من السفن لمدخل البحر الأحمر لمنع أي سفينة من مغادرته ، وعلى الأخرى أن تذهب إلى "كلكتا" ودون أن تبرم أي شروط سلام ، فإن ذلك سيتسبب للملك بكل المشاكل التي يستطيعونها ، يمكنهم التحميل في "كوتشين" أو "كانانور" ، والتي رأوا أن ذلك هو الأفضل فيها .

في نفس الوقت ، عليهم إرجاع عشر من السفن المحملة بالبضائع ، وأن تبقى البقية لتشن الحرب على "كلكتا" ، وعلى السفن أن تعود بالرهينتين من "كوتشين" والمبعوث من "كانانور" ، الذي جاء مع الحملة الأولى ، والذي ذهب فرحاً وسعيداً بخبر العودة .

ذهبت كل تلك السفن كما أمرتها إلى "كوتشين" . كانوا قادرين على وصف العادات وأساليب تلك المدينة من خلال تواجدهم داخل منازل المسلمين ، صلت الحملة إلى "كانانور" ، حيث الأمن والعلاقات الودية ، وتم تحميل ثلاث سفن أخرى ، وبذلك أبحرت عشر سفن محملة بالبضائع إلى "لشبونه" في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر من العام ١٥٠٢م ، فقدت أحداها في الطريق ، وسمعنا أنها فقدت على ساحل "سانتا كروز" .

وصلت الأخريات بسلام في الأول من سبتمبر للعام ١٥٠٣م ، مع الكثير من التوابل . فرحنا بوصول التوابل ، وعزمنا على إرسال سفينة بطول ساحل "إسبانيا" ، وأخرى على طول ساحل إيطاليا وحتى البندقية ، وستدرك أن أسطولنا ومنصرفاتنا ليست تخفى

على أحد . كل بقية سفننا ظلت في الهند بموجب الأوامر التي صدرت لها . عادات وسلوكيات "كلكتا" والهند ، كما فهمناها من المسيحيين الاثنين والرهائن من "كوتشين" ، هي كالتالي :

"كلكتا" مدينة كبرى على البر وهي المدينة التجارية الرئيسة في الهند ، تقع على خط عرض خمس درجات . ليست مسورة وبها منازل مبعثرة هنا وهناك شيدت من الرخام والجير ، وتغطى بأوراق النخيل والخشب المزخرفة على نمطهم الخاص . السكان ليسوا داكني البشرة ، لهم حدائق وبساتين مزروعة بكل أنواع الفاكهة ، ونوافير يستحمون فيها لأن على الجميع الاستحمام ثلاث مرات يومياً .

الملك ومرافقوه من الحاشية وثنيون ويسمون "Chaffer" ، يمشي أولئك الرجال وهم عراة في الجزء الأعلى من أجسادهم ، أسفل الجسم يلبسون ملابس قطنية ويحملون دائماً سيفاً ودرعاً ، تلك السيوف عريضة عند الرأس ، الدروع مستديرة وخفيفة جداً ، ولها ألوان عديدة .

تأكل النساء مرتين في اليوم ، ويأكلون الأرز ، الحليب ، الزبد ، السكر والفواكه ويشربون الماء فقط . يغسلون أنفسهم أولاً ثم يأكلون ، وإن لمسهم أحد ما لم يغتسل ، فإنهم يغتسلون مرة أخرى ، يمارسون مراسم احتفالية رائعة ، كل شخص يستطيع يمكنه أكل عشبة تسمى "التامول" (نبات متسلق) عند كل صباح ، تجعل لون الشفاه قرمزياً والأسنان سوداء ، وخوفاً من الإحساس بالكآبة فإنهم يبتعدون عن هذه العشبة في أوقات معينة .

للملك زوجتان ، يرافق كل منهما قساوسة معينون ينامون معهما في غياب الملك ، لذلك فإن الملك يخلف بغير أبنائه ، لكن بأبناء إخوانه ، كما توجد في منزل الملك أعداد هائلة من النساء يكنسن الأرض وينثرن الماء في كل مكان يذهب إليه الملك .

الملك نفسه يُحمل على محفة يسمونها "أندورا" (اندالا) ، يحملها الرجال يحوم حولها الموسيقيون بكل أنواعهم والعديد من الناس الآخرين ، لكن يبقى الجميع على بعد ثلاث "ياردات" منه ، ولا يمكن لمسه إلا من قِبل موظفين خاصين ، وكل من يتحدث معه يبقى رأسه في انحناء ويديه أمام فمه ، فهم ينحنون أمامه واضعين أيديهم فوق رؤوسهم . العمال والرجال من الطبقة الدنيا ، خاصة صيادي الأسماك ، لا يستطيعون حتى النظر إليه أو التحدث معه .

الملك والنبلاء والنساء يحرقون عند وفاتهم ، يحرق الملك على خشب الصندل . الناس الآخرون يدفنون ، وتلطخ أكتافهم ورؤوسهم بالرماد ، ويحلقون لحاهم ويمشطون شعورهم ولهم شفاه طويلة . كما أنهم سحرة ومشعوذون كبار ، يكتبون على أوراق الأشجار بقلم حديدي ودون حبر . يسمى التجار من "كامباي" والذين يعيشون في "كلكتا" بـ "غوجاراتي" وهم وثنيون مثل أهالي "كلكتا" للدرجة التي أن من يقتل فيها عجلاً يقتل هو نفسه ، لا يأكلون أي شيء يموت ، ولا يشربون الخمر .

كل من يأكل حتى على سبيل الخطأ شيئاً محرماً حتى وإن

كان طفلاً يصبح منبوذاً ، وهم أكثر شحوباً من مواطني "كلكتا" ، ملتحون وشعورهم طويلة يجمعونها وتربط بأعلى مثل شعر النساء عندنا ، عفيفون جداً ، للرجل زوجة واحدة فقط لا أكثر . يتاجرون في القطن والمجوهرات . هناك أناس آخرون سود البشرة يسمون الوثنيين ، فاسقون ، كفرة ، يتاجرون في المجوهرات ، اللؤلؤ ، الذهب والفضة ومغرمون جداً بالسحر والشعوذة ويقولون إنهم يتحدثون مع الأرواح عندما يريدون .

يوجد مسلمون أيضاً في ذلك المكان من مكة ، تركيا ، بابل وفارس وأماكن أخرى ، ولهذا السبب فهناك تجارة مزدهرة في كل أنواع البضائع مثل المجوهرات ، اللؤلؤ ، "البازلا" المسك ، الكهرمان ، صمغ اللبان ، والبخور ، خشب نبات الألوه "البورسلين" ، نبات الرواند ، القرنفل ، خشب الصندل ، "الأنثيمون" ، ثمر شجرة "الهجليج" ، "الأكاسيا" وأنواع أخرى عديدة من السلع ، وسنكتب في رسائل أخرى عن مصدرها وأثمانها .

يتعاملون بـ "دوكات" من الذهب الفينيقي ، وعملات من الذهب والفضة والمعدن العادي . يسمون العملة الفضية "فانوناً" (فانام) والتي تساوي عشرون منها "دوكات" واحداً . "زارا" عملة معدنية أخرى ، تساوي خمس عشرة منها "فانوساً" واحداً . في شهر نوفمبر تغادر السفن "كلكتا" في طريقها إلى مكة محملة بالتوابل ، حيث تذهب من هناك براً إلى القاهرة والإسكندرية ، وتشحن من هناك إلى البندقية .

في هذه البلاد مملكة أخرى للوثنيين على حدود "كلكتا" ، يسمونها "نارسنجوا" ، تكثر فيها الخيول والفيلة المدربة على أعمال القتال ، وتحرق النساء في هذه المملكة على أضرحة أزواجهن .

لم نرسل أي سفن في نفس ذلك العام ١٥٠٣م ، لأننا كنا في انتظار أن نسمع أخباراً عن الخمس وعشرين سفينة التي أرسلت في العام الماضي ، ثم عندما وصلتنا الأخبار في شهر سبتمبر من تلك السنة لم يتسن لنا من الوقت لنبعث بأي سفن حتى السنة التالية عام ١٥٠٤م ، عندما قررنا إرسالها .

قمت بإخطار سموك في الحال ، وأمرنا قبطاننا الذي كان في الهند مع خمس وعشرين سفينة ألا يظل هناك طيلة العام ١٥٠٤م ، وأن يبعث بست سفن محملة بالتوابل ، ووصلت في الثامن والعشرين من شهر أغسطس من نفس عام ١٥٠٤م . اثنتان من تلك السفن كانتا ضمن تلك التي بقيت في مدخل البحر الأحمر ، الأربع الأخرى كانت من أسطول القائد . علمنا من تلك السفن الأربع أن قائدنا كان طيلة ذلك الوقت مشتبكاً في حرب مدمرة مع ملك "كلكتا" ، لذلك لم تجرأ أي سفينة بالذهاب إلى هناك .

علمنا أيضاً أن الملك بعث في مرات عديدة يطلب السلام لكن لم يستمع له القائد . أحرقوا في ذلك الوقت إحدى وعشرين سفينة بالقرب من ميناء "كلكتا" ، وحصل منها على كل البضائع والتوابل التي حملها على السفن الست ، كما أرسل لي أيضاً

ست مزهريات من "البورسلين" الرائع ، أربعة دوارق من الفضة وبعض الأواني على الطراز الهندي ، زخارف لآلهتهم من الذهب مع أحجار كريمة رائعة ، من بينها واحد كالجمرة تساوي "دوكات" واحد من الذهب أو أكثر ، وتمثال لأحد آلهتهم مصنوع من الذهب ويزن حوالي ثلاثين رطلاً وعلى عينيه زمردتان رائعتان .

كل تلك الأشياء جاءت على ظهر السفن الأربع التي كانت ضمن أسطول القائد . الاثنتان اللتان في مضيق البحر الأحمر تقولان إن الناس في كل تلك البلاد خائفون ، ولم يحدث أن عبرت سفينة إلى أو خارج المضايق ، بالرغم من أن أسطول السلطان جاء مرتين للاستيلاء عليها ، إلا أن بعض السفن فقدت في الحالتين ، وكان مجموع ما أحرق يبلغ ست عشرة سفينة كبيرة .

عند مغادرتهم سمعوا أن السلطان يعد أسطولاً ضخماً به بعض المسيحيين البارعين في إطلاق المدافع مع العديد منها ، وأيضاً المراكب الخفيفة ، إن كان الأمر يرضي الرب فسنقوم بما هو ضروري للتغلب عليها .

من بين السفن المحترقة ، جاؤوا إلى ضمن أشياء أخرى حوالي خمسمائة رطل من حبات اللؤلؤ باثنتين منها لفخامة جلالتك حتى ترى حجمها ونوعيتها ، ماسة بحجم حجر ضخم ومجوهرات أخرى ، أسدين أليفين مثل الكلاب الأليفة مع مسلمين اثنين لتدريبها ، فرسين فارسين أحدهما منقط والآخر رمادي اللون ،

ليست ضخمة لكنها جميلة وأكثر تناسقاً من أي خيول رأيتها من قبل وحيوانات أخرى جديدة لا يوجد مثلها في بلادنا .

في هذا الحال الطيب ، أبحروا بطول الساحل من "ماليندي" إلى "كلكتا" ، وتمكنوا من إعطائنا هذه المعلومات الخاصة التالية في ذلك الشاطئ . أولاً في مملكة "مقديشو" توجد مدينة ضخمة وجميلة مع قوة كبيرة من الفرسان ، وهي ليست مركزاً تجارياً . بعيداً قليلاً ، جزيرة آهلة بالسكان تسمى "زوجاتيرا" (سوقطرة؟) مع جسر يبلغ طوله الميل ونصف يربطها بالبر الرئيس .

ثم تأتي مضايق البحر الأحمر الفارسي ، حيث توجد جزيرة صغيرة تسمى "سلفار" "Gulfar" (جلفار) ، تكثر فيها اللآلئ من كل نوع . عند مدخل هذا البحر جزيرة أخرى تسمى "اجراموزو" (هرمز؟) ، حيث عدد لا يحصى من اللؤلؤ والخيول التي يثمنها الناس كثيراً من كل تلك الأنحاء .

تعود الجزيرتان لملك مسلم ، ثم تجيء "كامباي" والتي يملكها ملك عظيم وقوي جداً ، تعد أرضاً خصبة لكل أنواع البقول والمحاصيل ، السكر ، البخور ، أقمشه الحرير والقطن ، الخيول والأفيال .

الملك وثني ، لكن قبل سنوات قليلة دخل في رحاب الإسلام . تمارس في المدينة تجارة ضخمة ، لأنها تقع بين الجزيرة العربية والهند ، ويذهبون بطول ذلك الساحل إلى "كلكتا" حيث توجد ممالك أخرى ومدن ، كما عرض ذلك على خريطة الملاحة . السفن التي بعثت بها سابقاً في

شهر فبراير ، كانت اثنتا عشرة منها بقيادة "لوبو سوريز" إلا أنها لم تقبل بعد ، لكنها عادت الآن ، عندما غادروا من هنا سلمتهم رسائل ليأخذوها لصديقنا ملك "ماليندي" ومعها الهدايا المذكورة أدناه :

سرج فرس ، لحام ، مجموعة من الركاب ، مهماز وصديرية مزخرفة بالفضة ومصقول مع خيوط من الذهب ، ستارة سرير قرمزية مزينة بالذهب مع أربع وسائد ، اثنتان من القماش المطرز والأخرى بالقرمزي ، سجادة رائعة كبيرة ، قماش من الساتان مع قطعتين منه باللون القرمزي وأخرى تعمل جلباباً يسمونه عندهم "ميرلوتا" وقطعة من التفته القرمزية لعمل خطوط على الجلباب .

تلقى الملك تلك الهدايا بسعادة غامرة ، وجاء إلى الميناء وقدم كهنته جدياً كقربان خطى هو من فوقه كان برفقته العديد من الناس ، يحملون قوارير مليئة بالعطور ، وطلب من القائد أن يبقى في مينائه تسعة أيام . قام بتزويدهم بكل الطعام باستثناء الخبز الذي لا يوجد عندهم ، ولم يأخذ أجراً على ذلك ، شاهدهم وهم يعدون فرساً بالمعدات التي أرسلتها له ، وكان سعيدا جداً بها ، لأنهم لا يملكون تلك الأشياء .

بعث لي بآلتين موسيقيتين مع عازفين ليعزفا عليها ، يسمى أحدهما "كولتريف" والآخر "ميشاتوت" ، ويعزفان جيداً ، كما بعث لي ببعض المجوهرات وبعض القماش الرائع من الكتان .

غادرت الحملة إلى "كلكتا" لتنضم للأسطول الآخر . اجتمعوا مع ملك "كلكتا" ، وقد حثه القائد على السلام كما أمرته ، وكانا يجلسان في قارب فوق المياه . طلب منه قائدي أولاً أن يعيد لهم تاجري المجوهرات الاثنين اللذين هربا من الحملة السابقة ، وفارساً يدعى "رودريجو رينيل" كان قد اعتقلهم كتعهد بحسن النية . أراد الملـك أن يتـفق على أشـياء أخرى أولاً ، ولذلك تشاجرا وانفض اجتماعهما .

أبحرت الحملة إلى "كوتشين" وواصلت رحلتها إلى "كولين" (كويلون) حيث يعيش الكثير من المسيحيين الذين يملكون الكثير من التوابل التي يقومون ببيعها .

بينما هم يحمّلون السفن سمعوا أن هناك خمس عشرة سفينة ضخمة تشحن توابل من "كلكتا" ، عند سماعهم لهذه الأخبار عادوا إلى "كلكتا" ، حيث وجدوا السفن جاهزة ، وعليها بحارتها على ظهرها ، فتظاهروا بمواصلة طريقهم . عادوا تلك الليلة وفاجأوهم بهجوم في الصباح الباكر ، واستولوا عليها ، أخذوها إلى خارج الميناء وأفرغوا حمولتها ثم أحرقوها وعادوا مبحرين للوطن .

في الثاني من نفس الشهر ، انضمت إليهم الاثنتا عشرة سفينة التي أرسلتها محملة بالتوابل : بقيت الأخرى كالسابق . إن كان ذلك يرضي الرب ، فإنني سأرسل في العام القادم سفينتين محملة بتلك التوابل إلى الشرق حتى لا يقول الناس ما قالوه عن السفينة

التي حملت التوابل ، والتي بعث بها تاجرنا "بارتولوميو فلورينتينو" "Partholomew Florentino" ، والتي غير اتجاهها نحو "بروفنس" .

أبحرت ست من تلك السفن إلى مدخل البحر الأحمر ، وكان القائد "رودريجو بالاريس" "Roderigos Palares" ، سأقدم تقريري لجلالتك عن ذلك فيما بعد . ذهبت السفن الأخرى أولاً إلى ملك "كانانور" الذي بعثت له برسائل وأعدت له مبعوثه ، استقبلهم بلطف وجدد صداقتنا .

أخذ القائد معه القليل من الحمولة ، لأنه أراد أولاً أن يذهب إلى "كلكتا" و"كوتشين" ، ولذلك واصل رحلته إلى "كلكتا" مع تسع عشرة سفينة ، حيث ولعدة أيام تسبب في إحراق وتدمير في البر والبحر ، بالرغم من عرض الملك لإبرام سلام ، لكنه لم يقبل بذلك .

استقبل القائد بعد ذلك بحفاوة من قبل ملك "كوتشين" ، وبعث للشاطئ بالرهينتين وهو معهم ورهائن آخرين ، والتقى بوكيلي التجاري ومعه الرجال السبعة من الآخرين والذين تمت إعادتهم له . قدم للملك رسائلنا والهدايا التالية ، شكراً على سلوكه الرائع تجاه حملتنا الأولى :

تاج من الذهب مزين بالجواهر ، قبعة بحواف مذهبة مع خواتم على شكل هلال ، دورقين من الفضة بزخرفة جميلة ، سجادتين كبيرتين رائعتين ، قطعتي قماش من "الساتان" ، خيمة مصنعة بطريقة جيدة مع لوازمها ، قطعة من الساتان القرمزي وأخرى من

الشاش الرفيع . سر الملك كثيراً بتلك الأشياء خاصة عندما نصبت الخيمة في الخارج ، عندها أبرما معاهدة سلام وصداقة ، وقدموا منزلاً لوكيلنا التجاري مع ترخيص كامل للمتاجرة بقدر ما يريد .

مع هذا بعث لي رسائل ، والهدايا التالية :

سوارين من الذهب مع الكثير من المجوهرات حسب طرازها ، حامل شمعة مصنوع من الفضة بجمالية رائعة وغاية في الطول قطعتين من قماش قطني ، حجر كريم بحجم حبة البندق ، قال إنه من رأس حيوان نادر يسمى "بيرغولداف" ، ترياق لكل أنواع السموم .

وبعدها حملوا سبع سفن بالتوابل ، كما اشتروا بعض المجوهرات أيضاً .

أرسلنا مع الحملة اثنين من تجار المجوهرات الإيطاليين جاءا من روما ، أراد منهما القائد أن يبقيا هناك لشراء المجوهرات باسمنا ، لكنهما ذهبا فجأة إلى الشاطئ وهربا لملك "كلكتا" ، وبناء على ما سمعنا فقد استخدمهما كخبراء في المدفعية .

أبحرت الحملة من هناك تاركة خلفها الوكيل التجاري وبعض الرجال الآخرين ، واتجهوا ناحية "كلكتا" ، بعد أن أخذوا بعض السجناء من بينهم رجلين جريحين كانا قد بقيا هناك أثناء الحملة الأولى ، وهم معنا الآن ، وظل السجناء الآخرون مع أولئك الرجال .

جاءت سفينتان مع ذلك الأسطول ، كان قبطاناهما "ريلورينز" و"سالدانها" ، واللذان غادرا من هنا العام الماضي في طريقهما إلى الهند مع الأسطول ، قد اتضح أنهما قضيا وقتهما في البحر الأحمر في بعض الجزر ، حيث ظلا هناك ستة عشر شهراً ، ولم يحصل أسطولنا الآخر على أي أخبار عنهما .

خلال ذلك الوقت أسروا وأحرقوا العديد من السفن ، وقاموا بالعديد من الغارات على البر ، لأن إحدى السفن "تافوريا" كانت تحمل عشرين فرساً ، لها مؤخرة مفتوحة مع قاعدة من الألواح الخشبية بطول ثلاثين "ياردة" تفتح عند الشاطئ حتى يتم إدخال الخيول أو إخراجها .

بهذه الطريقة تسببوا في إلحاق أضرار كثيرة حتى إن ملك "كانيبار" وملك "بربرة" ، سادة عظام ، قدموا لهما ثلاثين ألف مثقال من الذهب حتى ينالا الأمن والسلام منهما . المثقال يساوي ١،٥ من عملة "الدوكات" . عادا بذلك المبلغ والعديد من الغنائم الأخرى .

في مارس من العام الحالي ، أرسلنا ثلاثين من السفن المسلحة جيداً لتلك البلاد ، وأمرناهم بإرجاع أولئك الذين هناك ، وطلبنا من اثنين منهم الذهاب لاكتشاف "تابربين" (سيلان) ، التي قالوا إنها في الجوار .

على أربع من السفن الذهاب إلى "سوفالا" حيث نأمل في إبرام اتفاق للتجارة ، نتوقع أن يتم ذلك ونحن نعد بعض السفن للسنة

القادمة ، لينعم الرب على جلالتك الموقر بحياة طويلة من الأمن والسلام ونحن أحياء معك لنرى ذلك وننعم بملاحة هادئة وآمنة في البحار ، حمداً للرب .

طبع في روما ، بواسطة "جواني دي بيسكين" ، في العام ١٥٠٥م ، في الثلاث والعشرين من شهر أكتوبر .

أحداث عام ١٥٠٦م

بعث "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" في (مارس – إبريل) عام ١٥٠٦م ، برسالة إلى "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" "D . Francisco de Almeida" ، نائب الملك في الهند يذكره فيها بالتعليمات التي صدرت إليه من الملك بخصوص التعامل مع الملوك في البحر الأحمر :(١٧)

– لم يذكر هذا التاريخ في الوثيقة التي كتبت بيد وزير الخارجية ، "أنطونيو كارتيرو" ، بل مسودة لرسالة من الملك "مانويل" إلى "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" ، وهي تفيده بالتعليمات التي حملها "تريستاو دا كونها" و"أفونسو دي البوكيرك" ويأمره فيها بإرسال سفن إلى "ملقة" ، "سيلان" ، "جزر كلوفز" . . . إلخ

بلا شك فإن هذه الرسالة تعود لمارس أو إبريل عام ١٥٠٦م ،

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

لأن محتواها يوضح أنها أرسلت لنائب الملك وأسطول "تريستاو دا كونها" الذي أبحر من "لشبونه" في تلك السنة ، إما في السادس مارس أو في الخامس إبريل . ذُكر التاريخان المختلفان على التوالي من قبل "جواو دي باروس" وابن "أفونسو دي البوكيرك" .

"باروس" ، خلال العشر سنوات من كتابة "آسيا" (الجزء الأول ، الكتاب الأول ، الفصل (١)) يشير إلى مغادرة "تريستاو دا كونها" من "لشبونه" في السادس مارس عام ١٥٠٦م (Palm Sanday) برفقه أربع عشرة سفينة ، كانت إحداها بقيادة "أفونسو دي البوكيرك" الذي عين كقائد لأسطول صغير ، يتألف من خمس سفن الذي كان عليه المرور بالساحل العربي .

وقد ذكر في الجزء (١) الفصل (٧) من "Commentarios do grande Afonso de Albuquerque" أن "تريستاو دا كونها" غادر في الخامس إبريل صباح ذلك اليوم ، وذهب إلى الميناء مع كل الأسطول الحربي باستثناء "أفونسو دي البوكيرك" الذي ظل خلفه في "بيليم" مع سفنه في انتظار قبطانه ، وأبحر في اليوم التالي بدون القبطان معتمداً على تجربته الكبيرة في البحر وتجربة "ديوغو بيتيرا" رئيس بحارة سفينته الذي ذهب مرتين إلى الهند .

أطلعه "تريستاو دا كونها" أيضاً أنه سيعطيه أفضل قبطان في الأسطول محتفظاً فقط بكبير القباطنة ، لعل تلك الوثيقة دون أدنى شك لسنة ١٥٠٦م .

تكون الأسطول من أربعة سفن متصلة ببعضها البعض مع أخرى طليقة . يقرأ المرء في الصفحة الأولى على رأسها " إلى دوم فرانسيسكو" ، في السطر الثاني يظهر حرف "م" (minute?) شطب الجزء الثاني:

مادة: تعليمات "أفونسو دي البوكيرك" (على الهامش "في الوقت الحاضر") .

مادة: تكتب الرسائل الأخرى (على الهامش "في الوقت الحاضر") .

مادة: تعليمات وسلطات "تريستاو دا كونها" .

مادة: سلطات "أفونسو دي البوكيرك" .

مادة: تفاصيل بيان "تريستاو دا كونها" .

مادة: تذكر البضاعة التي يجب أن تؤخذ إلى "سوكو" . . إلخ (في الهامش خمسمائة (؟) قنطار من النحاس) .

مادة: تعليمات تنفذ بواسطة "أفونسو لوبيز" .

مادة: تعليمات للضباط والوكلاء التجاريين وموظفين آخرين .

تبدأ الوثيقة من الصفحة الثالثة ، الصفحة الثانية خالية .

نحن ، الملك ، أبعث بتحياتي لصديقنا "دوم فرانسيسكو" .

في التعليمات التي أخذتها معك أوضحنا فيها ما عليك القيام

به في مدخل البحر الأحمر ، لضمان وأمن المسائل التي تتعلق بمصالحنا . بجانب ذلك ، فإن ذلك سيمنحني كامل الرضا إذا علم بين الكل أننا احتلينا مدخل ذلك البحر ، وأن سفننا وقواتنا تتواجد هناك ويراها الجميع .

تبين لنا أن من الأعمال العديدة التي عليك إنجازها والتقيد بها في أرض الهند ألا تجد الوقت الكافي ، لذلك رأينا أن يقوم "تريستان دي كونها" الذي كان في طريقه كقائد لأسطول ، ويرافقه "أفونسو دي البوكيرك" أن يلبي رغباتنا دون ضياع الوقت في الرحلة طالما أن طريقه يمر عبر ذلك الاتجاه .

من المعلومات التي لدينا عن جزيرة "سوقطرة" التي تقع عن مدخل البحر الأحمر وعلى بعد عشرين فرسخاً من "رأس غاردافوي" ، أنها مكان به العديد من الموانئ الصالحة طول السنة ، وهي مليئة بكل أنواع المؤن والمواد ويسكنها الكثير من السكان المحليين المسيحيين وقلة من المسلمين . إنها الميناء الرئيس الذي تلجأ إليه السفن ، ليس فقط للسفن القادمة من مكة لكن أيضاً كل سفن المسلمين الأخرى .

بما أنها قريبة جداً من "زيلع" ، و"بربرة" وعدن ، وهرمز وكل الأماكن الأخرى على جانبي خطوط الساحل ، لكن على الأخص بسبب رغبتنا العظيمة في أن تكون لنا قلاع وقوات هناك ، فإننا نخول "تريستاو دا كونها" ورفيقه "أفونسو دي البوكيرك" أن يحتلا الجزيرة

المذكورة وبناء قلعة هناك . مستخدمين نصف المدينة الخشبية التي يقومون بنقلها ، وعندما تكتمل ، فإن على قبطاننا وقواتنا أن تبقى هناك لحراستها والدفاع عنها ، بينما على "أفونسو دي البوكيرك" أن يبقى هناك مع أسطولنا ، ونأمره بحراسة مدخل البحر الأحمر والاستيلاء على سفن المسلمين وحيازة كل الغنائم التي يحصل عليها ، وأن يبرم معاهدات مع تلك الأنحاء حيثما ومتى في ذلك فائدة ونفعاً مثل "زيلع" و"بربرة" وعدن .

بناءً على التعليمات التي أصدرناها ، فإن عليه أيضاً الذهاب إلى هرمز و"كامباي" حتى يتعرف على كل شيء عن تلك الأنحاء ، حيث هناك الكثير ليستكشفه ، والذي نأمل أن نجني منه ربحاً وفيراً . نطلعك على هذا الأمر بهذه الطريقة حتى تكون على علم بكيفية إرسالنا له وما دفعنا لذلك ، كما آمر لاحقاً أنه عند وصول "تريستاو دا كونها" أن يبعث إليك بمركب مع هذه الرسالة وبكل تفاصيل ما يقوم به ، حيث تكون أنت في وضع تأمره فيه بالإعداد لبعثته .

كما عليك أيضاً أن تكون مستعداً للبيان أدناه والذي يؤكد وينسجم تماماً مع مصالحنا:

أشرنا إليك عبر سيد "باربودو" "Barbodo" لم تكن قد بعثت بسفن إلى "ملقة" فمن الضروري أن تقوم بذلك دون تأخير ، لأن هناك مشكلة نشأت تتعلق بالأسطول القشتالي (الإسباني) والتي بلغنا أنه يستعد بالذهاب للبحث عن تلك البلاد في هذا الصيف .

بما أن هناك شكاً أن "ملقة" تقع في مجال نفوذنا ، فإن استيلاءنا عليها ، أولاً يقوي ويدعم ادعاءنا بامتلاكها ، سيسرنا كثيراً إن تصرفت بناء على ذلك ، لأنه يعد بلداً مهماً قد نجني منه ثروة وفائدة عظيمة ، عليه فلكما تصرفت بسرعة كلما كان ذلك أفضل ، بوجود قلعة وقوات ومعاهدة يمكننا الاستعداد بإعاقة أماني أولئك الذين يبحثون عنها .

حسب مصادرنا ، طالما أن الرحلة من الهند إلى "ملقة" تستغرق نفس الزمن مثلما من هنا إلى الهند ، فيبدو من الصحيح أن تبحر أنت مباشرة من "ملقة" مع السفن التي تحت تصرفك تاركاً خلفك في الهند تلك التي مع "تريستاو دا كونها" ، وهي : السفينتان الكبيرتان والمركبان الشراعيان والزورق وهي تبدو كافية لاحتياجات القلاع الهندية ، ورغم ذلك نترك لك القرار النهائي .

أسس قاعدة في "ملقة" ، وإبرام معاهدة ، وشيد قلعة . تجنب الصراع مع السكان المحليين ، وأعمل جاهداً لتبعد الشكوك عن أذهانهم ، أخبرهم كيف نحن سعداء أن تكون لنا قاعدة للتجارة معهم وأطلعهم على أن قلعتنا هي مجرد حماية لقومنا وتجارنا وبضائعنا لأن الرحلة طويلة جداً ولا تستطيع السفن زيارة هذا المكان كثيراً أيضاً وعند وصولهم فإنهم يريدون أن تكون حمولتهم جاهزة لشحن .

قدم أي أسباب أخرى وجيهة يمكنك التفكير فيها ، وبهذه

الطريقة فإنك ستمهد لفرصنا هناك ضد ذلك "القشتالي" المترنح . أعد نفسك لخدمتنا في هذا الأمر حيث إننا نود الاستفادة كثيراً من مغادرتك ، ولا ندري كيف يمكننا تحقيق هذا العمل بدونك أنت وبحارتك .

جاهد كثيراً لتؤسس لنفسك وضعاً هناك ، قم ببناء حامية وضع عليها سفينة "باراو" أو أي علامة أخرى لتدل على امتلاكنا لها . خذ معك "مانويل بيشانهاس" "Manuel Bechanhas" كقائد لقلعة "ملقة" وابنه كحاكم إقليمي .

صـــدر الأمـــر لـ "دييجو دا فونسيكا" "Diego da Vonsica" ليكون الوكـــيل التجـــاري ، سيظل "فاسكو جوفيتر دا كابريو" "Vasco Juviter da Caprio" كقائد على "أنجيديفا" ويكون الحاكم أي شخص ترى أنه الأفضل ، سيعمل هذا الشخص أيضاً كوكيل تجارة هناك .

نحن على ثقة بأن "دييجو دافونسيكا" سيعتبر أن نقله هذا إلى "ملقة" هو للفائدة وللمصلحة هناك . بوجود المحطة التجارية والرئاسة ، كما أن فعل في "أنجيديفا" .

في حالة وفاة "مانويل بيشانهاس" أو منع من مرافقتك ، عندها يجب أن يحل محله "لورنزو دي بريتو" كقائد ، ترك الأمر لتصرفك فيمن يبقى في قلعة "كلوة" (إن كانت قد شيدت) .

سنبعث برسائل تخويل "لمانويل بيشانهاس" و"لورنزو دي بريتو" ، فقط سلم الرسالة للشخص الذي ستأخذه معك ، إذا لم يذهب "مانويل بيشانهاس" بل ذهب "لورنزو دي بريتو" فعلى "فاسكو جوميز" أن يبقى في "كلوة" . عندما تكمل بإذن الله الرحلة وتقوم ببناء القاعدة المذكورة والقلعة ، فمن الأفضل أن تبقى الأسطول الصغير هناك . إحدى السفن وسفينة تجارية ومركب شراعي ستكون كافية لحراسة القلعة .

ستضع قوانين لإدارة شؤون القلعة ولأي أمر آخر ، نحن نأمر بأن يكون "جواو دا نوفا" قائداً للأسطول الصغير وهو قائد ذو تجربة ورجل بحار بتاريخ رائع وناصع .

السفن التي عليها أن تبقى هي السفينة الجديدة التابعة "لفرانسيسكو دي تافورا" وأخرى ضخمة ومركب شراعي من اختيارك ، ينتقل "فرانسيسكو دي تافورا" للسفينة "فرول دي لا مير" "Frol de la Mar"[أ] وأحضر معك حمولة من البهارات عندما تعتبر أن سفينته جاهزة للإبحار بأمان .

رئيس البحارة والقبطان يستطيعان الإبحار في السفينة الأخرى الخاصة "بفاسكو جوميز" ، إذا كنت ترى أنهم يستطيعون قيادتهم ، في حالة عدم إمكانية ذلك استخدم أي أشخاص آخرين تفضلهم

(أ) "Flor de Mar" تختلف التهجئة كلياً اسم السفينة إسباني ، في البرتغالية يقال "Flor do Mar" . . ، وقد طبعت في كل صفحات "Cartas" على أساس "Flor de Mar" .

أنت ، لكن يجب أن تحمل على ظهرها حمولة من البهارات إذا رأيت أن فريقاً من السفن يجب أن يبقى هناك ، فعليك التصرف بناء على ما تقتضيه الظروف المحلية وما يمليه عليك حسك وتقديرك الخاص .

ونحن نثق تماماً في قرارك ، بناء على الأوامر تقوم سفينة "تريستاو دا كونها" ينقل كمية من الخشب نصفها للقلعة التي في "ملقة" والنصف الآخر إلى "سوقطرة" ، ويحملون أيضاً للاستخدام في القلعة المذكورة ثلاثين قذيفة مدفع ومدفعين كبيرين وأربعة مدافع خشبية .

الحصن الخشبي سيحتوي مساحة كبيرة بقدر الإمكان وكل ما تتم الحاجة له سيتم نقله إلى هناك لجعله أكثر قوة وأمناً أرسلت المعاول والمجاديف ومعدات أخرى لبناء القلعة ، وأيضاً أرسلت بعض الرماح .

نترك لك اختيار من سيترك هناك للحراسة والدفاع عن القلعة المذكورة ، وسيكون من بين الأشخاص الذين برفقة "تريستاو دا كونها" ومن الآخرين الذين هناك من قبل . أوامرنا للقائد والوكيل التجاري والموظفين الآخرين هي نفسها تلك التي صدرت للقلاع الأخرى .

أما بخصوص موقع الحملة ، نود أن نذكرك بما نراه له الأسبقية في كل الأمور : يجب أن يكون الموقع محكماً وصعب الاختراق ،

صحياً ويشكل ميناء آمناً لسفننا ، وأن يكون له مصدر للمياه العذبة داخل الموقع أو قريباً منه وأيضاً في مكان يسهل فيه تبادل البضائع والسلع وتخليصها ، إذا كان صعباً بناء القاعدة في "ملقة" نفسها فعليك بناءها على جزيرة مناسبة .

يجب أن تنفذ الرحلة إلى "ملقة" بشرط أنه عند مغادرتك يجب ألا تتعرض أمورنا في الهند إلى الخطر ، وإن كنت ترى أن الأمر سيتم بطريقة صحيحة ودون أن تحدث أي مشكلة ، أما من جانبنا فيكفي أن تكتب الاحتياجات التي يجب أن تتم في "ملقة" والطريقة التي يجب أن تتم بها ، نثق في حكمك وتقديرك ، ونؤمن تماماً بقدرتك على أداء أفضل ما يمكن من جانبك لما فيه مصلحتنا .

حاول عند ذهابك أن تستكشف الحقائق عن المكان الثروة والمصالح التي يمكن أن تصرف الناس الآخرين ، الذين بالبلاد ومع من يتعاملون ، وما هي أكثر السلع تكلفة ، وما هي أفضل المنتوجات وأسعارها ، تأكد إن كانوا في حرب ومع من؟ من هم المحاربون الذين هناك ونوع السلاح الذين يستخدمونه؟

ابحث إن كانت هناك مراكز تجارية أجنبية ، ومن أي الجنسيات ، إن كانت للبلاد العديد من السفن ، وما هي أحجامها ، إن كانت لهم موارد للغذاء وما هي أنواعها ، وإن كانت تأتي من الخارج أم من نفس البلاد أيضاً ، تحقق إن كان لهم ملك وكيف يعيشون؟ وإن كانوا يحكمون بطريقة عادلة وكيف يتم إرساء العدالة فيما بينهم .

اجمع بنفسك معلومات عن أي مسائل أخرى تتعلق بالبلاد ترى أهميتها وحتى تخطرنا بها . عندما تصبح القاعدة جاهزة ، عد مرة أخرى للهند وقم بممارسة ومتابعة كل المسائل التي أمرت أنا بها وأي شيء آخر لنا فيه مصلحة ، اكتب لنا بالتفصيل عن كل ما تقدم به .

يبدو من المناسب وأنت تقوم بهذه الرحلة أن أذكرك عن جزيرة "سوقطرة" ، يقال إنها تشتهر بثرواتها الهائلة وأيضاً جزيرة القرنفل وجزر أخرى قريبة من بعضها البعض .

نأمرك بأن تتحقق وتقوم بمسح تلك الأماكن لترى مقدار الربح الذي يمكن أن نجنيه منها ، وضع سفينة "باراو" وأي علامة لتشير إلى امتلاكنا للمكان ولتدعم وجودك هناك .

حاول أيضاً إن كنت تستطيع إخضاع ملوكهم ونبلائهم وجعلهم تحت طاعتنا ، تأكد من قدرتك على جمع نفس النوع من المعلومات عن تلك الجزر كما أشير إليك القيام به عندما تعلق الأمر بـ "ملقة" ، ستمنحنا الكثير من الفرح إذا التزمت بكتابة كل شيء تكتشفه وتقوم به وبعثت لنا بالمعلومات في أول سفن عائدة إلى هذه المملكة بمشيئة الرب .

عند رحلة العودة يستحق أن تبحر إلى سيلان وهي مكان مهم في الهند حسب ما جاء في التقرير ، وإن كنت ترى أن معك سفناً كفاية ومستخدمين وموظفين بما فيه الكفاية فإننا نرى من مصلحتنا أن تقوم ببناء قلعة هناك وتترك بعض الأشخاص والسفن هناك لتأمينها .

عليك العمل بجهد لتأمين المصالح التي توفرها هذه الجزيرة من القرفة الممتازة ، وكل أنواع القرنفل وكل بهارات الهند بجانب أن سيلان قريبة جداً من "ملقة" ولخليج البنغال الذي تغادر منه كل السلع الهندية ، كما أنها في موقع استراتيجي وقريب من "سيلي" "Caile" حيث يسهل مراقبة وتسجيل كل تحركات السفن والنقل من "ملقة" والبنغال ، وهي قريبة من "أرخبيل" اثنا عشر ألف جزيرة حيث يجعل اكتشافها مناسباً ويستحق الاهتمام .

بناء على ما سمعنا فإن "تابوبرانا" التي تعرف الآن بسيلان تقع على مسيرة يومين أو ثلاثة أيام عن طريق البحر من الهند ، وقد كانت دائماً محط إعجاب وإطراء لثروتها من كل كتاب العالم ، لذلك ستكون مصدراً عظيماً من الرضا أن تكون لنا قاعدة رئيسة ، وقلعة هناك في المنتصف تماماً لقلاعنا الأخرى وممتلكاتنا ، وفي موقع يقدم العون والمساعدة في حال احتجنا إليها .

قد يبدو أن هناك الكثير من الأشياء التي يتوجب القيام بها في هذه الرحلة ، لكن بما أن كل تلك المسائل بين يدي الرب وهو القادر على تحقيقها وليس بأي جهة أخرى فإننا على ثقة ويقين برحمته الواسعة وسيساعدنا في كل ما نقوم به ، وعليه فإنها رغبتنا أن تترجم كل أعمالك على ضوء ذلك وأنك لن تتقاعس أو تفتر همتك ، لكن عليك تنفيذ ذلك بكل وسيلة جيدة وقناعة تامة لأننا نعتبرها أهم السبل التي يمكنك من خدمتنا بها هناك .

وفي العام نفسه (١٥٠٦م)

بعث "جاسبار دي أنديا" "Gaspar de India" ، بتاريخ شهر نوفمبر عام ١٥٠٦م برسالة إلى "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" يخبره فيها عما صادفه في الهند :[١٨]

سيدي . .

نحن بخير ، لكننا قلقين لعدم قدوم أي سفينة من الأسطول في هذه السنة ، والمسلمون يتحرشون بنا على طول الساحل .

سيدي . .

آمل أن تقوم جلالتك بمنحي جائزة تقديراً لولائي ، وأن تستمر في إظهار تقديرك وتكريمك لي ، إنني أعمل ليلاً ونهاراً في خدمة "دوم فرانسسكو دي ألميدا" ، وأقوم بزيارة كل الموانئ ، للتأكد من أن كل الاتفاقيات التي تمت مع المسلمين يتم التقيد بها واحترامها .

---

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

إن حاول المسلمون ابتداع أي ممارسات جديدة ، فإنني أؤكد أنهم يقومون بذلك طبقاً للاتفاقية الأصلية .

استخدمني "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" دائماً للتحقق من الطريقة التي يؤدي بها وكلاؤك التجاريون تجارة الفلفل والأدوية ، وللتأكد من أن كلاً منهم يقوم بذلك بطريقة صحيحة . من واجبي أيضاً أن أتعرف إن كان أيٌّ من البرتغاليين يتعامل في بضائع ممنوعة أو سرق ذهباً أو فضة من "ممباسا" .

أكتشف في كل نائب بالرغم من أنه يعد رجلاً أميناً إلا أن نائب الملك يعامل النبلاء والموظفين الذين يرتكبون الجرائم بطريقة لينة ومتساهلة ويميل كثيراً للعفو عنهم . أجد نفسي في مشكلة لأنه وعبر إخلاصي لجلالتك فإنني أكتشف سرقاتهم .

سيدي . .

ضمن أولئك الذين يأتون إلى الهند هناك قلة منهم يملؤون جيوبهم ، وأنا أحتج ، لكنهم لا يعتبرونها جريمة أو معصية ليسرقوا من جلالتك .

سيدي،

أنا لا أفيد بتلك الأحداث من منطلق الخبث والحقد ، وإنما قصدي هو فقط خدمة مصالحك ، أجد أولئك المتهمين بإحضار بضائع ممنوعة/ "بالاسم" المرجان ، من البرتغال/ أجد الإسباني

"القشتالي" من "جوادا لاجارا" . تغاضى وعفا عنه "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" لأنه كان أحد النبلاء وأيضاً لأنه صديقه ، ليس ذلك فقط بل قام بترقيته إلى منصب قائد فرسان "ممباسا" والذي كسب من ورائه كثيراً وحقق ثروة .

عندما أتى إلى "كانانور" جعله نائب الملك حاكماً براتب سنوي قدره مائة وعشرون ألف ريال بالإضافة لعدة قناطير من الفلفل ، حتى إنه قدم الطعام والأجور لاثنين من خدمه الزنوج ، بعد هذا استغل "القشتالي" (الإسباني) صداقته وارتكب جرائم أخرى تتعلق مباشرة بالمسلمين .

سيدي . .

"دوم فرانسيسكو دي ألميدا" رجل جيد ومخلص لكنه لا يستطيع أن يتصرف ضد كل أولئك الذين يتآمرون لسرقة جلالتك ، "أنطونيو ريل" ليس من تلك الشرذمة لذلك يتمنون له السوء لأنه يخدمك بطريقة جيدة ونظيفة .

سيدي . .

إن جزءاً من أسطول العام ١٥٠٦م الذي جاء بـ"دوم فرانسيسكو دي ألميدا" أبحر في الأول من يناير ، وبعض القباطنة باعوا بضائع ممنوعة في القلاع على طول ساحل "كلكتا" .

في الأول من سبتمبر بعثني نائب الملك مع "جاسبار بيريرا"

"Gaspar Pereira" على سفينة القائد "رودريجو ريبلو" إلى "كانانور" ، وموانئ أخرى لنعرف من كان يبيع تلك البضائع الممنوعة .

وصلنا إلى ميناء "باتيكالا" في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، وألقينا مراسينا هناك . قمنا ، و"رودريجو ربيلو" و"جاسيار بيريرا" وشخص بالدخول إلى مركب بالقرب من مدخل النهر وبعثنا برسالة للحاكم للتأكد إن كان دخول المدينة آمناً ، حيث كان هناك العديد من المسلمين ، في تلك اللحظة رحب بنا أحد المسلمين الموثوق فيهم من قارب صغير ، وصرح علناً وبناء على تعرف شخصي منه بأنه كان صديقاً لـ"بيرموديز" الذي اشتري منه المرجان .

عند وصول الحاكم أخذنا تحت حمايته ، وأبحرنا على طول النهر في مركبه ، أخطرناه ببعثتنا وسألناه إن كان أياً من قومنا يرتكبون أعمالاً خاطئة من بلاده ، أضفنا إن عليه أن يطلعنا على الحقيقة وعن مدى إخلاصهم ونزاهتهم ، أجاب المسلم بعدم وجود أي شخص مذنب أو أعمال منافية ، أما بخصوص المتاجرة فإن "بيرموديز" قد باع الكثير من المرجان ، وقد أخذ من واحد إلى خمسة "بارداو" حسب النوعية .

في يوم الجمعة الثاني من شهر أكتوبر ، وصل أحد المسلمين إلى الميناء وسألني إن كان مع "جاسبار بيريرا" أي شيء للبيع ، فأجبت بـ "لا" ، وأفادنا أن "بيرموديز" "Permodes" قد سلمه الكثير من ذهب "ممباسا" لبيعه ، وعندما قام بذلك كافأه "بيرموديز" بأن أعطاه

عباءة . الكثير من المسلمين أيضاً أقروا أن "بيرموديز" قد باعهم جوازات عبور لسفنهم ، أطلعونا على بعض منها ، وقد منحت دون إذن من نائب الملك .

في نفس اليوم حذرني مسلم آخر بألا أثق في المسيحيين . سألته عن السبب ، فأجابني أنه عندما كان "بيرموديز" في "باتيكالا" رست سفينة عربية بالقرب من المدينة ، وبعث "بيرموديز" بكاتبه "دييجو فيلهو" إلى الشاطئ ، وقد تقرب منه بعض الموظفين المهمين في المكان لمنحهم جواز عبور لتلك السفينة ، وقد منحهم إياها لكن كتب عليها : أيها القائد ، عندما تعترض هذه السفينة خذها ، أو اتركها .

يعتقد المسلمون أن كل رجال نائب الملك موثوق فيهم ، لذلك وضعوا ثقتهم في ذلك الإذن بالعبور ، لكن عندما أبحروا ألقى "بيرموديز" القبض عليهم ، عند هذا بعث كبار الشخصيات بسفيرهم إلى "بيرموديز" ، ليشتكوا من هذا لتصرف وكانت إجابته أن ليس لكاتبه السلطة في إصدار مثل تلك التراخيص وتمسك هو بجائزته ، وبذلك لطخ "بيرموديز" السمعة الحسنة للبرتغاليين وفقد ثقة السكان المحليين الذي أصبحوا فيما بعد كارهين للتجارة .

سيدي . .

لقد اقترف "بيرموديز" وكاتبه ذلك الخطأ معاً ، وإن أنكروا ذلك فهناك شهود لما قاموا به ، صلنا إلى "كانانور" ، ونحن في طريقنا إلى "كوتشين" في العشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٠٦م ، وهناك أفاد

أحد المسلمين والذي يدعي أنه صديق "لروي فرير" أن الأخير قد دفع له سبعمائة "كروزادو" عن الذهب والفضة التي جاءت من "ممباسا" ، وبالمقابل أعطى "روي فرير" كمية كبيرة من اللؤلؤ وبعض خيوط القطن الرفيعة من البنغال التي تستحق في جملتها حوالي ثلاثة آلاف "كروزادو" في "لشبونه" .

ادعى نفس المسلم أيضاً أنه اشترى فضة "ممباسا" في شكل أساور بمبلغ مئتين "كروزادو" من "ديوجو كوريا" ، كما اشترى أيضاً مرجاناً ، وهي سلعة ممنوعة في مقابل لؤلؤ يساوي ألف "كروزادو" في "لشبونه" . الكثير من الرجال يتصرفون على هذا النحو لمصالحهم الشخصية دون أي اعتبار لمصالح جلالتك . أما "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" و"جاسبار بيريرا" و"أنطونيو ريل" فهم الاستثناء النزيه والشريف .

إن كان على "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" معاقبة كل أولئك الذين أثروا نتيجة التعامل في السلع الممنوعة ، فلن يكون هناك أي رجال أو موظفين يقاتل بهم ضد المسلمين . يجب على جلالتك شخصياً اتخاذ خطوات لمعاقبة أولئك المجرمين حتى يخافوا من التصرف ضد مصالحك ، وفوق كل ذلك عليك عدم إرسال أي "قشتالي" (إسباني) إلى هنا لأنهم أسوأ المجرمين .

سيدي . .

لا توظف قباطنة صغار السن لمجرد أنهم سادة ، لكن ابعث بكبار السن والرجال أصحاب الخبرة إن أردت لأسطولك أن يبقى سالماً ،

إن كان عليك إرسال نبلاء ، فتأكد من أنهم ليسوا من "القشتاليين" لأنهم يفكرون فقط في كيف يصبحون أثرياء على حساب جلالتك ، ومن ثم يرحلون إلى "إسبانيا" (قشتالة) .

سيدي ..

زود سفـنك في "لشبونه" برجال وضباط وقباطنة وبحارة مخلصين ، لأن الجميع يقومون بسرقتك . أنا أكتب كل هذا ليس للأضرار بأي أحد لكن لخدمة جلالتك وأن أبين لك الحقيقة . إن قلل أي شخص من قدري وأمانتي في حضور جلالتك فإنهم يفعلون ذلك حتى لا أفشي أخطاءهم .

إن قائمة جرائمهم وأفعالهم المشينة لتملأ عشرات الصفحات ، إنني أواجه قضايا قانونية بصورة دائمة نيابة عن جلالتك أمام نائب الملك ضد الوكلاء التجاريين والقادة والقباطنة وموظفين آخرين ، حتى إنني هددت بالقتل .

إنني أتوسل لجلالتك بأن تتذكر ولائي ، لأنني كأجنبي ليس لي من يتحدث نيابة عني ، كما أرجو أن تبدي إحسانك لزوجتي وتتأكد من أنها تتلقى المخصصات ، والفلفل الذي أبعث به لها ، وبخلاف ذلك فستموت من الجوع ، سيكون شرفي على المحك ، لا شك أن جلالتك يعلم أنني اكتشفت أن "جواو سيراو" قد باع مرجاناً ممنوعاً للمسلمين في "باتيكالا" .

لقد أطلعت نائب الملك عنه وعن "بيرموديز" ، لكنه أجاب

باستحالة أن يتعامل بصورة جادة مع كل شخص في الهند ، ووعد بأن يكتب لك تقريراً مفصلاً حتى تتخذ ما تراه حيال المسألة . إن أردت بياناً مفصلاً ، كاملاً وحقيقياً عما فعله "جواو سيراو" وآخرون في الهند فابعث في طلب "ديجاريس" الكاتب في سفينة "جواو سيراو" .

سيدي . .

عندما نقلت السفينة "جوليا" رسالتك إلى "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" بأنك تريد أن ترتب لمعاهدة مع "ملقة" ، بعث في طلبي وابني ، وعين نائب الملك الأخير كمترجم ومفاوض ورحل إلى "ملقة" مع "فرانسيسكو بيريرا" نائب الملك "دي فيلهينا" "de Velhina" على ظهر سفينة "ناين ميركار" "Nine Mercar" .

غادر ابني في السابع والعشرين من شهر أغسطس . عندما وصل البرتغاليون إلى ميناء "كوروманديل" التي تبعد حوالي مئتي فرسخ من "كوتشين" ، أحاط ألفا مسلم بالمنزل الذي كانوا يقيمون فيه ، كان صاحب المنزل تاجراً مسلماً وشقيق "لفاين ميركار" سلح ألفاً وخمسمائة محارب قاتلوا مع المسلمين من "كوتشين" ومكنوا ابني واثنين من البرتغاليين من الهرب تحت جنح الظلام .

عندما دخل المسلمون إلى المنزل سرقوا أشياء ومقتنيات تقدر بأكثر من أربعة آلاف "كروزادو" . في تلك اللحظة كان ابني في مخبأ في "كوريميت" وهي ميناء بالقرب من "كوروماندیل" في انتظار أن يعبر إلى "ملقة" أو إلى هنا .

في الثامن من شهر نوفمبر وصل ابني والبرتغاليون إلى ميناء "كوتشين" وأخبرنا بكل المصائب التي حلت بهم والمذكورة أعلاه والتي بعون ورحمة من الرب هربوا منها . أقبل يدي سموك بأن تتذكرني ، ومن أكون؟ رجل كبير السن ومتزوج يسعد دائماً بخدمتك ومعي ابني حتى الموت . لعل سموك يتذكر أن يدفع لزوجتي في "كازا دا مينا" "Casa da Mina" كامل مصروفي والفلفل الذي أرسلته .

سيدي ، من المعروف أن أنواع البضائع المطلوبة هنا في هذا الوقت هي الرصاص والنحاس والقماش ، فليأمر جلالتكم بشراء ما لا يقل عن مائة قنطار من المرجان سنوياً للعمل في "كازا دا مينا" ، عندما تؤخذ من البحر يسمون نوعاً منها "toro" نوع آخر أبيض ، والثالث يسمى المزيف غير الأصلي ،

ما نحن في حاجة إليه هنا وهو النوع الخشن الذي يمكن أن يحصلوا عليه شريطة أن يكون بلون أحمر جيد ولم تأكله الديدان ، كما عليك أن تأمر بإحضار خمسة قناطير من الزعفران ذي النوعية الجيدة كل سنة ، لكن لا تسمح بأن تشحن مع الزيت ، إن كان هناك زيت فلتكن كمية صغيرة .

أصدر الأمر أيضاً بألف قنطار من الخشب يؤتى بها كل سنة ، لأن سعرها جيد هنا أو حيث تؤخذ إلى مكان سعره أفضل . ستكون أيضاً فكرة جيدة لسموك أن يشتري اثنين أو ثلاثة قناطير من

المرجان الملون الجيد كبير الحجم كل سنة إذا وجد النوع الدائري المنحوت وليس الذي يشبه شكل البرميل .

ليعلم سموك أننا جعلنا من نهر "كوتشين" مثل ضفة النهر في "لشبونه" حتى يوفر لسفنك الخدمات التي تحتاجها ، وهذا يعني أن المراكب الشراعية والسفن التي تبلغ سعتها ، حتى ثلاثمائة طن يمكــن وضعهــا في أي مكان وتغيير الألواح الخشبية وتبديلها بأخرى جديدة .

بدأ حالياً "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" ببناء مركب شراعي كامل ، لأن معنا يا سيدي كمية كافية وكثيرة من الأخشاب لكن تنقصنا الكثير من الأشياء الأخرى ، ويبدو لي أنه من الحكمة لسموك أن ترسل الكثير من المادة التي تسد بها الشقوق بقدر ما تجد لأننا نحتاج إلى كمية كبيرة منها هنا .

سيدي . .

من رأيي عندما تفشل سموك في معاقبة الرجال مثل الذين ذكرتهم في السابق ، فإنهم سيرتكبون الكثير من الجرائم ضد خدمة سموك وممتلكاتك إن أبديت لهم الرقة والليونة ، فلن يخشاك أحد هنا ، وسيقومون دائماً بنهبك وسرقتك ولن يتوفر أي علاج لذلك .

سيدي . .

يلام الوكلاء التجاريون على التقصير في تحميل الفلفل لأنني

اتفقت مع المسلمين أن نقوم بعملية الوزن بواسطة موازيننا واستخدام أوزان القنطار التي لنا وليس خامتهم وقد اقتنعوا هم بذلك ، لكن الوكلاء التجاريين من أجل فائدتهم والأجور الإضافية لا يريدون ذلك مدعين أن الـ "الباهار" الخاصة بالمسلمين لا يتطابق مع قناطيرنا ، لذلك سيدي قررت تحميل سفينة قبل أن أصل في حضور كتبة المحطة التجارية وأردت وزن الفلفل بطريقتي الخاصة من أجل سموك .

وكما سترى ، فإنني لم أسجل وزناً أقل ، إن لم تكن السفينة المذكورة بوزن أقل فعلى جلالتك إصدار التعليمات للوكلاء التجاريين بالحرص مع الأخرى .

سيدي . .

في السادس عشر من شهر نوفمبر استدعاني "دوم لورنزو" إلى غرفته وتحدث معي في هذا الأمر : "ستكون على علم يا "جاسبار" ، عن كيف أرسلت إلى سيلان وأخذت على "ميجيل" كمترجم ، لأنني في اللحظة التي كنت فيها على وشك المغادرة إلى سيلان لم أجد أي مترجم آخر ، وهكذا غادر ابنك إلى "ملقة" في خدمة مولانا وبعث بك والدي إلى ميناء "باتيكالا" للقيام بعمل آخر .

عندما وصلت إلى ميناء "سيلان" ، كان من الممكن أن أشتري براميل خشبية بقيمة عشرة آلاف "كروزادو" كمنحة لسيدنا الملك ، لكن لحاجتنا لرجل مثلك يعرف كل شيء ، فإنني لم أحضر أي شيء ، لأن القرفة التي جئت بها تساوي في جملتها مئتين وخمسين "كروزادو" في الهند ،

وعلى أية حال فلابد أنك سمعت بأن والدي يبعثني الآن مع الأسطول إلى هرمز ، إنني أناشدك بأن تتطوع لمرافقتي ، سنقوم بخدمة الملك مولانا ونحوز الكثير من الشرف" .

أجبته على النحو التالي :

"يعلم سيادتك جيداً أنني في خدمة الملك دائماً في كل أوامر ممكن ، لكن عليك أن تعلم ، كما يعرف الجميع ، أنني وقبل أسبوعين وصلت إلى ميناء "باتيكالا" وأنا أعاني من مرض شديد ، عليه أود أن أتحدث مع والدك الذي يعلم جيداً أنني مريض" . أجابني ملتمساً مني أن أقول في وجود والده أنني كنت سعيداً في المغادرة معه في الحال .

بعدها في الحال ذهبت للتحدث مع والده "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" ، وأطلعته بما قاله لي ابنه "دوم لورنزو" بالطريقة التي كتبتها بأعلاه ، أجابني متسائلاً عن رأيي في الفكرة ، وأجبته بما أن سيادته يعلم جيداً أنها كانت رغبتي دائماً أن أخدم الملك ، مولانا بالليل والنهار ، لكنني الآن مريض جداً ، وقد عدت من الخارج فقط قبل أسبوعين بجانب أن ابني "بالتازار" يمكن إصدار التعليمات له بالذهاب في تلك الرحلة كمترجم لأنه أفضل مني كمترجم ويعرف أيضاً الكثير مما أعلمه أنا عن الكثير من الأمور .

أجاب "دوم فرانسيسكو دي ألميدا":

"صحيح أن ابنك رجل رائع ومترجم جيد ، لكن كل البحارة

من الشباب ، لذلك يبدو لي من الأفضل أن تذهب أنت لأنك الناصح والمترجم ، ولأن هرمز توفر فرصة عظيمة ليبدؤوا بأداء تقرير حقيقي عن الاحترام والولاء ، وعليه إن كنت مريضاً جداً وتشعر بأنك غير قادر على القيام بذلك فعلينا أن نتمسك بمصالح الملك على أن تجعلك تتصرف بحماقة وطيش" .

كان ردي كما يلي:

"حسناً ، إن كان يبدو لسيادتك أنني لا يمكن الاستغناء عني بالرغم من مرضي الذي أعاني منه ، فإنني أفضل الذهاب بدلاً عن التجاوز عن مصالح الملك" ، لذلك سيدي فقد قررت ، ومعي ابني ، أن نرافق "لورنزو" إلى هرمز مع ستة مراكب وسفينتين ومركب شراعي لنشن الحرب هناك حتى يؤدوا لنا جزية كافية لخدمة سموك ، ولذلك قررنا المغادرة في اليوم التالي .

نفذ في السادس عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٠٥م- "جاسبار دا انديا"- كاتب جلالتك دائماً .

(في الخلف) إلى جلالته ، الملك ، من "جاسبار دا انديا" .

وفي العام نفسه (١٥٠٦م)

وصلت رسائل للملك تخبره عمّا جرى في عام ١٥٠٦م ، ملخص لكل الرسائل ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر ديسمبر عامٍ ١٥٠٦م ، من الهند إلى الملك ، ومراسلات أخرى أيضاً أحضرت في سفن تحت إمرة "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" وفي سفينة "سيدي باربودو" "Sidi Barbudo" : (١٩)

رسالة بتاريخ السابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٠٦م/ من نائب الملك .

مادة : بناء كنيسة صغيرة تسمى "فيكتوري" "Victory" في "بيليم" حيث يوضع علم أخذ خلال مسيرة جيش "كلكتا" ، ويأمر نائب الملك ببناء منزل على جسر "كانانور" .

---

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

مادة : السبب الذي جعله لا يبعث "Sidi Barbudo" "سيدي باربودو" إلى "ملقة" ، كيف أبحر "فرانسيسكو بيريرا" في سفينة تابعة للمسلمين؟ ماذا حدث في "كوروماندل"؟ وكيف هرب وعاد مرة أخرى؟

مادة : ألا يتم اكتشاف "ملقة" في رحلة العودة من رأس "Good Hope" وهو يفيد أنهم هناك كانت لهم نفس الأشياء بقيمة أرخص ، وإن كل من يذهب إلى هناك عليه الإبحار بطول الساحل .

مادة : كيف بعث "دوم لورنز" إلى "المالديف" وجزر "كينديكيل" "Quindiquel"؟

مادة : إن معه أربعين ألف قنطار وأشياء أخرى عديدة من "ملقة" جاهزة للتحميل ، وإنها كانت في منطقة محكمة وفرح المسلمون كثيراً لعدم وصول الأسطول .

مادة : كيف تم تدمير "جاديفا" والأسباب التي دعت لذلك ، وهو يمنح ما كان هناك إلى "مانويل بيسانها" حتى يرى إن كان هناك من شيء يمكن أن توضع فيه . يقدم "لدييجو دي فونسيكا" الإذن بالحضور إلى البرتغال ، ولم يضعه في "سوفالا" أما على أساس كبر سنه أو لأسباب أخرى سيقوم هو بتوضيحها لسموك .

مادة : اعتقل سيدي "Sidi" "باربودو" ويبعث "نونو فاز بيريرا" إلى "سوفالا" مع سفينة محملة بالأقمشة ونصّبه قبطاناً كما عين "روي

بريتو" قائداً آمراً وعين بعض خدمك كموظفين ، ذلك "النونو فاز" كان يحمل تخويلاً بزيارة "كلوة" بما أنه اطلع بأن "بيدرو فيريرا" يقوم بأشياء ما كان عليه القيام بها .

مادة : يبدو أنه من الأفضل أن تقام قلعة "سوفالا" في الموقع وأن تحل محل قلعة "كلوة" بميناء صغير في "موزمبيق" .

مادة : فيما يخص "بيدرودا نهايا" الذي كتب لسيادتك ليشرح لك ما كان يبعث به إلى "Quelobrio" "كيلوبريو" .

مادة : يجب ألا يبرم سلام مع "كلكتا" (أ)

مادة : إن كل التجار من "كوتشين" وحتى "ترامباتان" عرضوا أن يـؤدوا لك مبلغاً محدداً عن كل سفينة تسمح لهم بالإبحار عليهـا ، علـى هذا الساحل لابد أن هناك مئتين من السفن الكبيرة والصغيرة .

مادة : وأما بخصوص المسلمين ، فيجب أن يلقوا خارج البلاد ، وهو لا يرى سبيلاً أفضل من شن الحرب على الأعداء ، ويجب أن يبسطوا تحكماً تاماً على أصدقائهم حتى لا يحملوا أي توابل ، ويعتقد المسلمون أن كل شخص هناك لابد أن يكون مسيحياً .

مادة : "كورومانـدل" في طريقها لأن تصبح موقعاً هاماً للسفن القادمة من "ملقة" و"بيجو" و"سوقطرة" ، من حيث تأتي كل الأشياء

(أ) يلاحظ الإجابة على الهامش .

الثمينة ، يبدأ الصيف في ذلك الساحل عندما يبدأ فصل "المونسون" في "كوتشين" ، تحديداً في بداية شهر مايو : وهذا هو السبب في أنه ومنذ ذلك الحين وحتى سبتمبر لا تبحر أية سفن من الساحل في "كورومانديل" في تلك الفترة وبأمر من دوم "لورنزو" .

بين هذا الساحل وسيلان توجد ضفة رملية حيث يبلغ عمق المياه فيها ليس أكثر من عشرة أشبار .

سلام "كيلون" الذي تحدثوا عنه لم تتم الموافقة عليه ، حيث أعتقد أنه تسبب في حرب لملك "كوتشين" وأنهم أحرقوا سفنه وأصابوه بالكثير من الأضرار وأن خلافاً عظيماً نشأ بين الملك والأمير ، لأن الملك كان يرغب في علاقات سلمية ولا يريد الأمير ذلك[أ] .

مادة : وأن يتم تحقيق يتعلق بالقباطنة والضباط ، الذين هناك وأولئك القادمون حتى يحصل كل منهم على مكافأته ويحقق شيئاً عظيماً في خدمتك .[ب]

مادة : خسارة سفن مجموعة "بيدرو دا نهايا" "Pedro da Anhaya" ، أي تلك التي غرقت نتيجة عدم اليقظة والحذر .[ت]

(أ) على الهامش : ينظر الإجابة .

(ب) على الهامش : لمعرفة ما قام به "روي غونسالفيس" .

(ت) على الهامش : نظر .

مادة : هو على الشاطئ حتى يكون مفيداً لتحقيق مصالحك ، وهو يرغب بمناسبة ميلاده الخمسين أن يكتب لك سطراً بيده شخصياً .

مادة : القيادة التي سحبها من "لوكاس دا فونسيكا" وتقرير التحقيــق الذي بعــث به أيضاً ذلك المحامي بـ "جواو هوميم" "Joao Homem" ، وهو يطلب مكافأة له لأنه خدم جيداً عن المدافع التي هناك إحداهما كان في سفينة مع ابنه خلال معركة "كلكتا" ، يطلب مكافأة له والتي يجب أن يتسلمها وكأنها لشخصه . (أ)

مادة : إن هناك حاجة لأربعة من الكاتب العدل للمحطة التجارية في "كوتشين" .

مادة : "جاكوم دياز" الذي سيصل كسجين بسبب أحداث "كلوة" يجب مساءلة بحار يدعى "أفونسو جاليجو" "Afonso Galigo" (ب) عنها وبشأنها .

مادة : كيف كان يجب إرسال "بيرموديز"؟ وكيف أن ذلك لم يتم فيما بعد؟ ، أحضر ثلاثمائة لؤلؤة التي كانت عبارة عن جزء من غنيمة مستحقة لسموك من استيلاء حققه "دوم لورنزو" ومن بينها لؤلؤة يصل وزنها إلى ثلاثة وثلاثين قيراطاً وأخرى كروية الشكل بأحجام مناسبة .

(أ) على الهامش : نظر .

(ب) على الهامش : يتم سؤال "روي غونسالفيس" .

مادة : يتحدث ويطنب كثيراً على "أنطونيو ريل" الذي لولاه ما كان ممكناً معالجة الأمور .[أ]

مادة : الجواهر التي كانت ضمانة عندما أعار "غونسالو جيل" مقتنياتك لأحد المسلمين لا زالت في حوزته ، يجب أن تبقى تلك الجواهر في حوزة "لورنزو موريتو" .[ب]

مادة : تفاصيل الإيرادات الاستثنائية التي سجلها لأنها بدت له وكأنها تصب في مصلحتك .

مادة : الاكتشاف الذي قام به "دوم لورنزو" بأن سيلان لها رأس جبلي داخل في البحر مثل ذلك الذي في "كانانور" حيث يمكن بناء قلعة ، وأيضاً هناك الكثير من المياه العذبة وميناء رائع . يريد أن يبني قلعة هناك وليس "كيلون" ، تقع سيلان في نفس الطريق مثل "ملقة" و"بيجو" و"سوقطرة" و"كورومانديل" . المسافة من هناك وحتى "سيلان" تبلغ سبعين فرسخاً . سعر قنطار[ت] النحاس هنا في سيلان يساوي ستة عشر "كروزادو" .

مادة : كيف ذهب "دوم لورنزو دي ألميدا" إلى هرمز؟

مادة : صليب المسيح والأسلحة الملكية ومعدات أخرى تبقى في سيلان كعلامة للوجود البرتغالي .

(أ) على الهامش : شوهدت رسالة شكر للأخير للاستفادة منه .

(ب) على الهامش : حتى مبلغ ستمائة "كروزادو" .

(ت) على الهامش : رسالة شكر .

مادة : أخذ قيادة المركب الشراعي من "لوبو شارنيكا" لأنه ضرب الكاتب العدل .

مادة : إنه غادر إلى سيلان في نهاية سبتمبر ، وأخذ معه السفينة "سانتو اسبريتو" لتحميلها بالقرفة ، كان يأمل في بناء قلعة في خلال شهر .

مادة : إيداع ابن "بيدرو دا نهايا" في السجن من قبل "بيدرو فيريرا" وأنه أصدر له الأوامر بإعادة كل شيء ، وذلك لأنه كان رجلاً جاهلاً .

مادة : السفينة التي استولى عليها "فيليبي روريجز" "Filippe Roderiges" و"جواو سيراو" في "باتيكالا" كانت تستحوذ سبعة آلاف "كروزادو" ، كما كان هناك الكثير من الأشياء التي تستخدم أيضاً في الدفاع ، وأمل كثيراً أن تساوي أكثر في زمن الحرب عنه في زمن السلم ، وذلك لخبثهم الذي مارسوه عندما رفضوا قبول الوكيل التجاري ، لكن إن سألوه ، وهو الأمر الذي يجب عليهم القيام به ، فسيستمع لهم .

مادة : الاتفاق الذي أبرمه "رودريجو رابيلو" في "تيراماجانت" والذي كان بخصوص قوله إن "سيدي باربودو" سيقوم بتقديم بيان ، كان أمراً جيداً .

مادة : المواد الغذائية التي يقوم قباطنة وضباط السفن ببيعها للمرضى في القلعة تحديداً ، الخبز ، الخمور ، الجبن ، يدفع مقابلها

اثنين "كروزادو" عن شيء لا يستحق ريالاً فضياً واحداً هنا، ويشير إلى ما تم القيام به في "سوفالا" بواسطة "سيدي باربودو" وأولئك الذين معه في سفينته، وأنه يلتمس من سموك بأن توفر لهم المؤن[أ].

مادة: هدية ملك "سوفالا" المتوفى والتي لابد أنها تساوي مئتي "كروزادو"، وأيضاً جواهر مذهبة كان قد أعطاها "ديوجو مينديز"(٤) بأن السلاسل التي عليها قد أصابها التلف.

مادة: ضع في حساباتك الستين خادماً التابعين لسموه والذين يعملون هناك لأن المناصب مثل: قادة كبار، قادة وكلاء تجاريين، كتبة عدل، تصبح شاغرة فيجب أن يتم وضعهم في الاعتبار وتفضيلهم عن آخرين.[ب]

مادة: إن الضباط الذين عينهم يستمرون حتى كامل فترتهم، وإنه يعتبر من المناسب أن يكون مقدار الراتب سبعة آلاف ريال التي حددها لكل ربابنة السفن.

مادة: وأن يأخذ الأرز والزبدة والسكر نفسه ولابنه والعائلة من بضاعتك.

مادة: يرسل عبر "دييجو ميندیز" ٩ ؟؟ (تسع أوقيات وثلاثة أرباع الأوقية) أوقية من العنبر التي اكتشف أنها سرقت من الغنائم التي تعود لسموك.

(أ) على الهامش: نظر.

(ب) على الهامش: إلى "روي غونسالفيس" ليكون معلوماً لديه ما تم القيام به في مسألة "سيدي "باربودو".

مادة : يطلب المادة التي توضع في شقوق السفن والقطن والمسامير والمزيد من النجارين وأن يتم بناء السفن / المركب الشراعي الذي بناه كلف خمسة آلاف أو ستة آلاف ريال [أ] .

مادة : وهو لا يسمح ببيع كتب اليهود إلى "جواو كوترن" حتى وإن كان معه تصريح بذلك من سموك لذلك الغرض ، لأنه يعتبر ذلك في غير خدمة الرب وأننا سندفع مقابل ذلك وإن كان سموك يعتقد في عدم صحة تعطيلها وإعاقة بيعها .

مادة : (٤٧) : "ألياف" موجودة والتي تصنع منها خيوط الأقواس وهو يأمل في وجود الكثير منها .

مادة : لعل سموك يمنح منصب "جاسبار بيريرا" إلى أولئك المناسبين للوظيفة لأنها تتعلق بأملاك سموك .

مادة : سكان "سوفالا" الذين بعث بهم "نونو فاز" كقائد و"دورتي دي ميلو" كقبطان للمركب الشراعي "اسبيرا" "Espera" و"أنطونيو رابو" "Antonio Rabo" و"سانشو سانشيز" "Sancho Sanchez" كتبة للعدل . "فيرناو دي ماجالهيس" ، "لويس مينديز دي فاسكونسيلس" "Luis Menedes de Vasconcilos" و"بيرو دا فونسيكا" بأن يبحروا كقباطنة للسفينة الشراعية "كلوة" "فرانسيسكو دا نهايا" يجمع مقتنيات والده ويعود:

(أ) على الهامش : نظر .

ستة "مويو" "moios" من الأرز

عشرة قناطير من السكر

قنطار واحد من الملح البلوري الصافي

خمسة وثلاثون قنطاراً من الفلفل

أربعة قناطير من القرفة

قنطاران من القرنفل

وأن يقوم بنقل قماش "ممباسا" من "كانانور" وخمسة وأربعين رجلاً .

مادة : أن يقدموا لي كمية وافرة من الفلفل عن النحاس ، وإن كانوا قد أخذوه كله ، لكن طلب منهم الحرص ، لأنه لا يملك الكثير وقد يباع من أجل المال .

(٥) مادة : إنه طلب أربعة عشر ريالاً يومياً لكل رجل لصعوبة ترتيب غرفة (sic) وأن ينزل طاقم البحارة إلى الشاطئ وذلك لصعوبة عمل أي شيء آخر . يصرف للقبطان ستين ريالاً ، ولحاكم القلعة وآمر القصر والوكيل التجاري ثلاثين ريالاً ، وللكاتب العدل عشرين ريالاً والكتبة والبنائين والنجارين عشرين ريالاً ، واجعل كل الآخرين الذين هناك وأيضاً من يأتون بأن يأكلوا معهم .

مادة : يتم العناية بالضيوف في "كانانور" لوجود كمية وافرة من الطعام هناك .

مادة : إن لم تكن هناك قلاع فإننا سنخسر التجارة .

في "كوتشين" ضاعت علينا ثلاثمائة ألف

وفي "كانانور" ضاع الضعف

وفي "انجيديفا" لا شيء .

مادة : يفيد كيف قام "فاسكو جوميز" وشقيقه بعمل ممتاز في المعركة التي كانت ضد سفن "البارا"و "كلكتا" .

مادة : إن "جواو سيراو" أخذ اللؤلؤ الذي كان يبعث به على السفينة .

مادة : إن "بيدرو دا فونسيكا" كان ضابطاً ممتازاً ، وكيف تم تنصيب "دوارتي بيريرا" وكيلاً تجارياً في "انجيديفا" ضد رغبته من قبل "دييجو دا فونسيكا" ومنحه عشرين ريالاً كراتب له[أ] .

مادة : اجعل السفينة التي تغادر وتعود بالبضاعة تخزن الرغيف تحت القلعة الخشبية في السفينة عند رحلة العودة ، ولا يوضع تحت السطح ، فهذا يسبب ضرراً كبيراً للفلفل ، وإن نقل لأعلى السطح يصبح غير صالح .

مادة : إن كان هناك المزيد من القوات في السفن الشراعية فإنها ستشن حرباً أكثر ضراوة عن كل المراكب الأخرى . اطلب السلاح ، لأنهم يقولون إن الموجود هنا غير صالح .

(أ) على الهامش : نظر .

مادة : إنه يريد أن يعين وكيلاً تجارياً في "أنو" لأنهم أخبروه أنه سيحصل على ثلاثة آلاف قنطار من الفلفل وألفين من (الورنيش) من هناك لوجود كمية كبيرة منها ، وبسبب كل الصعاب التي عانوا منها للسماح لهم بشن الحرب على المسلمين في "جوجا" "Goga" فهم حقاً يعدون خداماً مخلصين ، وهناك سفن رائعة من الأسطول هناك وستبحر وعلى ظهرها ألف رجل يذهبون إلى أي مكان تأمرهم بالذهاب إليه .. / تبعد "أنو" أربعة عشر فرسخاً من "انجيديفا" (١)/ .

مادة : إن "جونزالو دي بييفا" خدم جيداً وكان يحمل المشعل دائماً للأماكن المشبوهة ، وهو يطلب منصب القائد للجيش في تلك الأنحاء لنفسه ، وذلك بخلاف الخدمات التي أداها فيصرف عنه عدم خوفه من البقاء هناك إذا كانت سيادتك تعتبر ذلك يصب في مصلحته (١) .

مادة : "جونزالو فيرنانديز" مسؤول عن بقية الرجال ، وهو يطلب نسخة من أوامرهم[أ] .

(٦) مادة : عند مغادرة "جواو دا نوفا" ، علم أنه خلال المعركة مع "فاسكو جوميز" قتل مائة وخمسين من المسلمين وأيضاً أحد القادة الكبار الأمر الذي كان نتيجته الكثير من النحيب والحزن في "كلكتا" و"بوناني" .

(أ) في الهامش : تم نظره ومعاينته .

مادة : إن "جواو دا نوفا" قد أدى خدمة جيدة ، وكان غير سعيد بالحضور لكن بما أنه بعث في خدمتك فقد رضخ للأمر .

مادة : طلب زورقين بأربعة عشر مقعداً ، ليشن حرباً أكثر وأن تكون مفتوحة عبر الممر مثل تلك التي في السفن ، حتى يمكن التجديف فيها بهدوء وبوجود مجاديف مناسبة ، وأن تبنى تلك الزوارق هناك إن توفر جرها والمادة التي تسد بها الشقوق ، كما أضاف أربعة عشر مقعداً طويلاً للمركب الشراعي الذي ترك هناك وكان من أفضل ما يمكن .

يذكر "لورنزو دي بريتو" بطيب الكلام والإطراء وأيضاً "مانويل بيسانهاو" و"دوم الفارو" و"جواو بيجاس" .

مادة : إنه وجد تسعين قنطاراً من الفلفل في حصن "كوتشين" ولم يجد أي شخص يطلعه على من هو صاحبها . أخذ "فاسكو غوميز" ثمانين قنطاراً منها و"جواو نوفا" بالبقية على السفينة "فلور دي لامار" ، وهو يطالب بمكافأة "لجواو دا نوفا" للخدمة الطيبة التي أداها هناك[أ] .

من "بيدرو فيريرا" قائد "كلوة" في اليوم الأخير من أغسطس عام ١٥٠٦م .

مادة : عن الاستيلاء على "كلوة" وكيف تحقق ، وعن القليل

(أ) على الهامش : نعم ، التعليمات .

الذي أخذ من الكم الهائل الذي كان هناك ، وعن الملك وما الذي حدث واتضح أنه غير ضروري له .

مادة : إن لم يكن هذا الملك هناك ، فإن كل الجزر من "موزمبيق" إلى "زنزبار" لكانت أصبحت تابعة وخاضعة لسموك ، لأن الشيوخ يـأتون إليـه وتحت إمرته ، لكنهم أخبروا بما عليهم القيام به من ملك "كلوة" .

مادة : أن تؤدى له كل الجزية والحقوق وأن يمارس تجاره عظيمة مع المسيحيين[أ] .

مادة : إنه ظـل هناك مع سبعين رجلاً ، منهم عشرون غير صالحين ، ومركب شراعي حول من "سنبوق" (قارب خشبي) .

وستون قنطاراً من البسكويت

وأحد عشر برميلاً من الخمور

واثنان من الخل

وربع برميل من الزيت

وملابس خاصة جمعت هناك .

مادة : أقرض الوكيل التجاري مئتي "كروزادو" حتى لا يمارس تجارة ممنوعة بملابس سموك .

(أ) على الهامش : شوهدت بقدر ما يتعلق بالملك .

مادة : قرض ملك "كلوة" البسيط والضريبة على المبلغ الذي اقترضه .

(٧) **مادة** : وعاؤه الفضي الذي تم بيعه حتى لا يحصل على تقرير سيئ يتعلق بالملابس .

مادة : إن هناك كمية وافرة من المؤن على جزر "الكوكور" "Alcoucor" من الذرة والأرز والأبقار والأغنام والدجاج والحجارة ، غالية القيمة لكن بكمية قليلة .

مادة : غطاء الرأس الذي صنعه للرجل المسلم والفأس وكتلة التقطيع جعلت الرجل المسلم يطلعه بأن "السنبوق" المركب الخشبي الذي طالب به ملك "كلوة" كان من هناك ويعود لملك "ممباسا" والذي أخذ منه هو ستمائة جوال من الذرة الشامي .

مادة : إن القلعة قد شيدت ، وأقفل عليها وأعدت ببرجين ، أعيد بناؤها ، ولها متراس أمام البوابة مع كل مدخل القلعة المحاط بسور آخر وملأى بالملاط ، وكمية كبيرة من المدفعية .

مادة : إن الملك لم يكن راغباً أبداً من إعطائه أو الأمر ببيع الجير ، والآن توجد حماية في القلعة وقد أصدر الأوامر بذلك .

مادة : إن سيدي "محمد موكاندا" "Mucanda" خادم عظيم لسموك وقد أمره هذا الملك بصناعة الجير .

مادة : إنه حالما غادر نائب الملك ، فإن الملك الذي توجّه حتى

يخشى منه شخصياً أمر اثنين من المسلمين أن يقتلا دون محاكمة وتم القبض عليهما وألقيا في البحر .

مادة : إن العدالة قد أرسيت الآن نيابة عن سموك ، لأنه لا يرغب في تفويضها للملك .

مادة : الاتفاقية التي كان على علم بها بين الملك إبراهيم الأول (١) ومحمد أركون الذي عينه نائب الملك ملكاً حتى يحرمه من القلعة .

مادة : إنه مع إصدار بلاغات ومحاكمة ، فقد أمر أن يشنق أحد المسلمين باسم سموك لقتله مسيحياً وثلاثة مسلمين آخرين لحوادث معينة .

مادة : إن أربعين رجلاً وامرأة قد أصبحوا مسيحيين ، وإن الملك طلب منه عدم السماح لهم بممارسة ذلك لأنهم كانوا عبيداً ، ه سيسمح لهم بذلك عبر قوانين البلاد ، ويبدو له أن مياه التعميد يجب عدم نكرانها[أ] .

مادة : إن جزيرة "بيمبا" تتوفر فيها كل المؤن ، وعليها شيدت كل السفن الضخمة من أجل "ممباسا" و "مليندي" وكل المناطق المجاورة لها ، ويوجد فيها فقط أربعة أو خمسة من المسلمين الأعداء ، بها الكثير من قصب السكر وعدد لا يحصى من أشجار التين وفواكه عديدة أخرى .

(أ) على الهامش : تم نظره .

مادة : قارب "السنبوق" الذي استولى عليه "جونزالو فاز" وباعه في "مليندي" ، عاد ومعه مئة وستة عشر مثقالاً من الذهب (؟) وثمانمئة وثلاثة عشر مثقالاً من الفضة وثمانون جوالاً من الأرز وسبعة عشر من العبيد .

مادة : كيف أصدر الأمر بالهجوم على الملك إبراهيم الأول؟ (٨) وماذا حدث عندما ضلوا طريقهم في الموقع الذي ترجلوا فيه من السفينة؟

مادة : إنه أمر "جونزالو فاز" بالذهاب إلى "سوفالا" في "سنبوق" (مركب) "ممباسا" مع كل الأقمشة التي تم الاستيلاء عليها في "كلوة" والأسرى المسلمين الثلاثة .

وقد دفعت فدية عن هؤلاء الثلاثة قدرها أربعمائة مثقال من الذهب وطبقاً لسعرها فإن القماش كان يستحق ثلاثة عشر ألف مثقال .

مادة : يوجد صمغ للسفن في "مانفيا" "Manfia"[(أ)] (على الهامش شوهدت) .

مادة : المركب الشراعي الذي صنعه .

مادة : كيف فقد "بيدرو باريتو" نتيجة خطئه الشخصي .

مادة : ظل "أنطونيو دي ماجالهيس" ، شقيق "بيدرو باريتو" ،

(أ) على الهامش : شوهد بواسطة "روي غونسالفيس" .

مع ستين رجلاً وغادروا إلى "مليندي" في قارب السفينة الطويل و"سنبوق" (مركب خشبي) .

مادة : كيف تم إنقاذ أربعمائة قنطار من البضاعة من السفينة عن طريق القارب الطويل الخاص بالسفينة "ساو جواو" و"غطاسين" زنوج ، بالإضافة لاثنين وعشرين مدفعا وجرسا ، وكانت في طريقها إلى الهند ، وتمنى أن تكون البضاعة التي فقدت قليلة العدد ، إن كان على بعض السفن أن تذهب إلى هناك فيمكن استعادة المراسي والمدفع الثقيل .

مادة : أمر بإجراء تحقيق بناءً على طلب القبطان عن كيف ضل "فرانسيسكو دانهايا" طريقه ، كيف عندما ألقى القبض عليه وأعد كشفاً بممتلكاته وجد عنده ١ . ٤١٠ مثقالاً من الذهب؟

مادة : كيف حكم عليه بأن يدفع عن السفينة وبكل ما جاء به عليها ويخص سموك ، كان الذهب مصادراً وبحمله دون تصريح أو تحويل .

مادة : نقل الكاتب العدل "روي لوبيز" إلى "الكاسر" "Alcacer" لاثنتي عشرة سنة بسبب قسم كاذب تم تحت الإكراه إلا أنه لم ينبس ببنت شفه . (١)

مادة : إنه سلمها إلى "سيدي باربودو" حتى يأخذها إلى الهند .

مادة : قارب "سنبوق" على ظهره خمسون جوالاً من الذرة

وشخص مسلم دفعت عنه فدية مقابل مئتي مثقال ، ومن بين المواد الصغيرة مئة وثمانية مثاقيل من الفضة .

مادة : مركب "سنبوق" آخر عليه أربعمائة وسبعة وثمانون مثقال من الذهب واثنان وتسعون قنطاراً ، واثنان "أروباس" ، وواحد وثلاثون رطلاً من العاج يبلغ عددها خمسمئة وسبعين ناباً من العاج .

مادة : في مركبين شراعيين آخرين اثنان وأربعون "ماركاً" من الذهب ، ومئة وتسعة وعشرون ناباً من العاج ، وعشرون ماركاً من الفضة ، بذور لؤلؤ وقليل من العنبر ، ومئة وثمانون من العبيد في كل منها ، خلاف كمية وفيرة من الذرة والأرز . جاء أحد تلك المراكب بضمانة من "بيدرو دانهايا" ، وأعاد إليه كل شيء باستثناء الذهب والعاج[أ] .

مادة : منحته مرة أخرى أربعين جوالاً من الذرة للملك إبراهيم الذي غادر "كلوة" وفي مناسبة أخرى ثلاثين جوالاً ومواد أخرى من مئة وخمسين جوالاً .

مادة : وهو يقول إن أفضل السفن لذلك الإقليم هي "الفوستا" والمراكب الشراعية .

مادة : كيف أمره بزيارة ورؤية ملك "مليندي" وتقديم هدية بعث بها له؟

(أ) على الهامش : هما أشقاء .

(٩) **مادة** : أخبار الملك الحبشي المسيحي التي جاء بها أحد المسلمين قال له إن الحبش مسيحيون ولا يمارسون عملية الطهارة وإن لهم كنائس بها أجراس وصلبان ، وعند ولادة الأطفال يأخذونهم إلى الكنيسة ويرشونهم بالمياه في نافورة المعمودية ، لهذا الملك سلطة عظيمة وكان ثرياً يملك الكثير من الذهب ، وقد جاء ومعه حاشية مهيبة بالكثير من الناس على ظهور الخيل والعديد من الوزراء (sic) والمهرجين .

ليست عنده أي موانئ بحرية ، ويتجول مغطى بالذهب ، ولم يشاهد قط إلا عندما يمتطي حصانه ، ويبقى رأسه ووجهه مغطى وملابسه فضفاضة من حيث الطول والعرض .

يقال إن أقرب ميناء بحري هي "زيلع" ومكان آخر يسمى "بربرة" ، ومن "زيلع" إلى باب الملكة التي هي المدينة الرئيسة حيث يقيم هذا الملك بصورة دائمة ، تبلغ الرحلة ثلاثة أيام .

يقال إن أراضي هذا الملك الحبشي تقع ما رواء مضيق مكة . إن أحد المسلمين أخبره أنهم اكتشفوا ضمن قوانينهم ، وأن مكة ستدمر عن طريق ملك مسيحي الذي قد يتحقق بواسطة جيش يغطي كل البلاد من البحر إلى مكة بالناس ، وإن أولئك الذين في مكة سيقومون بتدمير أسوار منزل محمد (صلى الله عليه وسلم) وينقلون الأحجار كل للآخر من يد إلى أخرى ويلقونها بهذه الطريقة في البحر حتى لا يبقى منها حجر ، وإن ذلك سيحدث في القريب

العاجل وسيؤمن الجميع بعد لك بدين واحد . أخبره أنهم اكتشفوا أن ذلك كان سيحدث خلال سنوات ويقوم بذلك الملك الحبشي .

(٩٧) مادة : تقع جزر القمر على بعد ستين فرسخاً بالبحر "كلوة" و"سوندا" "Sunda" التي تكون أراضي "مدغشقر" وتلك الجزر كما يلي :

"لينا" "Lina" جزيرة أخرى .

"غزلا" "Gazla" جزيرة أخرى .

"مواتوي" "Moatoe" جزيرة أخرى .

"اكيماي" "Acimae"جزيرة أخرى .

"مولالي" "Molale"جزيرة أخرى .

بها جميعاً ملوك مسلمون والكثير من الأنهار وعدد لا يحصى من الماشية وحقول من والأرز والزنجبيل والسكر والكثير من الفاكهة .

"كلوة" و"ممباسا" كلها جزر مجاورة الواحدة للأخرى يتم تزويدها بالمواد من هنا ، يوجد بها العديد من الحجارة الكريمة[أ] .

بخلاف تلك الجزر فقد ورد تقرير بوجود مكان على البر الرئيس يسمى "سادا" ، صعدة ، ضخم ، حيث إن جزءاً آخر منه يسمى "مارينهين" "Marinhene" ويقول المسلمون إن هناك عواصف عظيمة

(أ) على الهامش : شوهد .

حيث تضيع وتغرق كل السفن ، وإن في تلك البلاد الكثير من المسلمين والأشخاص البيض والسود على حد سواء .

مادة : ويفيد بإمكانية إخضاع وفرض الجزية على كل تلك الجزر .

مادة : ويشير إلى مدى أهمية ذلك لمصالحك أن تستحوذ على "سوفالا" وأن ذلك لأمر فيه الكثير من الفائدة . . إلخ .

مادة : إن عليه أن يبعث بـ "جونزالو فاز" مع قاربين "سنبوق" محملة بالجير إلى "سوفالا" ، وأن يأمره بالعودة عبر جزر القمر لأنه بهذه الطريقة بدا أن المسألة ستصب كثيراً في مصالحك .

مادة : يطلب صليباً ووعاء للقربان المقدس وزينة(أ) . من أجل الكنيسة ويؤكد أنه ليس معه غير رداء كهنوتي واحد وكأس قربان واحد .

مادة : إن أولئك الأشخاص الذين معه لا يملكون سلاحاً بناءً على القوانين والنظم ، ولذلك فهو يشك في إن كان سيدفع أجور جنوده ويريد أن يعرف ما الذي يجب عليه القيام به تجاه هذا الأمر ، وهم يقولون إنهم أخبروا بالحصول على أسلحة بالرغم من أنه لم يأت بها لأنها كانت ستعطى لهم هناك(ب) ، يجب أن يسدد بعضاً من ذلك حتى لا يفقد الناس الشجاعة وحتى يقوموا بأداء أعمالهم

(أ) على الهامش : زخارف وأدوات زينة للقداس والتعميد المسيحي .

(ب) على الهامش : يستحقونها .

وهم أكثر رغبة ، وهو يطلب من سموك أن توافق وتعتبر أن هذه فكرة سديدة[أ] .

مادة : بعد سنة من وصوله وحتى اكتمال هذه الرسالة توفي أربعة عشر رجلاً من القلعة وعشرة رجال من السفينة .

مادة : الواجبات التي أداها والحياة الشاقة التي تحملها في خدمتك .

مادة : توفي "بيدرو دي فيجويريدو" "Pedro de Viquerido" كاتب العدل في المحطة التجارية وكاتب عدل المطعم وقام بتعيين النبيل "هيتور دي ميلو" "Hitor de Milo" .

مادة : عين مفتش التموين "بيدرو باربوسا" قائداً للمركب الشراعي ، وعليه فإنه يسأل إن كان سموك يوافق لأنهم يعدون رجالاً قادرين وأكفاء .

مادة : يقول إن عنده مساكن واسعة وأنها (١٠v .) آمنه تماماً وإنه يريد أن يحيط كل القلعة باستحكامات وسور ويضع ثلاثة أو أربعة صهاريج للمياه في الداخل معه .

مادة : إن المحطة التجارية لهذه القلعة تلقت أكثر من أربعة آلاف مثقال من الذهب من سموك[ب] ، ومئة وستين قنطاراً من

(أ) على الهامش : نعم .

(ب) على الهامش : شوهد .

العاج ، والتي حملها كلها المركب الشراعي ، بجانب ذلك بعث بأقمشة ومواد أخرى كان قد طلبها "فاسكو غونسالفيس" .

مادة : إنه من الممكن الحصول على كمية هائلة من العاج من "سوفالا" وحتى "كلوة" والتي تقدر بخمسة عشر مثقالاً من الذهب للقنطار ، وأنه في بعض الأحيان في "كامباي" تصل قيمتها من ثمانين إلى مئة مثقال للقنطار ، ويمكن أن يكون هناك السعر الذي يطلبه سموك وذلك لعدم وجود ملك هناك ولا مسلمين أو أشخاصاً من البيض ، يمكن أخذ كل ذلك العاج في وقت قصير إن أمر سموك بذلك .

مادة : إنه يخدم سموك في تلك المشاريع التي يخشاها الآخرون .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

مذكـرات رحلــة "فاسكو دا غاما" "Vasco da Gama" ، "ألفارو فيلهو" "Alvaro Velho" ، بتاريخ عام ١٤٩٧م . **(صفحة رقم ١٣)**

الوثيقة رقم : ٢

وصف رحلة "فاسكو دا غاما" "Vasco da Gama" على طول شواطئ "موزمبيق" في العام ١٤٩٧م . **(صفحة رقم ١١٣)**

الوثيقة رقم : ٣

رسالة من لشبونه بتاريخ شهر يوليو عام ١٤٩٩م ، من "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" إلـى الملك "فيردينانـد" "Ferdinand" وإلى

الملكة "إيزابيل" "Isabel" في قشتالة لإخبارهما عن اكتشاف الهند .

(صفحة رقم ١٢٣)

الوثيقة رقم : ٤

المحيط الهندي في فترة "فاسكو دي غاما" "Vasco da Gama" ، "جنفيف بوشون" "Genevieve Bouchon" . **(صفحة رقم ١٢٧)**

الوثيقة رقم : ٥

في عام ١٥٠٠م أصدر الملك قانوناً متعلقاً بالهند ، بتاريخ التاسع والعشرين من شهر يونيو عام ١٥٠٠م . **(صفحة رقم ١٥٣)**

الوثيقة رقم : ٦

جزءان جديدان من أوامر "كابرال" "Cabral" المحلية المتعلقة برحلة الهند في العام ١٥٠٠م ، "أ . لوباتو" "A .Lobato" .

(صفحة رقم ١٥٧)

الوثيقة رقم : ٧

في عام ١٥٠١م تم توقيع معاهدة السلام بين ملك "كانانور" "Cananor" و"دوم فاسكو دي غاما" ، جاء ذلك في رسالة من حاكم "كانانور" إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" .

(صفحة رقم ١٨١)

الوثيقة رقم : ٨

رسالة من الوزير "جنجير كرب" إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" ، مقدماً الولاء والطاعة ، من "كانانور" ، بتاريخ الثامن من شهر نوفمبر ، عام ١٥٠٣م .

(صفحة رقم ١٨٣)

الوثيقة رقم : ٩

رحلة "لوبو سواريز" "Lopo Soares" الأولى إلى الهند ، (١٥٠٤م - ١٥٠٥م) ، "جنفييف بوشون" "Genevieve Bouchon" ، البحر الأحمر والهند ، المجلد الثالث ، "مار لوزو - إنديكوم" "Mare Luso-Indicum" .

(صفحة رقم ١٨٥)

الوثيقة رقم : ١٠

رحلة "لوبو سواريز" "Lopo Soares" الأولى إلى الهند ، (١٥٠٤م - ١٥٠٥م) ، نهاية وبداية ، "ماريا دو روزاريو دي سامبايو تيمودو باراتا دي أزيفيدو كروز" "Maria do Rosario de Sampaio Themudo Barata de Azevedo Cruz" .

(صفحة رقم ٢٢٧)

الوثيقة رقم : ١١

رسالة "ألفارو دي ميندوزا" "Alvaro de Mendonca" في الثامن من شهر يناير ، عام ١٥٠٤م .

(صفحة رقم ٢٧٦)

الوثيقة رقم : ١٢

رسالة من "بيرو دي أتايد" "Pero d'Ataide" ، من "موزمبيق" "Mozambique" ، في يوم العشرين من شهر فبراير ، عام ١٥٠٤م ، إلى الملك .

(صفحة رقم ٢٨٢)

الوثيقة رقم : ١٣

رسالة من "ألفارو فاز" "Alvaro Vaz" ، من "كوتشين" "Cotchin" ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٠٤م ، إلى جلالة الملك "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" .

(صفحة رقم ٢٩٤)

الوثيقة رقم : ١٤

تعليمات بتاريخ الخامس من شهر مارس عام ١٥٠٥م ، إلى "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" "D . Francisco de Almeida" ، رئيس القباطنة في الهند .

(صفحة رقم ٣١١)

الوثيقة رقم : ١٥

أمر من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلى "مانويل دا كوستا" "Manuel da Costa" ، الوكيل في هرمز ، من على ظهر السفينة "نازاري" "Nazare" ، الخامس من شهر إبريل ١٥٠٥م .

(صفحة رقم ٣١٣)

الوثيقة رقم : ١٦

نسخة لرسالة بعث بها ملك البرتغال إلى ملك "قشتالة" عن الرحلة إلى الهند وما نتج عنها ، بتاريخ عام ١٥٠٥م . **(صفحة رقم ٣١٥)**

الوثيقة رقم : ١٧

رسالة من "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" في (شهر مارس – إبريل) ١٥٠٦م ، إلى "دوم فرانسيسكو دي ألميدا" "D . Francisco de Almeida" ، نائب الملك في الهند . **(صفحة رقم ٣٤٧)**

الوثيقة رقم : ١٨

رسالة من "جاسبار دي أنديا" "Gaspar de India" ، بتاريخ شهر نوفمبر عام ١٥٠٦م إلى "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" .

(صفحة رقم ٣٥٩)

الوثيقة رقم : ١٩

ملخص لكل الرسائل ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٠٦م ، من الهند إلى الملك ، ومراسلات أخرى أيضاً أحضرت في سفن تحت إمرة "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" وفي سفينة "سيدي باربودو" "Sidi Barbudo" ، رسالة بتاريخ السابع والعشرين من شهر ديسمبر ، عام ١٥٠٦م ، من نائب الملك .

(صفحة رقم ٣٧٢)

هوامش المجلد الأول

1- Oporto Public Library, The Diary of the Voyage of Vasco Da Gama, Alvaro Velho, Manuscript No. 804, Reference No. x5-7-29.

2- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Documentos, vol. II, Alguns documentos do Arquivo Nacional da Torre do Tombo acerca das navegacoes e conquistas portuguesas, publicados por ordem do governo de Sua Majestade Fidelissima ao celebrar-se a comemoracao quadri centenaria do descobrimento da America. Lisboa, Imprensa Nacional, 1892,

- Diario da Viagem de Vasco da Gama, Alvaro Velho, Livraria Civilizacao, 1497, vol. 1, p. 6.

3- TT, *Documentacao*: Documentacao para a História das Missões do Padroado Português do Oriente. Coligida e anotada por António da Silva Rego, Lisboa, Agência-Geral das Colónias. volumes: I (1499-1522), 1947; II (1523-1543), 1949; III (1543-1547), 1950; IV (1548-1550), 1950; VI (1555-1558), 1951; VII (1559), 1952, vol. I, pp. 3-5,

- TT,Colecao de S. Vicente vol III f 513.

4- British Library (B.L.), ZA.9.b.595, The Indian Ocean at the time of Vasco da Gama, Genevieve Bouchon, Mare Liberum No. 1 1900.

5- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/142, 1500-1528, Part 1st Maco 3 Document No. 20, 1500 June 29.

6- Dois Novos Fragmentos do Regimento de Cabral para a Viagem da India em 1500, A. Lobato, Studia Revista No. 25, Dec 1968, pp. 31-50.

7- Le Premier Voyage de Lopo Soares en Inde, 1504-1505, Genevieve Bouchon, Mare Luso-Indicum, vol. 3, pp. 57-84.

8- The First Voyage of Lopo Soares to India, 1504-1505, An end and a beginning, Maria do Rosario de Sampaio Themudo Barata de Azevedo Cruz, Internacional Congress, Bartolomeu Dias and his Times, Actas, vol. I, Porto 1989, B.L., YA 1994.bb.285.

9- TT, *Documentos I*: Documentos arábicos para a história portuguesa. Copiados dos originais da Torre do Tombo com permissão de Sua Majestade e vertidos em português por ordem da Academia Real das Ciências de Lisboa por frei João de Sousa. Lisboa, na Oficina da Academia Real das Ciências, 1790, vol. I, p.2.

10- TT, Documentos, vol. I, p.2.

11- TT, Corpo Chronologico (CC), 1500-1630. I/3/142, 1500-1528, Part 1st Maco 4 Document No. 51, 1504 Jan 8.

12- TT, Cartas de Afonso de Albuquerque Maco unico (CA) II, pp. 262-267.

13- TT, CA III, pp. 256-267.

14- TT, CA II, p. 317,

- TT, Maco II, de Leis No. 13.

15- TT, CC, Parte II, Maco 9, Document No. 64,

- TT, CA II, p. 50.

16- B.L., Copia de una littera del Re de Portagallo madate al Re de Castella del viaggio r successo de India, Museu Britanico (Londres) (MB), C. 32 f 19.

17- TT, CA III, pp. 268-276,

- TT, Maco I, de Leis No. 22.

18- TT, CC, Parte I, Maco 5, Document No. 117,

- TT, CA II, pp. 371-380.

19- TT, *Gavetas*: As Gavetas da Torre do Tombo. 9 volumes. Lisboa, Centro de Estudos Históricos Ultramarinos. I (Gav. I-II), 1960; II (Gav. III-XII), 1962; III (Gav. XIII-XIV), 1963; IV (Gav. XV, macos 1-15), 1964; V (Gav. XV, macos 16-24), 1965; VI (Gav. XVI-XVII, macos 1-3), 1967; VII (Gav. XVII, macos 3-9), 1968; VIII (Gav. XVIII, macos 1-6), 1970; IX (Gav. XVIII, maços 7-13), 1971, Gavetas IX, pp. 356-365,

- TT, Gavetas XX, Maco 4, Document No. 15.

ISBN 978-9948-721-89-5
9 789948 721895
www.alqasimipublications.com